المركز القومى للترجمة

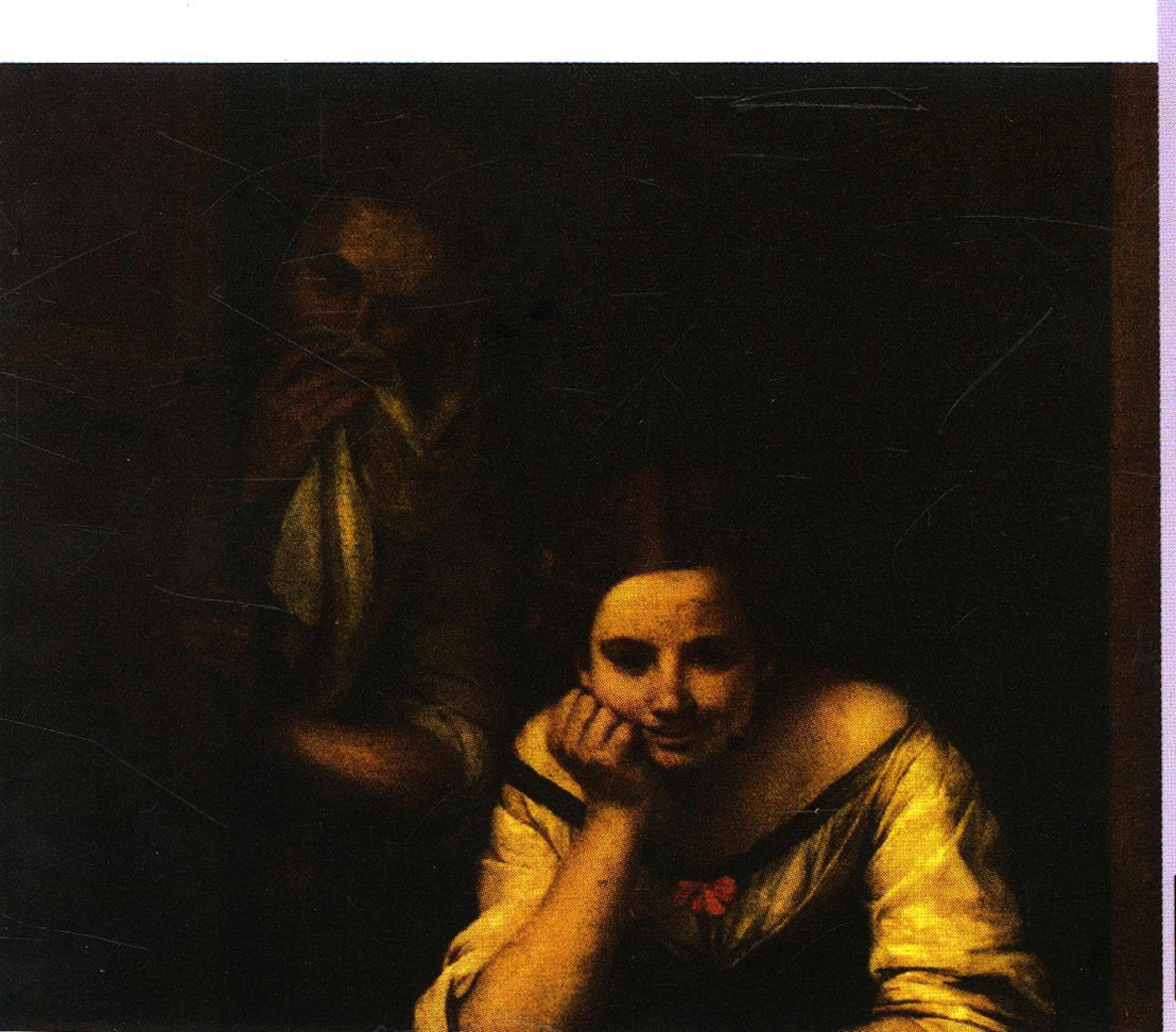


خاثينتو بينابينتى

ثورة الشك و الأميرة المتغطرسة

مسرحيتان

ترجمة ودراسة: آيات ربيع شفيق
مراجعة وتقديم: صبرى محمدى التهامى



المشروع القومى للترجمة
1123
روائع الدراما العالمية

مسرحيتا "ثورة الشك"
و"الأميرة المتغطرسة"

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة : روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة : أحمد سخسوخ
- العدد : ١١٢٣
- مسرحيتا "ثورة الشك" و"الأميرة المتغطرسة"
- خاثينتو بينابينتى
- آيات ربيع شفيق
- صبرى محمدى التهامى
- الطبعة الأولى ٢٠٠٧

هذه ترجمة مسرحيتى :

EL Mal Que Nos Hacen

Y La Infanzona

Por : Jacinto Benavente

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦
فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 - 27354526 Fax: 27354554

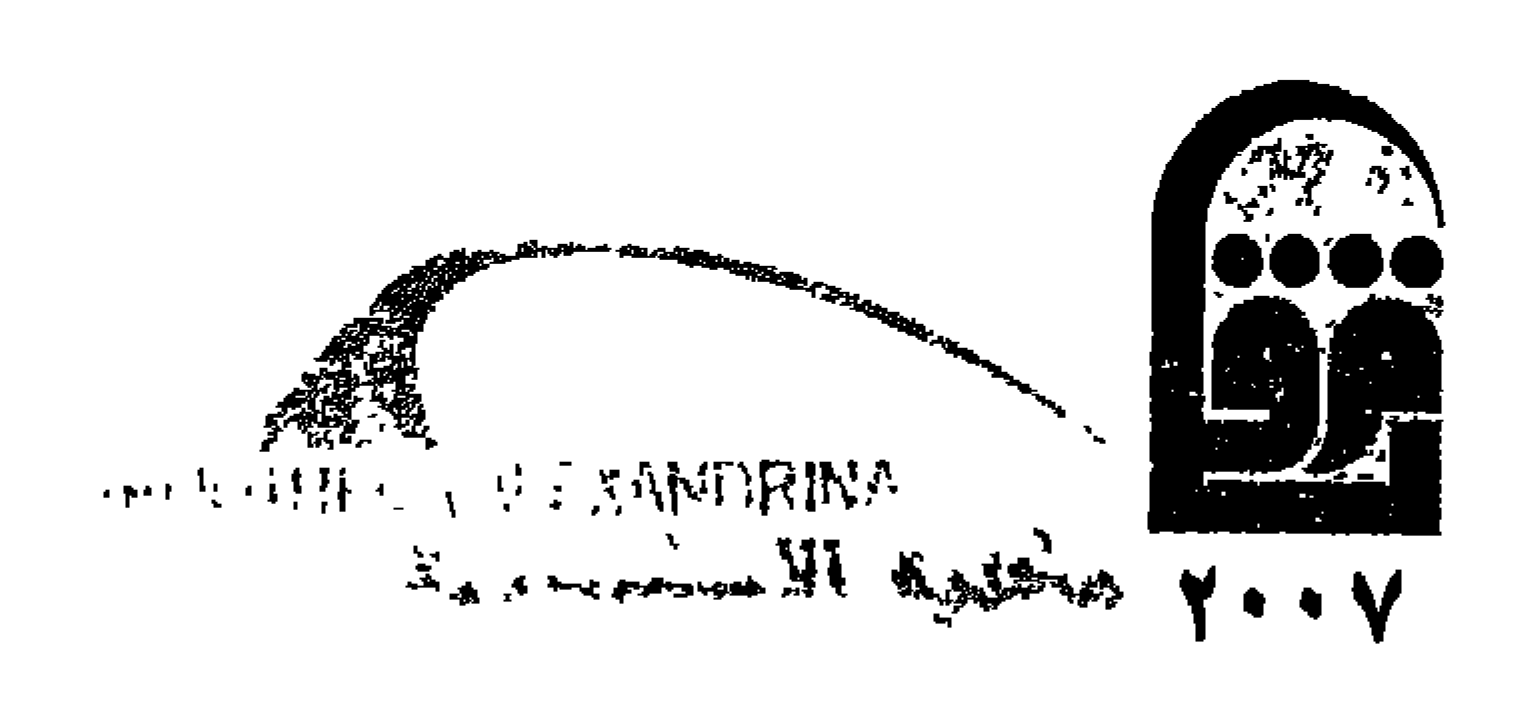
مسرحيتا :

ثورة الشك
و الأميرة المتغطرسة

تـأليـف : خـاثينتـو بينابينتى

ترجمة ودراسة : آيات ربيع شـفـيق

مراجعة وتقديم : صبرى محمدى التهامى



٢٠٠٧

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

بينابينتى ، خاثينتو
ثورة الشك والأميرة المتغطرسة (مسرحيتان) / تأليف : خاثينتو بينابينتى ؛ ترجمة ودراسة : آيات ربيع شفيق ؛ مراجعة وتقديم : صبرى محمدى التهامى - القاهرة .
المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٧
٢٧٢ ص ؛ ٢٠ سم .
١ - المسرحيات الإسبانية .
(أ) شفيق ، آيات ربيع (مترجم)
(ب) التهامى ، صبرى محمدى (مراجع ومقدم)
(جـ) العنوان ٨٦٢

رقم الإيداع ٢٠٠٧/١٠٣٦٦
الترقيم الدولى I.S.B.N 977-437-333-2
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

مقدمة المراجع

قبل أنْ نُقدِّم لهاتين المسرحيتين يروق لنا أنْ نبدأ التَّقديم بالتعريف بمؤلِّفها "خاثينتو بينابينتى مارتينيث" JACINTO BENVENTE لكى يعرفه القارئ العربى الكريم .

خاثينتو بينابينتى مارتينيث

ولد فى الثَّانى عشر من أغسطس ١٨٨٦ بالمنزل رقم ٢٧ الكائن بشارع ليون فى وسط العاصمة الإسبانية مدريد . أمَّا والده فهو ماريانو بينابينتى جونثاليث فقد كان طبيبًا مرموقًا ومشهوراً وعضواً بالأكاديمية الطِّبِّية الملكية ، كما كان شغوفًا محبًا للقراءة، وحريصاً على اقتناء أحدث الكتب والأعمال الأدبية وحضور أوَّل عرض للأعمال الدِّرامية. أمَّا والدته بينانثيا مارتينيث فكانت ربَّة منزلٍ وزوجةً مثاليةً كرَّست حياتها لتوفير كلِّ الهدوء لزوجها ولرعاية أنجالها على أكمل وجهٍ . وكان لخاثينتو بينابينتى شقيقان أبيلينو الذى تخرَّج طبيبًا كوالده وماريانو الذى حصل على ليسانس الحقوق .

أظهر بينابينتي نبوغًا مبكرًا حيث تعلَّم القراءة والكتابة في سنيِّ عمره الأولى ، كما غرس الدُّكتور بينابينتي في كاتبنا منذ نعومة أظفاره هوايتين مهمَّتين : حب القراءة والاطلاع، والولع بالمسرح .

ففيما يتعلَّق بحبِّ القراءة كان بينابينتي قارئًا شرِهًا يلتهم كلَّ ما يقابله من الكتب التهامًا ، ويُجهِزُ في شغفٍ على كلِّ ما يقع في يديه من الأعمال الأدبية الإسبانية والعالمية، التي كانت متوفِّرةً في مكتبة والده .

وقد غذَّت هواية حبِّ القراءة والاطلاع الهواية الثَّانية لدى كاتبنا وهي ولعه بالمسرح ، تلك الهواية التي نمت أيضًا بفضل اصطحاب الدُّكتور بينابينتي لنجله الصَّغير كي يشاهد كثيرًا من المسرحيات في ليالي السَّبت التي كانت محبَّبة إلى قلب الصَّغير ، ممَّا جعله يعكس هذا الشَّغف والحب بتسمية إحدى أعماله الدِّرامية (ليلة السَّبت) ١٩٠٣ . "La Noche del Sábado"

ولا غرو في ذلك ، فقد نمت لدى مؤلِّفنا هواية المسرح حتى إنَّه كان يصنع مسارح من الورق المقوَّى ليتسلَّى مع أقرانه، وليسلِّي الجيران وأفراد الخدم ، وكانت لبينابينتي قدرةٌ منقطعة النَّظير على تقليد أصوات شخصيات المسرحية؛ حيث كان يقوم بعدَّة أدوارٍ في العمل الدِّرامي الواحد .

وعلى طرف نقيض من ذلك لم يكن بينابينتي شغوفًا بالدراسة الجامعية ، لكنّه التحق بكلية الحقوق على مضض ليرضي رغبة والده في الحصول على مؤهل دراسي جامعي ، ولذلك نجده يهجر دراسته بكلية الحقوق عقب وفاة والده مباشرةً عام ١٨٨٥ لكي يتفرّغ تمامًا لكتابة أعماله المسرحية .

وسنتطرّق الآن إلى بينابينتي بوصفه مؤلِّفًا مسرحيًا، وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ مسرح بينابينتي كان نثريًا ، وقد بدأ إنتاجه في الحقبة الأخيرة من القرن التّاسع عشر وعلى وجه التّحديد عام ١٨٩٢، إلا أنَّ خشبة المسرح لم تشهد أحد أعماله الدّرامية "El Nido ajeno" (عشّ الغريب) إلا في عام ١٨٩٤، ثمَّ توالت تباعًا مسرحيات مؤلِّفنا؛ ففي عام ١٨٩٦ عُرِضت له مسرحية "Gente conocida" (أناسٌ معروفون) و "La Comida de las fieras" (١٨٩٧) و(المتحذلق) "La Lo cursi" ١٩٠١ و"El Primo Román" ١٩٠١ (ابن العم رومان) و"La noche del sábado" (ليلة السّبت) ١٩٠٣ و(ورود الخريف) "Rosas de otoño" ١٩٠٥ و(المصالح المختلفة) " Los intereses creados" 1907 و(القوة الغاشمة) "La fuerza bruta" ١٩٠٨ و(المدينة السّعيدة والواثقة) "La ciudad alegre y confiada" ١٩١٦و(المحبوبة البغيضة) "La malquerida" ١٩١٣ ... إلخ .

وقد تميَّز بينابينتي بخصوبة الخيال وغزارة الإنتاج؛ حيث بلغ إجمالي أعماله ١٧١ مسرحيةً ، وحصل مؤلِّفنا على جائزة نوبل في

الأدب عام ١٩٢٢ عن مسرحيته الشهيرة (المصالح المختلفة) "Los inter-eses creados" التى اتسمت بالنَّقد اللاذع والتَّهكم والسُّخرية .

وعلى صعيد آخر اختير بينابينتى عضواً بالبرلمان الإسبانى فى الرَّابع والعشرين من فبراير ١٩١٨ ضمن المجموعة البرلمانية التى تزعَّمها السِّياسى الإسبانى الكبير أنطونيو ماورا عن دائرة مدريد ، غير أنَّ مؤلِّفنا لم يشارك فى الحياة السِّياسية، بل كان متفرِّجًا ثاقب النَّظرة ونافذ البصيرة ، كما أنَّ الفترة البرلمانية لبينابينتى لم تستغرق سوى أربعة عشر شهرًا نتيجة قيام أنطونيو ماورا بحلِّ البرلمان بمقتضى المرسوم الصَّادر فى مايو ١٩١٩ .

وقد استمر إنتاج بينابينتى المسرحى يتدفَّق ، كما ظلَّ الكاتب الفذُّ يتربَّع على عرش المسرح الإسبانى طوال عدَّة حقبٍ من الزَّمان ، وظلَّ يكتبُ أعمالاً دراميةً حتى جفَّ مداد قلمه عندما وافته المنية ورحل عن عالم الأحياء فى الرَّابع عشر من يولية ١٩٥٤ . وعلى الرَّغم من رحيله منذ أكثر من ستةٍ وخمسين عامًا، فإنَّ العديد من أعماله لا تزال خالدةً تُعرض بين الحين والحين فى أهم المسارح العريقة فى إسبانيا، ومنها (سيدةٌ مالكة "Señora ama" و(المصالح المختلفة) "Los intereses crea-dos" و(ورود الخريف) "Rosas de otoño" و(المحبوبة البغيضة) "La malquerida" .

كتبَ خاثينتو بينابينتى مائة واثنين وسبعين عملاً مسرحيًا، من بينها ستٌ وثلاثون مسرحية بما فى ذلك هاتين اللتين عرضتا بعد وفاته، وهما "Por Salvar su amor" (إنقاذًا لحبّةٍ) فى ٣ نوفمبر ١٩٥٤ و"El Bufón de Hamlet" (مهرج هاملت) فى ٣٠ يناير ١٩٥٨ ، وذلك فى الفترة من ١٩٤٠ إلى وفاته فى ١٤ يولية ١٩٥٤ . وهذا يعنى ببساطة أنَّ بينابينتى كتب هذا العدد الكبير من الأعمال الدِّرامية خلال خمسة عشر عامًا تقريبًا؛ أى منذ أنْ كان فى الرَّابعة والسَّبعين من عمره إلى أن بلغ الثَّامنة والثَّمانين ظلَّ كاتبًا يؤلِّف للمسرح على الرَّغم من الشَّيخوخة والصَّمم الذى أصابه فى سنِّى عمره الأخيرة وكثرة انتقاد النُّقاد المتحذلقين الذين قال بعضهم فى أسلوبٍ فجٍ ووقحٍ : ينبغى على بينابينتى اعتزال الكتابة للمسرح؛ لأنَّ أعماله قد تدنَّت فى الفترة الأخيرة، ولم تعد موضوعات أعماله تواكب الواقع الإسبانى المعاصر .

كانت هذه مجرَّد آراءٍ واهيةٍ لا مبرِّر لها سوى أنَّها صدرت عن أصواتٍ حاقدة وأقلامٍ حاسدةٍ وقلوبٍ مفعمةٍ بالضَّغائن كان همُّها الوحيد التَّصدى لكلِّ نجاحٍ . كانت بمثابة معاول هدمٍ ، لكنَّ هيهات هيهات أنْ تنال المعاول من قمم الجبال العالية . كان من الإنصاف أنْ يكون هؤلاء النُّقاد عادلين منصفين فى تقويمهم لمسرح بينابينتى عقب انتهاء الحرب الأهلية الإسبانية حتى وفاته . كيف يرفضون مسرحهُ فى تلك الفترة وهناك أعمالٌ حقَّقت نجاحًا باهرًا كما فى مرحلة إنتاجه الأولى، من بينها (١٩٤٠) "Aves y pájaros" (طيورٌ وعصافيرُ) (١٩٤٢) "El demonio

"Don Magín el las magias"و (١٩٤٤) (شـيطان المسـرح) del teatro"
(السّيد ماخين السّاحر) و "Almas prisioneras" أرواح أسيرةٌ (١٩٤٥)
و"Nieve en mayo" (جليـــدٌ فى مـــايو) (١٩٤٥) و"La infamzona"
(الأمـيـرة المتـغطرسـة) (١٩٤٥) و "Adoración" (عـبـادة) (١٩٤٨)
و"Abdicación" التنـازل عن العــرش (١٩٤٨) و"Su amante esposa"
(زوجته الولهانة) (١٩٥٠) ... إلخ .

رأى بعض النُّقاد أنَّ غزارة إنتـاج بينابينتى أضـرَّت كثيـرًا بجودة مسـرحـه، ولكنَّنا إحقاقًا للحقِّ وإنصـافًا للعدل نقول : إذا كان كثيرٌ من الكُتَّاب الأوروبيين المعاصرين قد نالوا شـهرةً كبيرةً لأنَّهم كتبوا عشـرة أعمـال مسـرحيةٍ جيدة فـقط، فإنَّ كاتبنا من بين هذا الإنتـاج الغزير له أكثر من خمسين عملاً دراميًا جيدًا إنْ لم يكن ممتازًا، وخير شاهدٍ على ذلك العـروض المسرحيـة التى تجاوزت مـائة عـرض على خشبـة المسـرح كثيرةٌ جدًا .

فليـصـمت الحـاقـدون إذن سـواء من الكُتَّـاب أو النُّقَّاد؛ لأنَّه لم يأت كاتب مسـرحىٌ منذ لوبى دى بيـجا مـؤلِّف إسبانيا الأشـهر فى العصـر الذَّهبى للأدب الإسبانى (فى القرنين السَّادس عشر والسَّابع عشر) غزير الإنتـاج وعلى درجة كـبيـرة من الإجادة والجـودة سـوى بينابينتى . وإذا كـان لوبى دى بيـجـا قـد أجـاد وأخلَّ فـلا عـيب على الإطـلاق فى أنْ تكون هناك بعض الأعمال غير النَّاجحة لخاثينتو بينابينتى .

عُرِضت لبينابينتى مسرحياتٌ مثَّلت مختلف البيئات والطَّبقات : الرِّيفية والحضرية والشّعبية والأرستقراطية والبرجوازية والواقعية والخيالية . وقد تجاوزت شخصياته عدة آلاف شخصيةٍ ما بين شخصياتٍ طبيعيةٍ ومعيبةٍ ، سعيدةٍ وحزينةٍ ، متفائلةٍ ومتشائمةٍ ، عبقريةٍ وسطحيةٍ .

تطوَّر فكر بينابينتى طبقًا لمراحله العمرية ووفقًا للدَّوافع والخبرات والظُّروف. فالكاتب – رغمًا عنه – عندما يكتب كان يعكس فى شخصياته حالاته المعنوية . وتكمن موضوعات مسرحه فى الموضوعات الواقعية والخيالية التى عاشها أبطال أعماله الدِّرامية أو حكاها هؤلاء (وهنا يكمن عيب جوهرى فى مسرح بينابينتى ألا وهو تفوق ما تحكيه الشَّخصيات على ماعاشته وعايشته بالفعل) . وعلىٌ أيّةِ حالٍ، فإنَّ شخصيات أعماله المسرحية تتمتَّع بحرية نسبيةٍ؛ لأنَّها غرست فى المشاهد والقارئ صفاتٍ حميدةً مثل السَّخاء والصَّفح والطِّيبة وحبِّ الفنِّ والجمال وتفوُّق الرُّوح على المادة والتَّضحية وإنكار الذَّات وتمجيد حبِّ الأمِّ . وبالنِّسبة للكبائر فقد وضع لها ترياقًا من الفضائل .

وعندما عرض بينابينتى أوَّل مسرحيةٍ له "عُشُّ الغريب" ١٨٩٤ كان كلٌ من جالدوس وجاسبار أجيلار يناضلان من أجلِّ إدخال النَّزعة الطَّبيعية على المسرح الإسبانى . وقد استطاع بينابينتى الوصول بهذا الأمر إلى الذِّروة بعد كفاحٍ مريرٍ كان قد بدأه الكاتبان المشار إليهما .

كان بينابينتى مطَّلعًا على آخر النَّزعات والمستجدات فى المسرح الأوروبى المعاصر، وامتصَّ من رحيقه ما يلائم الجمهور الإسبانى بعد أنْ يكون قد فرض عليه أصالته الشَّخصية . وفى كثيرٍ من الأحيان سبق كثيراً من معاصريه الأوروبيين فى فرنسا وإنجلترا وألمانيا وحتى فى الولايات المتحدة الأمريكية . لقد أسهم مسرح بينابينتى بتجديداتٍ رائعة فى المسرح الإسبانى المعاصر فى مجالى بنية الأعمال الدِّرامية ولغتها .

لقد انتهل من مسرح إتشيجراى، لكنَّه عالج المواقف بلا تكلُّفٍ أو صنعة مبالغٍ فيها كما فى مسرح صديق والده؛ لأنَّ إتشيجراى لم يكن قد تخلَّص من الإفراط فى الرُّومانسية ، كما كانت لغته مزَّيفةً رنَّانةً ، بلاغيةً وتقليديةً .

وفيما يتعلَّق بأعماله الرِّيفية نجد أنَّ الكاتب كان يُعسكر فى قرية ألديانكابو بمحافظة طليطلة لكى يكون على مقربةٍ من لغة الشَّخصيات على الطَّبيعة وأرض الواقع، وقد اضطر للعوده إلى القرية المشار إليها آنفًا لكى يكمل مسرحية "سيدة مالكة" بعد أنْ ذهب إلى مدريد؛ حيث أحسَّ بأنَّه يفتقر إلى معايشة أهل القرية حتى ينقل بصدقٍ لغة حوارهم .

أولاً - مسرحية "ثورة الشك"

تعتبر مسرحية "ثورة الشَّك" من المسرحيات النَّاجحة لخانثينتو بينابينتى، وإنْ كانت أقلَّ بكثير من أعمال أخرى مثل "المصالح المختلقة" و"سيدة مالكة" و"الحبيبة البغيضة" .

وتدور أحداث المسرحية حول شخصٍ من الطَّبقة المتوسِّطة يُدعى خيرمان تزوَّج للمرَّة الأولى من بنات طبقته، لكنه لم يكن سعيد الحظ لخيانة زوجته له؛ لذلك حزن خيرمان حزنًا شديدًا وانفصل عنها . تزوَّج للمرَّة الثَّانية، لكنَّه لم يكن أسعد حظًا من المرَّة الأولى على الإطلاق؛ فقد اكتشف السُّلوك نفسه من زوجته الثَّانية فانفصل عنها أيضًا .

تزوَّج خيرمان للمرَّة الثَّالثة من شابة حسناء صغيرة السِّنِّ تُدعى بالينتينا . كانت الفتاة من أسرةٍ فقيرةٍ جدًا، لكنها صادقةٌ في مشاعرها تجاه زوجها . لكن خيرمان نظرًا لتجربتيه المريرتين السَّابقتين مع امرأتين من فتيات طبقته المتوسِّطة جعلتاه لا يثق فى أىِّ شىءٍ ولا حتى فى حبِّ بالينتينا زوجته المسكينة التى حاولت بشتَّى الطُّرق أنْ تبرهن له على صدق حبِّها ومشاعرها تجاهه، لكن بذرة الشَّك كانت قد نمت فى قلبه، واستحوذت على كل مسام جسده؛ فأصبح خيرمان فى كنهه وجوهره يساوى كلمة شكٍّ بكلِّ ما تحمله الكلمة من معانٍ .

ذات يومٍ جاء شابٌ فقيرٌ من مدريد كان جارًا لبالينتينا يطلب مساعدتها؛ لأنَّ والدته مريضةٌ وهو بلا عملٍ ، وبالتَّالى عاجز الإنفاق على

والدته وعلاجها؛ لذلك أوصت زوجها خيرمان لكى يساعده فى البحث عن عمل يصون له كرامته لرعاية والدته . كما أوصت لويسا صديقتها الحميمة بأنْ تتحدَّث فى أمر الشَّاب فيدريكو مع عمٍّ خطيبها الثَّرى لكى يبحث له عن عمل بمتاجره، وقد وعدتها لويسا بالحديث جدِّيًا والاهتمام بهذا الأمر طالما أنَّه من طرفها .

لم يبحث خيرمان عن عملٍ لفيدريكو، ولكنَّه أعطاه قليلاً من النُّقود مساعدة له .

تزايدت ثورة الشَّك بصورةٍ جنونيةٍ لدى خيرمان؛ فأصبح عصبى المزاج لا يكترث بزوجته، يشكُّ ويتشكَّك فى كلِّ تصرفاتها، نظرًا لفارق السِّنِّ بينهما؛ فهو كهلٌ وهى شابةٌ حسناء فى مقتبل العمر، فضلاً عن أنَّ خيرمان لعق مرارة الصَّبر من جرَّاء زيجتين سابقتين؛ مما جعل حياة بالينتينا التى كانت تعيش مع زوجها التَّعيس فى رغدٍ من العيش، لكنَّها كانت حزينةً يعتصر الحزن قلبها بسبَّب سلوكيات زوجها معها، وهى التى جاءت راضيةً سعيدة لتوفِّر له كلَّ أسباب الرَّاحة والهدوء وتحيطه بكلِّ إخلاصٍ ووفاء بحبِّ الزَّوجة الصَّادقة لتعوِّضه عن تجربتيه السَّابقتين . ولمَّا لم تجد جدوى لذلك هجرت زوجها، وفضَّلت أنْ تبدأ حياتها من جديدٍ مع شابٍ يعيش فى فقرٍ مدقعٍ، لكنَّه متيَّمٌ بحبِّها؛ فآثرت سعادتها بعد أن فاض بها الكيل على الحياة المترفة المنعَّمة .

سعى خيرمان سعيًا حثيثًا لكي يتصالح معها ويردَّها إلى بيت الزَّوجية، لكن حرمان بالينتينا من السَّعادة طوال فترة معاشرتها إيَّاه وشكِّه في سلوكياتها - خاصة بعد مجيء الشَّاب فيدريكو إلى منزلها - جعلاها ترفض رفضًا قاطعًا العودة معه حتى لو كانت ستعيش في شظفٍ من العيش مع فيدريكو؛ لأنَّ هذا أفضل بكثير من أنْ تعيش في قصرٍ بلا حبٍ أو سعادةٍ .

الشخصيات

VALENTINA	بالنتينا
LUISA	لويسا
GERMÁN	خيرمان
SRA TOMASA	السيِّدة توماسا
DON ROSENDO	السيِّد روسيندو
DEPE	بيبى
LEONCIO	ليونثيو
JUANA	خوانا
FEDERICO	فيدريكو
ADELA	أديلا

الفصل الأول

صالة صغيرة فى فندق قريب من مدريد

المشهد الأول

بالنتينـــا ولويســـا

بالنتينـا : **(ترى لويسا وهى تدخل)** آه يا لويسيتا ! ...

لـويسـا : هل تهربين حضرتك من النَّاس ؟

بالنتينـا : لا ؛ منكِ لا ، ولكنَّكِ تعلمين ... أعنى لا تعلمين ...

نعم أهرب من النَّاس ... لا أستطيع أنْ أفهم ما يُرضى خيرمان ... أعنى أنِّى أفهمه، لكن رغمًا عنِّى . إنَّه يستمتع ... لا ، إنه يشعر بالملل أيضًا؛ لأنَّه ، كما أقول ، يستمتع بالملل . من يعلم ! فقد يجنبنا الملل الحزن أحيانًا .

لـويسـا : لا يمكن ذلك يا بالنتينا . كنت أعتقد أنكما فى منتهى السعادة .

بالنتينـا : أنا سعيدة جدًا ، ولن أكون أسعد من ذلك أبدًا .

لـويسـا : .. إذن ..

بالنتينـا : إنَّ ما ينقص سعادتى ... هى سعادته وهو ليس سعيدًا ، يحبنى من كل قلبه ، كحبى له تمامًا . قليلاً ما نجد

شخصين يتحابَّان بنفس الدرجة ، في الحب كما تعلمين ، يوجد واحد يحب، والآخر يترك نفسه لكي يُحبَّ ، لكنَّه هكذا هو دائمًا .. نحن لا يُحب بعضنا الآخر بالطريقة نفسها ... أعني ولا حتى بالطريقة نفسها أيضًا ، لا .

لويسا : آه يا بالنتينا ، فأنتِ التي تتعذَّبين .

بالنتينا : لقد كان خيرمان سيئ الحظ جدًا ... ولا يستطيع أنْ ينسى . كان الجميع سيئين معه ، دون أنْ يستحق ذلك منهم ؛ لذلك فهو يخاف دائمًا ، يشك دائمًا ، يشك فيَّ ، أعلم ذلك وأراه، وهذا سبب حزني .

لويسا : آخ ، هل هو غيور ؟

بالنتينا : لا ، ولا يمكن أنْ يكون هكذا . غيور ؟ أنتِ ترين حياتي .

لويسا : من يكون غيورًا لا يكون ذلك بسبب ما يراه، ولكن يكفي أنْ يكون بسبب ما يتخيَّله؛ فهناك من يغار حتى مما تفكر فيه الواحدة منا وهذا فظ للغاية .

بالنتينا : هل زوجك غيور ؟

لويسا : من ؟ بيبي زوجي ؟ لا ، لكن كان لي خطيب ... بسبب ذلك لم أتزوجه . يا له من عذاب فظيع ! كان ذلك بمثابة الموت ، أشفق عليك لو كان زوجك هكذا .

بالنتينا : لا ، لا ، إنَّه أسوأ ، و أكثر حزنًا . لا يشك فيَّ ، بل يشك في الحياة ، يعتقد أنَّ الحياة سوف تُفرِّق بيننا قبل

الموت ... فالموت وحده هو الذى سيفرق بيننا، ويرعبنى كما لم يحدث من قبل .

لـويـســـا : عجبًا يا بالنتينا ...

بالنتيـنــا : أنت لا تعلمين كم أُحبُّه . عندما أراه يعتقد أنى أستطيع أن أتوقف عن حبه ... إنَّه كلُّ حياتى ، فلا يوجد بداخلى سوى التفكير فيه . لقد كنت أيضًا تعيسة جداً ، لنفس الشىء أعتقد الآن أنَّ لدىَّ الحق أنْ أكون سعيدة . أؤمن بحبه ، أؤمن به بكل روحى ؛ فأنا لم أكن متدينة جداً من قبل ، هكذا أعرف نفسى ؛ لأنِّى كنت أعيش فى وسط ... وحيدة بين الرِّجال ، بين والدىَّ وأخويَّا ... الآن وبسبب حبه ، أؤمن عن يقين بالله ، بالحياة الآخرة ، بالآخرة ، نعم لأنَّ هذا الحب لا يمكن أن ينتهى فى هذه الحياة الدنيا . ولو أنَّك رأيت كيف أصلى صلواتى التى اخترعتها ، لكن الله لابد أن يسمعنى ؛ لأنُّنى أضع فيها كلَّ روحى وحبِّى ؛ لأنَّ حبِّى هو كلُّ حياتى .

لـويـســـا : لكنك تبكين ...

بالنتيـنــا : بكائى الآن ليس حزنًا، ولكنَّه من شىء أكبر ، إنَّه من صدق هذا الحب ، من إيمانى بحبى لخيرمان .

لـويـســـا : نعم إنك تحبينه . وأنتما متزوجان منذ فترة طويلة ؟

بالنتيـنــا : زواج ! آه يا لويسيتا ! يجب ألا أخدعك أكثر من ذلك؛

لأنكِ طيبة جداً معى ، فأنتِ صديقتى ، أعتقد أنكِ ستسامحينى .

لويسا : أسامحك ؟ ... لماذا علىَّ أنْ أسامحك ؟

بالنتينا : لقد أسأت ثقتك فىَّ ... لكن ذلك لم يكن ذنبى . لم أكن أحب الاختلاط بأحد لهذا السبب؛ لأنَّى أعلم ما يحدث بعد ذلك ... لكن قد يعتقد خيرمان أنِّى من الممكن أنْ أَمَلَّ أو أتعب من كونى وحيدة معه ، أو أنا وحدى التى أفكر فيه دائمًا ، ومن أجل ذلك ، عندما جئنا إلى هنا؛ حيث لم يكن يعرفنا أحد . استطعنا أن نقيم علاقات مع الآخرين ، مع أهل القرية ، لكن سوف ترين كم المضايقات عندما يعرفون ذلك .

لويسا : مضايقات ، لماذا ؟ لا أفهم ...

بالنتينا : أنا لا أكترث بمضايقات الآخرين ، لكن استياءك يهمنى . هل ستسامحنى يا لويسيتا ؟

لويسا : لكن ، أنت غريبة جداً ...

بالنتينا : لأنكِ لن تقدرينى عندما تعرفين ذلك .

لويسا : أعرف ماذا ؟

بالنتينا : إننى وخيرمان لسنا متزوجين ...

لويسا : ماذا تقولين لى ؟

بالنتينا : أترين ؟ فزعت .

لـويســــا : إنها حماقة ! يسعدني ذلك كثيراً . يا لها من سعادة كبيرة !

بالنتيـنـا : ما الذى يسعدك فى ذلك ؟

لـويســــا : كنت أعتقد ذلك ! إذن لقد أزحت عنى همًا كبيراً . لم أكن أجرؤ على ذلك أبداً . يا لها من سعادة ! فأنتِ لا تعلمين مدى سرورى ... عندما يعرف بيبى ذلك ...

بالنتيـنـا : لكن ، لماذا ؟

لـويســــا : لأنَّنى ، أنا وبيبى لسنا متزوجين أيضًا . يا له من شىء غريب !

بالنتيـنـا : حقًا ؟ يا لها من سعادة !

لـويســــا : هل هذا حقًا ؟ لقد تعاطفنا سويًا لسبب ما . الآن سأحبكِ .

بالنتيـنـا : أمَّا أنا فلن أستطيع أن أحبك أكثر من ذلك .

لـويســــا : إذن لو عرفتِ كم كان سيزعجنا لو علمتما أنَّنى وبيبى ... حقًا ما يقولون : " إن كل بيت هو عالم على حدة " . احكى لى ، احكى لى ... انتظرى حتى نتأكد من أنَّه لن يأتى أحد . لا ، إنهم مستمتعون جداً بجهاز الأسطوانات . لكن ، يا لها من سعادة ! يا لها من سعادة كبيرة ! . اسمعينى ، أحيانًا كان يجول بخاطرى ذلك ، لكن هناك شىء ما ، لا أدرى ما هو . هل هذا حقًا ؟ وأنتِ ألم تتخيلى أنَّنا كذلك ؟ أعتقد أنَّ ذلك معروف ، لا تستطيع الواحدة منا تفسير ذلك ، لكنَّه معروف . انظرى ، الآن أعلم ذلك وأراه واضحًا جداً ، لا يمكن أنْ يكون شيئًا

أخر . إذا نظرت إلى كل العلاقات الزوجية الموجودة هنا ، من المفترض أنَّها زيجات حقيقية ، لا أقول : إنَّهم لا يحب بعضهم الآخر ، لكن يحبون بعضهم بطريقة مختلفة ، حتى عندما يتشاجرون ، يكون ذلك بطريقة مختلفة ،، لكن احكى لى ، احكى لى كل شىء ، حقًا ستكون كالقصة .

بالنتينا : نعم ، شىء من هذا القبيل ، يحلو لنا جميعًا أن نكون شخصيات لقصةٍ ، لكن فى الواقع أنَّها فى منتهى البساطة : لقد عشقته من كل روحى ، أحببته عندما رأيته حزينًا جدًا ، تعيسًا جداً ، نبيلاً وعظيمًا فى تعاسته . سترين . كما قلت لك كنت أعيش مع والدى وشقيقى ، أمَّا أمى فقد فقدتها مبكرًا ، حتى أنِّى لا أتذكرها . تخيلى سيدتى أنى فتاة فى بيت كله رجال ، بلا وضع اجتماعى ، كنت أعيش حياة المغامرة ، لا ، لا ، لم أكن أشعر بالحماية بينهم ، لقد كنت طيبة ، ماذا أدرى أنا ؛ لأن الله أراد ذلك ، الآن أعلم أنَّ الله كان بجانبى ؛ لأنها كانت معجزة بالنسبة لى أنِّى استطعت أن أحمى نفسى حتى جاءنى الحب ، حب كبير وحقيقى ، استطاع خيرمان أن يتوغل داخلى دون أى شك ، إنه حبيبى خيرمان ؛ فهو الأوَّل والوحيد ، نعم الوحيد، وهذا سبب عزة نفسى ، إنَّه الوحيد .

لويسا : إنَّكِ حقًا محظوظة .

بالنتينــا : عندما عرفته ، وقتها كان على علاقة بامرأة أُخرى، التى كانت ... ، لا أدرى هل أقول إنها صديقتى أم لا . كانت تعيش فى بلدتنا ، كان شقيقيّا يعرفانها ، لم يعش معها خيرمان، لكنه كان يزورها كثيراً ، وكان شقيقاى يعرفانه أيضاً . لقد قلت لك سابقًا ، ومن المحزن أنْ أقول ذلك مرة أخرى ، إنّه لم يكن لدىّ من يحافظ علىّ أو يدافع عنى من أىّ خطر . كانت تلك السيِّدة تتردد على منزلنا ، وهى تمزح مع شقيقىّ ، وكانت تدعونى للتنزه بسيارتها ، كانت تصطحبنى إلى المسرح، وكانت تهدينى ملابسها المستعملة ، التى كانت بالنسبة لى فاخرة للغاية ، ومن ثم اعتبرتها صديقة لى ، أما الناس الذين كانوا يروننا سوياً اعتقدوا أنِّى مثلها . ماذا كان يهمنى ؟ ذلك لأنّ أى فتاة فقيرة مثلى كانت تعيش كما كنت أعيش ، فى منزل كله رجال غير مسئولين ، أكان من الممكن أنْ تتطلع إلى احترام الآخرين لها ، حتى يأتى الخطيب أو الزوج ؟ ... بالطبع لم أكن أفكر فى شىء من هذا القبيل ، لم أفكر أبداً فيما يمكن أنْ أفقده أو ما لا أفقده من تلك الصداقة . كنت أفكر أنّ الحياة فى منزلى فى منتهى الحزن ، وأنّ التحـــول لن يكون إلا بتلك الصداقة ؛ فالمتنزهات ، والمسارح ، والملابس، والقبعات الجميلة ، كل ذلك كان بالنسبة لى جميلاً جداً ، ولم يقل لى أحدٌ إنه

سيئ أيضًا ؛ لأنَّنى لم أتخلَّ عن أخلاقياتى على الإطلاق؛ لذلك كنت فى منتهى السعادة حتى لو فعل أحدٌ أيَّ سوء ، طالما لا يسىء إلى أحدٍ ، حينئذ وبالتالى لا يبدو له أنَّه يفعل سوءًا .

لويســا : بالطبع ، هكذا ، و تقولين إنَّ خيرمان كان عاشقًا لهذه الصديقة ؟

بالنتينـا : عاشقًا لها بجنون وبشكل كبير ، كما كان مخدوعًا فى الوقت نفسه؛ لأنَّه كان طيبًا معها ، أما بالنسبة له ، فلم يكن على علـم بما أعـرفـه عنهـا قـبل أن تتـعـرف على خيرمـان . رغم أنَّه هو الذى أنقذها من تلك الحياة ، فقد صفح عنها كل ذلك ونسى كلَّ شىء، وهذا أصعب من أن يصفح عنها . أما هى ...

كم كانت تكذب عليه ! كنت أرى ما يحدث . مسكين يا خيرمان ! كان يفكر فى أنِّى كنت أخدعه كثيرًا ! كنَّا نسخر منه سويًا ! ... حتى رأيته يبكى ذات يوم ، دموع رجل بلا ضعف أو غضب ولا شكوى أو حتى كلمة فظة . وأمام هذه المرأة غير المحترمة ، التى كانت تهينه بوقاحة خيانتها ؛ فالكلمة الوحيدة التى خرجت من فمه ، بكل الحزن من أعماق نفسه كانت هذه الكلمة فقط : " يا امرأة ، يا امرأة ! " وهذه الكلمة تخرج من بين شفتيه أكبر من أى اتهام ، إنها اعتذار : " يا امرأة ، يا امرأة " .

لـويـســـــا : وهل انتهى ذلك الحب وبدأ حبكما ؟

بالـنـتـيـنــا : لا ، لم يتم ذلك بسـرعـة ، مرَّ وقتٌ طويلٌ . كنت أحبـه ، لكنَّه ... ، كان يحبنى أيضًا ، إلا أنَّه كان يهرب منى ، كان خـائفًـا منِّى... بالنسبـة لى ، لم يكن خـائفًـا منـى ، بل من العودة إلى حبِّى . كـان حبنا حـزينًـا دائمًـا . كلـمـا كنَّا نفـتـرق عن بـعـضنا البـعـض ، كـان يُـخـيِّل لى أننَّـا لن نرى بعضنا ... ، حتى جاء يوم لم نعد ننفصل أبدًا عن بعضنا .

لـويـســـــا : ولماذا لم تتزوجا ؟

بالـنـتـيـنــا : إنَّها قصة أخرى ، فخيرمان متزوج وانفصل عن زوجته ، إنَّها امرأة سيئة السمعة ، خلعت عذار حياءها وتعيش على هواها ، ولحسن الحظ أنَّها فى مكان بعيدٍ عن هنا . وذات مرَّة حدث تحدٍ بين شقيق خيرمان وصديق له ، ولما أراد خـيرمـان أن يعرف السـبب ، علم أنَّ التـحدِّى كـان بسبب الغـيـرة على زوجتـه ، التى كـان أخـوه وصـديق له يتنافسـان على حبها .

لـويـســـــا : هذه بالفـعل قصـة أو دراما . يا لها من أشياء غـريبة ! . حـقًّا لم يكن المسكين حظٌ وفـيـر ، ولهذا فـهـو لا يثق فى الناس جميعًا .

بالـنـتـيـنــا : لكن لا يشك فىَّ ، إنَّه لا يمكن أنْ يشك فىَّ .

لـويـســـــا : بالطبع لا ، فكلمـا مـرَّ الوقت سـيـرى مـاذا تـعنى أنتِ بالنسبة له .

بالنتينـــا : نعم ، نعم ، لابد أنْ يثق فى ذلك ، لابد أن يثق فى ذلك ، لابد أن ينسى كل شيءٍ ، لابد أن يبدو له كل شيءٍ كأنَّه كابوسٌ . وأنتِ يا لويسا لم تحكِ لى قصتك ؟

لـويســـــا : آه قصَّتى ! فى حالتى هذه كان يجب علىَّ أن أشك؛ لأنى قد عانيت من خيبات أمل لا حصر لها فى هذه الدنيا ... اسمعى ، لقد كان لى خُطَّاب كثيرون ، وكانت هذه نقطة ضعفٍ فىَّ ، لكنى كنت مثلك فتاة فقيرة ، وبيتى أسوأ من بيتك ... وليس من المستساغ أنْ يتحدث أحدٌ بسوءٍ عن أهله ، إنَّه لأمرٌ محزنٌ . كنت سأتزوج بيبى لولا أنَّ أحد خُطَّابى الغيور أطلع بيبى على خطاباتى الغرامية له ... فعندما تحب الواحدة منَّا ، أو يُخيَّل إليها أنها تحب ، تكتب كثيراً من الهراءات دون تفكير ... لأنَّ بيبى كان يحبنى ، لذلك غفر لى كُلَّ شىء، ولأنِّى أحبه أيضًا ، كنا سنتزوج ، لكنِّى لم أكن أحب أن يمنَّ علىَّ أحد ، وليكن كلٌّ منا حرًا ، و إذا استاء أحدنا ذات يوم فليمضِ كلٌّ منا إلى حال سبيله . أليس ذلك أفضل ؟

بالنتينـــا : لكن هل تعتقدى أنَّ الزواج وليس الحب هو الذى يجمع بين الأشخاص ؟

لـويســـــا : نعم ، بالطبع ؛ لأنَّ الزواج بدون حب هو أسوأ من الحب بدون زواج ، لكن فى النهاية ، وبسبب تأثير المجتمع والناس لن تستطيعى أن تنكرى علىَّ أنَّ الزواج لا تنفصم

عراه بسهولة . التزمي الصمت ... ، لقد تركوا جهاز الأسطوانات . وسيأتيان ليأخذانا . لم أقل لك شيئًا ؟ فنحن صديقتان أكثر من أى وقت مضى ، فلنتحالف للدفاع عن أنفسنا ، كما تقولين . من الممكن ألا ينتهى المصيف بدون أى إزعاج . أنا أعلم ذلك جيداً ، خصوصاً السيِّدة توماسا ، التى لن يقر لها قرار حتى تتقصى الحقائق عن حياة كل الناس صغيرها وكبيرها . وحتى تعرف كل شيء ، لن يهدأ لها بال .

بالنتينا : السيِّدة توماسا ... نعم ، أنت محقة تمامًا . يا لها من سيدة ! بل يا لهما من زوجين !

لويسا : بالفعل، إنَّه زواج مثالى ، زواج حقيقى . لا يوجد أى خوف من أن ينفصلا بسبب أى خلاف كبير ، إنَّهما يتشاجران فى كل وقت، وهما محصَّنان تمامًا ، وهما لا يتفقان حتى لمجرد الصدفة ، يعيشان هكذا منذ عشرين سنة .

بالنتينا : فهما لا يحتملان ، خيرمان الآن فى نعمة . فقد نالا إعجابه كثيراً .

لويسا : إنه يستمتع بالحوار مع السيِّدة توماسا والاستماع إلى ما تقوله من تفاهات .

بالنتينا : فخيرمان بكل رقته ، يبدو أنَّه توَّاق لكى يتشرب من اللغة السوقية . أنتِ ترين أنَّ كل ما يسليه هنا هو جهاز الأسطوانات ، ولعب (TUTE) (إحدى ألعاب الورق) ،

والسيِّدة توماسا ، و تحمل السيِّد روسندو والسيِّد ليونثيو صديقه المفضل ، إنه كائن مقزز ، منافق ، كاذب نصاب ... وخيرمان يعلم ذلك ، إنَّه يعرف ذلك جيداً . تخيَّلى ماذا يقول لتبرير إنَّه الصديق المفضل ؟ " هو الوحيد الذى لا يمكن أنْ يخدعنى " . إلى هذه الدرجة وصل شكُّه فى كل مَنْ حوله على الرغم من كونه طيبًا ونبيلاً ... أخبرينى أليس ذلك أمرٌ مُحزنٌ ؟!

المشهد الثانى

الشخصيات نفسها وخيرمان
والسيدة توماسا والسيد روسيندو وبيبى

توماسا : لقد تركتمانا .

بالنتينا : معذرة سيِّدتى ، كان يجب علىَّ أنْ أكتب خطاباً وطلبات ... أتت لويسيتا لتبحث عنَّا، لكننا انهمكنا فى الثرثرة .

لويسا : كلُّ هذا ! ... بيبى يعانق بالنتينا .

بيبى : إذا سمحت بذلك، ولم يغضب خيرمان .

خيرمان : لا ، ستعرف لويسيتا السبب .

لويسا : إنها أمورنا الخاصة .

بيبى : " وهو يعانق بالنتينا " إذن هيَّا ... بالفعل ستعرفون ...

توماسا : إنَّنى أحس أنَّ تغيراً سيحدث ...

لويسا : فليحفظ الله لكِ فطنتك يا سيِّدة توماسا .

توماسا : آه ! لقد جاءت سيِّدات أسرة أوليديو ليدعوكم لزيارتهن إلا أنَّهن انصرفن؛ لأنَّ لديكم زيارة، ويخبرونكن بألا تتأخروا

هذه الليلة ... سيكون عزف موسيقى ، وسيكون هناك غناءٌ .

خيرمـــان : لن نتأخر .

بالنتينـــا : لكن ، خيرمان !

تـوماســـا : لا تنسى أنْ تحضرى جهاز الأسطوانات . يا لها من أسطوانات قيمة ! أسطوانات أنسلمى وساجى باربا ... ، يعجبوننى كثيراً ، سأظل أسمعهم طوال حياتى . مع جهاز الأسطوانات يمرُّ الوقت دون أنْ نشعر به ، وهذا لم يرد أن يعطينى أبداً هذه الفرصة للاستماع .

روســينـدو : يا امرأة ، هنا فى الرِّيف ، يكون هذا أمراً جيداً، لكن فى مدريد أضع نفسى مكان الجيران ...

تـوماســـا : نعم ، فهم يقدمون لنا كل أنواع التوقير والتبجيل ... فالذين يسكنون فى الطابق العلوى كأنَّهم فى سباق خيل ، والذين يجاورونا ، فى هرج ومرج وفضائح ... فالسيِّدة تتشاجر مع الخدم ، والزوج مع الزوجة وفتياته ، وتتشاجر الفتيات مع الجميع ، كنت أتمنى تغيير المنزل ، لكنَّه لم يعطنى الفرصة .

روســينـدو : لكن يا امرأة ! هل هناك حيٌّ لم نعش فيه ؟

تـوماســـا : إنَّنى أرتعد عندما أرجع إلى مدريد . لا أعيش إلا الصَّيف ، وخاصة هذا الصَّيف ... ولو لم يكن من أجلكم لما عدنا إلى هنا .

روسيندو: لم نعد أبدًا إلى أى مكانٍ .

توماسا : إنَّه مثل القطط ، يتعايش مع كل شيءٍ، مع المنازل ، مع الأثاث ... لكن أخبرونى أليس لدىَّ الحق ؟ هذه القرية لها الكثير من المتطلبات ، وكل شيءٍ غالٍ جدًا ، يعتقدون أنَّ الواحدة تأتى إلى هنا؛ فيمكنها الادخار والتوفير، ومع ذلك ننفق أكثر مما يُنفق فى سان سباستيان ، هؤلاء الناس يتعسَّفون بشكل كبير ... ثم إنَّ الطقس أكثر حرارة من مدريد، ويوجد أناسٌ من كل حدبٍ وصوب ، لا تعرف الواحدة منا مع من تتعامل ، لولا وجودكم ....

بيبى : شكرًا جزيلاً .

لويسا : نحن إذن أمضينا وقتًا جميلاً ، وأنتما ؟

خيرمان : كل الأماكن سيَّان ؛ ففى أى مكان يمكن تمضية وقت طيب .

توماسا : إنَّك بشخصيتك تستطيع أن تتكيَّف مع كل الناس ، طالما أنَّك قد تحملت السيِّد خواكين وزوجته .

خيرمان : عجبًا ! إنهما شخصان طيِّبان .

توماسا : كان لديهما منزلٌ ثم باعوه منذ ثلاث سنوات عندما هربت ابنتهما الكبرى مع ممثل فكاهى تافه ، وزوجة نونيث تعرف القصة بحذافيرها . أمَّا الآن فكما ترى حضرتك الأهمية التى يتظاهرون بها ؛ فهم لا يتحدثون إلا عن آلاف (Los Duros) (جزء من العملة الإسبانية يساوى

خمس بيزتات) ، البيت الذى اشــتـرياه ، أسـهمـهما فى البنك التى باعـاها ... وإذا كـانت الحـيـاة هى التى يعيشانها، فإنى أستمتع أكثر رغم تواضع حالى ، إنَّها سيدة لا تستمتع إلا بمشاهدة الأفلام ، تقول إنَّ المسرح لا يحظى بإعجـابهـا، ولم تر " مـاروخا " ولا " طواحـين الهواء " [1] . ما رأيكما ؟ بالنسبة لى ، فأنا إذا حرمونى من الأشـيـاء الفنيـة ... فـعند اسـتـمـاعى لأية مـقطوعـة موسيقية أبكى كالسفيه . إنَّ زوجى هذا يشتاط غضبًا لأنَّه لا يحب الأشياء الفنية .

روسـيـنـدو: هذا ما تقولينه ؛ فعندما نذهب إلى المسرح الملكى من يبدأ فى الاستغراق فى النَّوم .

توماسـا : هل أنا أنام ؟ اسكت ، اسكت ! إنَّ أى شـخص ... لا لأنى أنام بل لنشوتى طربًا .

روسـيـنـدو: هل تعـرفـين أنَّ أهل نونيث ينتظرونكم ، سـيكون هناك أناس كثيرون ؛ ألن تأتيا؟

بالنـتـيـنـا : لا ، فأنا مرهقة جداً .

خـيـرمـان : يجب أن نذهب ، ستـقـضـين المساء هنا ملولة ، نحن الاثنان فقط .

---

(١) مسرحيتان مشهورتان فى المسرح الإسبانى .

بالنتينا : يا خيرمان !

لويسا : ماذا تقول يا سيدى ! فبالنتينا لن تشعر أبداً بالملل إلى جوارك ، و خاصة إذا كنتما بمفردكما .

توماسا : الآن ، الآن ، كأنكما فى شهر العسل ، يا لكما من قدوة حسنة ! عجباً يا بالنتينا ، إلى اللقاء ، هل ستتأخران ؟

خيرمان : لا ، لا ، إطلاقًا .

روسيندو: إلى اللقاء .

خيرمان : إلى اللقاء . (تخرج السيِّدة توماسا والسيِّد روسيندو) .

المشهد الثالث

الشخصيات نفسها ما عدا السيِّدة توماسا والسيِّد روسيندو

لويسا : هل استمتعت مع السيِّدة توماسا ؟

خيرمان : يا لها من سيدة مسكينة ! ... لقد ظلمتماها .

لويسا : ألم تلاحظ أنَّ بالنتينا أصبحت غيورة . عجبًا ، خيرمان إنَّك لن تخدعني ، لقد أشعرتك السيِّدة توماسا بالملل مثل كل الناس ، لكننا نعلم أنَّك تشجع الملل .

خيرمان : هذا ما قالته لك بالنتينا ، هذه فكرتها عنِّي . بالعكس ، فأنا أحاول دائمًا ألا يصيبني الملل أبدًا ، و لذلك فقد كرَّست نفسي لدراسة الأشخاص ؛ فالدراسة دائمًا متعة روحية ، و لكي تدرس شخصًا ما ، فليس هناك أفضل من أن تعطيه الفرصة حتى يظهر على حقيقته ، إذا كان غبيًا حتى يُظْهِر كل غبائه ، و إذا كان شريرًا حتى يُظْهِر كل شروره .

بيبي : إذن يا صديقي ، لقد حققت ما تصبو بالنسبة للسيِّدة توماسا ؛ لأنَّها تبوح لك بمكنون أسرار روحها .

لـويـســـــا : لقد قـالت لك أشـيـاء غـيـر طبـيـعـيـة : إنَّ الطقس شـديد الحـرارة في الصـيف وقـارس البـرودة في الشـتـاء ، و إنَّ الشمس تحـرق جلد الإنسان ، أمَّا الظل فيشـعر بقليل من البرودة ، و إنَّ طقس مـدريد تحدث به تغييرات مفـاجئة ، و إنه لا توجد مـيـاه في العـالم أفضـل من مياه لوسيا[1] ، إنَّها اكتشافاتها الشخصية .

خـيـرمـــان : إنَّهـا اكـتـشـافـات قـيـمـة مـثـل باقي الاكـتـشـافـات . إنَّـــنا أنانيـون ، لا نـسـتـطيع أن نتـخلص من الأنا المتـغطرسـة ، ويبدو لنا أنَّ الأذكياء فقط هـــم الذين يخبروننا بما نفكر فـيــه ، وهـم الذين يجب أن يحظوا بأدنى اهـتــمـــامنا . فـالأشـخـاص الذين نسـتلطـفـهم نضـفي عليـهم فـضـائل صفاتنا وخصالنا ، أمَّا الذين لا نستلطفهم نصمهم بأقذع العـيوب والنقـائص التي نـعـتـقـد أننا لا نتـسـم بهـا . ولذلك نسميها عيوبًا ونقـائص؛ لأنها ليست فينا ، لابد أن نحكم على الأشـخـاص بحيـاد تام، وهذه هي الطريقـة الوحيـدة لكي يحظى الجميع باهتمامنا .

بـــيـــبـــي : من وجـهـة النظر هذه ... ؛ فـالناس سـواء أكانوا طيبين أو أشرار ، أغبـيـاء أو أذكيـاء ، فـهم سـواسـيـة ، كل العـالم مهمون .

---

(١) اسم مدينة في إسبانيا .

خيرمان : هذا بالفعل ، مهم ، فمن الأفضل أن يبدو الناس والحياة هكذا .

بالنتينا : (للويسا) ها قد سمعتيه ، فهكذا أنا بالنسبة له ، مهمة ، إنَّه لا يحبنى ، بل يدرسنى ... ، وحتى الآن لم يستطع أن يطلع على مكنون قلبى .

لويسا : لا تكترثى . كلٌّ ما يقوله مثل من يغنى حتى ينتزع الخوف من داخله . هكذا يكون كل المشتاقين المتيمين . لو كنت مكانك لجعلته يتجنن من الغيرة ، لا يوجد شىء مثل الغيرة لكى تزيل القناع لهؤلاء السفلة الذين سمحوا بأن يكونوا عرضة للخداع مراًت لا تُحصى .

بالنتينا : أجعله يشعر بالغيرة ؟ لا حتى ولو كان ذلك من أجل سعادتى .

لويسا : إذن حذارِ ، أرجو ألا يكون هو الذى يجعلك تغارين لاختبارك .

بالنتينا : ولا أنا أيضًا . هو يعلم ... ، يجب أن يعلم ذلك ، فإنَّنى أتعذب . لو كان ذلك ممكنًا ...

لويسا : نعم ، أنت محقة ، أفهم من أسارير وجهك أنَّه أمرٌ خطيرٌ ، لا ، أنتما لا تلعبان ، لكنَّكما تلعبان بفقدان الثقة التى فيما يتعلق بالغيرة لا أساس لها ، لكن على الأقل هو يعلم أنَّ حضرتك لا تحبين أحداً غيره فى العالم ،

وحضرتك تعلمين أنَّه يحبك أنت وحدك، أما ما عدا ذلك ...
هي رغبة في التعذيب .

بالنتينــا : إنَّها الحقيقة ، لكن الحب الحقيقي لا حدود له . يريد الشخص أن يقرأ أفكار من يحب فكره .

لويســا : إذن لن يوجد حبٌ ممكن ، كما يقولون عن القديسين ، إنهم يقترفون الذنوب والآثام سبع مرَّات يوميًا ، وعندما يحب الشخص شخصًا آخر حبًا مخلصًا ، يظن به سُوءًا سبع مرَّات في الساعة . أنا أتحدث عن نفسي ، لكنني أعتقد أنَّنا في ذلك سواء ، الآن ، فعندما يكون الحب حقيقيًا، فإنَّ الأفكار السيئة تتلاشى ويبقى الحب . حضرتك تقولين وإنْ كان أكثر حزنًا أنَّه عندما نقرأ أفكار بعضنا البعض فإنَّنا نعتقد العكس ، إنَّ الحب هو الذي اندثر أمَّا الأفكار السيئة فهي باقية ، لكن هل ستسقطون في شرك الشطرنج . إنَّها لعبة مملة ... آي ! معذرة ! لقد نسيت أنه لا يوجد شيء ممل؛ فكل شيءٍ شيق .

خيرمــان : الشطرنج ، شيقٌ للغاية ، إنَّها لعبة الآلهة ، ندير وفق آرائنا عالمًا صغيرًا ، بكل شخصياته ! من يعرف فقد يكون العالم – بإيجاز – أكثر من ذلك ، عبارة عن لوحة شطرنج كبيرة ، يتلاعب أشخاص كبار ، كما نلعب نحن بقطع الشطرنج .

لويسا : على أية حال من الأفضل دائمًا أن تجعلكم هذه اللعبة المرعبة التى تلعبونها كل الأيام تتحملون كل فظاعات السيِّد خواكين ، عندما يخسر فإنَّه لا ينقصه إلا أن يسميكم لصوصًا .

خيرمان : إنَّه ظريف جدًا ، إذن انظر حضرتك، لكنه محقٌ تمامًا؛؛؛ لأننا ندبر بعض الخدع .

لويسا : اسكت ، اسكت !

خيرمان : أؤكد لحضرتك ذلك، إنَّنا ندبر له خدعًا ، حذارِ لأنَّ زوجك لا يفعل ذلك فقط فى اللعب بل معك أيضًا .

بالنتينا : لكن خيرمان ! ...

خيرمان : عندما تلعبون سويًا، فإننى على يقين كامل من أنَّ هناك وطأً ذكيًا بالأقدام تحت الطاولة .

بيبى : بالله عليك يا خيرمان أتصدق هى ذلك !

لويسا : إذا أخبرنى بذلك شخص آخر .

خيرمان : آه ! هل هذه سمعتى لديك كنصَّاب أو كذاب ؟

لويسا : نعم يا سيِّدى ، كاذب . إنَّه مثل آخرين يكذبون من أجل مصلحتهم ؛ فحضرتك تكذب تجنيًا على نفسك . صدقنى لن تناسبك الدعابات التافهة ، على نهج ما يتحدث به الآخرون ، إذا كنت لا تريد أنْ تصيبك الألفاظ السوقية .

خيرمان : هذا أيضًا ما قالته لك بالنتينا . تصرُّ على أنَّنى كائن راقٍ ، أى أنَّنى لا أستطيع الترويح عن نفسى كالآخرين ، لا شيء من هذا القبيل . أنا رجلٌ عامى ، واحد من آخرين كثيرين ، وهكذا كانت حياتى ، الأكثر سوقية ، الأكثر تفاهة كحياة أى رجل آخر ، وأتمنَّى أن تظلَّ هكذا ، هذا ما أتمناه .

لويسا : لا تزعج نفسك ، فإنَّك لن تقنعنى ، سنتكلم فى وقت لاحق ، الآن نستطيع أن نتكلم عن كل شيء ، عفواً لقد واتتنى فكرة .

بيبى : ماذا ؟

لويسا : أن نأكل معًا هذه الليلة .

خيرمان : فكرة جميلة جداً . سنأكل هنا ، إذا وافقتما .

لويسا : لا ، لا ، فى بيتى ، أنا التى أدعو ... نشرب بعض زجاجات الشامبانيا التى تسلمناها من مدريد ، إنَّها هدية عم بيبى ، العم أوخينيو ، الوحيد من العائلة الذى يدافع عنَّا ... ولولاه فبالمرتب التعيس ... ، لكنَّه يحبنا كثيراً . يقول : إنَّ الأوضاع الغريبة تحظى بإعجابه ؛ فوضعه غريب للغاية ، إنَّه يفتح ثلاثة منازل ... ينظر خيرمان إلىَّ مذعوراً عند سماعه هذه الأوضاع الغريبة . مت من الفضول ، سأشرح لكم كل شيء فيما بعد . أحقًا يا بالنتينا ؟

بيبي : هل بوسعى أن أعرف ألغازكم ؟

خيرمان : هما يعرفان .

لويسا : لا شيء ، لا شيء ، سيكون التفسير فيما بعد ، سأذهب الآن إلى المنزل لأعدَّ كل شيءٍ .

بالنتينا : بالله عليك لا تسرفي كثيراً !

لويسا : ستكون وليمة هائلة ، هذا أقل واجب ! إنَّ هذا اليوم بالنسبة لي هو من أسعد أيام حياتي ... لكن هؤلاء الرجال يا لهم من كسالى ! فلأتفه الأسباب تطرد المرأة إلى الشارع . هيا ، هيا ليس الآن . فلتستمتعوا حضراتكم . لا تصاحبيني حضرتك ، إنَّني سأقول لا ترافقيني بلا تكلف ، فمن اليوم سيكون الخطاب بلا ألقاب ، فما رأيك ؟

بالنتينا : بكل الحب ، إذا كنت في حاجة إليَّ ...

لويسا : سأقول لك . مع السلامة (تخرج لويسا).

المشهد الرابع

نفس الشخصيات ما عدا لويسا

بالنتينـا : سعيدة دائماً ، كم أحسد شخصيتها .

بيبي : لو تعلمى كم تُنهك نفسها ... لأن معظم النَّاس تمشى حزينة ومعتلة المزاج؛ لأنَّ سعادة الآخرين تبدو لهم إهانة ، لذلك يأتون بآلاف التفسيرات والتأويلات غير المفضلة . على الأقل أسوأ مما تبدو عليه عدم الاهتمام والضعف . ولويسيتا برغم ما تظهره من سعادة ؛ فهى جادة جداً فى مواقف الحياة الصعبة ؛ فهى تعلم كيف تفكِّر بقرارٍ سليم، وأنا أيضاً كنت مخطئاً فى حكمى عليها ، والآن أعرفها جيداً . لقد مرَّت حياتنا بأيَّام صعبة، واستطاعت هى أنْ تتغلَّب على كلِّ شيءٍ بحماس أكثر منِّى ، ولولاها لقهرتنى الصِّعاب .

بالنتينـا : نعم ، نعم ، إنَّها امرأة رائعة ، أستطيع أن أرى ذلك جيداً ، أنت تحبها كثيراً .

بـيـبـي : يُحبُّ أحدُنا الآخر .

خيرمـان : أعتقد أنِّي أسمع صوت ليونتيو .

بالنتينـا : بالتأكيد ، لم يظهر منذ عدة أيَّام .

خيرمـان : أقـول لك ذلك إذا أردت عـدم رؤيـتـه ؛ لأنِّي أعلم أنَّه يضايقك .

بالنتينـا : أنا ؟ لا ، يمكن أن يضايقنى إذا ضايقك . أنت تعرفه أكثر منِّي ، وتـقـدره على الرغم من كل ذلك . مـاذا تريد أنْ أقول ؟

خيرمـان : الحقيقة ، إنَّكِ لا تستطيعين رؤيته ولا حتى فى الصورة . عفواً يا صـديقى بيبى ، لقد أدهشتنا المجـموعة . من الأفضل أن تدعونى وحدى معه، وخاصة أنَّه قد يبقى لقضاء الليلة هنا ، يجب أنْ يأكل معنا أو أن نلغى الطعام المقترح .

بـيـبـي : كما تحب حضرتك ؟ إذن مع السلامة .

بالنتينـا : وأنا سأنصرف مع حضراتكم ، إذا ذهبت حضرتك إلى منزلك . سأساعد لويسيتا فيما تُعدُّه .

بـيـبـي : سأذهب إلى الكازينو ، لكن سأصطحبك إلى المنزل .

خيرمـان : ها هو هنا . إلى أن نتحدث معًا على انفرادٍ ، سيكلفنى وداعه قليلاً .

بالنتينـا : نعم ، سيكلفك المعتاد بالمعتاد ، ثلاث أو أربع دورو .

المشهد الخامس

نفس الشخصيات وليونتيو

ليونتيو : (**وهو يغنّى**) " نعتذر عن التأخير يا أيتها العفيفة الطّاهرة ... " فى صحتك . لن أواصل الغناء؛ لأنّه إذا أمكن غناء ذلك " فإنّ فيه سعادة غامرة " ، يا للذة هذه الرقصة والغناء " ؛ لأنّ بفضل الله كل شىء رخاء وروعة .

خيرمان : أهلاً ، أهلاً ، هل مزاجك معتدل ؟ ماذا حدث لك ؟ كيف لم أرك منذ فترة طويلة ؟

ليونتيو : الدلال ، أردتك أن تفتقدنى . هذا ما اتبعته وأنا الآن راضٍ . على الرغم من أنّ السلام كان عامًا موسيقيًا ، فإننى لم أرد أن أصافحك، وخاصة الحبيبة بالنتينا . تبدو أجمل كل يوم . عجبًا يا صديقى بيبى ، تسعدنى رؤيتك كثيرًا .

بيبى : سعادتى .

خيرمان : وصلت الآن ؟

ليونثيو : فى تمام الثانية والنصف وخمس دقائق . عندما جئت من المحطة أردت أن أسلِّم على زوجتك ، كل يوم تبدو أجمل ، عجبًا ! رجال سعداء . وأنت يا خيرمان ، كيف حال الدنيا معك ؟ إنَّك فى حالة جيدة ! لم أرك هكذا أبدًا .
أنت رجلٌ محظوظٌ ، نعم يا سيدى ، على الرغم من أنَّه لا يُعتقد ذلك ، حتى أحداث حياته التى ربما تبدو له تعيسة ما كانت إلا سبلاً ووسائل موجزة ، شىء شاق ، حقًا لكنَّه فى النهاية تؤدى به إلى السعادة . سنرى ، ألست سعيداً اليوم ؟ ألا تعتبر أنَّ كل شىءٍ قد تم توظيفه جيداً ؟ ماذا كنت أقول لك دائمًا ؟ الحياة ما هى إلا تعويضات . بالنسبة لى ، لم تعوضنى أبدًا ، لكنِّى لم أيأس ، نعم لم أيأس . شىء متهور يأخذنى ، لكن ساعة من السعادة تعوض الكثير من الآلام . حتى الآن آمل أن أكون محظوظًا . يا لك من عفريت ! فهناك الكثيرون أكثر تعاسة . عندى أصدقاء طيبون وعندى ابنة هى كل سلواى وأملى ... لقد سمعها بالأمس صحفيون وممثلو مسرح، وبهروا بها وأرادوا أن يأخذوها معهم إلى أمريكا، وهذا ما كانت تتوق إليه، لكنِّى لا أريد أن أتورط أبدًا . بالنسبة لى فإنها تضحية كبيرة جداً ، إنَّنى لا أعارض موهبتها ،

لكنّى أستسلم . أودُّ أن تسمعوها حضراتكم . كيف تغنٍّى الأغنية الشعبية، وكيف ترقص الجاروتيس والبلوريّاس ببديهيتها؟ كل ذلك ببديهيتها فقط؛ لأنّها لم تر أى شيء، ولم يسبقها أحد فى العائلة .

بـيـبـى : كنت أودعهم عند مجىء حضرتك ، و بالنتينا كانت ستخرج معى إذا لم نتقابل بعد ذلك ...

ليونثيو : نعم ، نعم ، سنتقابل ؛ فلتصالحنى على بالنتينا مرّة أُخرى .

بالنتينا : ألم تُحضر أى خطابات اليوم ؟

ليونثيو : بالنتينا ، فلتكونى متسامحة . ما الذى لم أفعله حتى أنال لطفك الكريم ؟ كيف أقنعك أنّنى صديق طيب لكِ ؟ وهذا الخطاب ... ، هذا الخطاب ... ؟

بالنتينا : يجب أنْ تعلم أنَّ خيرمان لا يخفى علىَّ سراً ولا أنا : ولا خطابات ولا كلمات .

ليونثيو : أعلم ذلك ، أعلمه . وفى ظل كل هذه الطمأنينة ، هل من الممكن السماح لى بأن أستمتع بصداقتك القديمة ؟ وغداً ستستمتعين لو ...

بالنتينا : شكراً ، لكنّى لا أعتقد أنَّ هذا اليوم سيأتى ، كما تحب ، عفواً يا بيبى .

(تخرج بالنتينا وبيبى) .

المشهد السادس

خيرمان وليونشيو

ليونشيو : أترى ؟ يحدث لى كلُّ ذلك؛ لأنَّك صديق من بين أصدقائي، و لأنَّك لا تعرف كيف ترفض أبداً ... لقد أرسلت لك خطاب أديلا ، وبالطبع، فإنَّ بالنتينا تعتقد أنِّى سبب المشكلة، وخاصة أنَّها تعتقد أنِّى عدوها، وأنَّ لى مصلحة فى عودتك إلىَّ أديلا . تخيَّل ، أنت تعرفنى ، إنَّ أديلا صديقتى وهى طيبة جداً معى ، أكذب إن لم أقل إنِّى مدين لها بالاحترام ؛ لأنها كانت دائمًا طيبة معى؛ لأنَّها ستكون كما تشاء، ولأنَّها تصرفت معك بطريقة غير لائقة ، أعترف ذلك ، غير لائقة ، لكن لديها قلبًا كبيرًا ، ولو أنَّك رأيتها تبكى كما رأيتها أنا وهى نادمة على تصرفاتها معك ...

خيرمان : نعم ، أعرف كيف تبكى : فكل النساء يعرفن البكاء ببراعة .

ليونثيو : يا رجل ، هذا لأنَّه قد خاب أملك معهنَّ ، لكن لا تستطيع أنْ تعيش بدونهنَّ .

خيرمان : لسوء حظى ، والآن لسوء حظها .

ليونثيو : حظها هى ؟ تقول بالنتينا ؟ إذن فمن الممكن أنْ تأمل حظًا أوفر ؛ أليست مبسوطة معك ؟

خيرمان : مسكينة بالنتينا ، كل ذلك بسببى !

ليونثيو : أهكذا أنتم ؟ كنت أعتقد ... إذنْ ألست سعيدًا ؟

خيرمان : أنا كذلك ... على الرغم من كونى أتعس السعداء ؛ فأمامى الحب الحقيقى يطرق قلبى . وأنا أسدُّ أمامه الطريق ... ، فأمام كل كلمة حقيقية يتذكر قلبى هذه الكلمات، التى كانت تبدو لى حقيقة، ثم أصبحت بعد ذلك كذبًا . أرى أنَّ كلمات اليوم حقيقية ، لا أشكُّ فى ذلك ، لكنَّنى أفكِّر عندما أسمعها أو أؤمن بها لو أنَّها اليوم حقيقية ، وكلها اليوم حقيقية ، لكن غدًا ... ، بعد ذلك ... يومًا ما ... ، وإن كنت أصدقها الآن ، هذا اليوم لن يكون كتلك الآيام المرعبة التى حطمت حتى ذكريات الأيَّام السعيدة ، الأيَّام التى كنت أؤمن بها بكل روحى . لكن كذبة واحدة فقط كانت سببًا فى أنَّه لم يعد هناك أىُّ شىء حقيقى ، لقد أصبح من الصعب أن تفصل الحقيقة عن الخديعة فى الذكريات والسعادة فى الحزن؛ لأنَّ الحلو والمر يختلطان فى شىءٍ واحد .

ليـونـثـيـو : عجباً يا خيرمان ، كل ما حدث لك أنَّك لم تعد أعمى كما في المرات السـابقة ، أعنى أنَّك لم تـعد مغرمًـا بهنَّ . هذا أفضل ؛ لأنَّك بسبب شخصيتك وطبعك قد أوليت دائمًا اهتمـامًـا زائدًا للمـرأة فى حيـاتك ؛ فـعندمـا كنت تحب امـرأة ، كنت تقدسـها جسـداً وروحـًا ، تتـغـاضى عن كل شىء ، وتتنـازل عن سـماتك وخصـالك .. أعنى أنت؛ لأنَّك بموهبتك ومالك والعلاقات التى كانت لديك ، لم تكن تكترث بهـا ، وكنت قـادرًا على أن تكون كـمـا تريد . وهذا خطأٌ كبير؛ فالمرأة لا تستحق أنْ تتنازل عن عرشك بسببها : يُفَضَّل أن نعدو لنفوز به، على الرغم من أنَّه عندمـا نذهب لنفوز به نتركها وحيدة وملولة إلى حد ٍما . لا يوجد ما يقلل زهدك بامرأة تستطيع مجاملتها . إذا فزت بالعرش فـسـتـعـتـقـد هـى أنَّه من أجلها . حـتى وإن كـان ذلك لأجل إرضـاء طمـوحك الخاص ، وإنْ تنازلت عنه سـتـعـتـقـد أنَّه بسبب الجبن أو لاستحالة الفوز به ، وإنْ كان ذلك بسبب حبِّك لها . ومن يقل عرشًا ، يقل حفظ النسب الواجب ، وثيقة نائب ، حكومة مدينة أو مصير ثلاثة آلاف بيستا . سيدى ، يوجد نسـاء يستحقون أن يخونهم أحدٌ مع نساء أُخريات أو مع أىٍّ من النسـاء المشـهـورات بالجـمـال أو بالوجـاهة أو بالحـصـانة . وأنت يا عزيزى خـيـرمـان قد

علمتنا معرفتهن بحبك الزائد لهنَّ ، فلكى تدرس امرأة فلن تفيد دراستها نفسها ، لكن لابد أن تدرسها بين أصدقائها . فى هذه الدراسة ، كما فى الكلية ، فأنت تعلم أنَّ أفضل الدَّارسين هم الذين يذاكرون كتبًا مستعارة ، حسنًا فالآن ، دون أن تشك بالنتينا أنِّى أتدخَّل فى هذا الموضوع أبداً . هل من الممكن أن أعتمد على أديلا فى هذا المبلغ القليل ؟

خيرمان : نعم ، ممكن أن تعتمد عليها .

ليونثيو : خيرمان يا حياتى ، لا تجمع ! يعلم الله جيداً أنِّى لو تدخلت فى هذا الموضوع ، ....

خيرمان : لم تضعف فصاحتك . لم أعرف النساء ، لكنِّى أعرفك، ولم يفتنى أى شىء فى تقديرى . وأنت صريح جداً فى عدم صراحتك !

ليونثيو : نعم ، أفهم لماذا تتهكَّم علىَّ هكذا . لقد أسأت استخدام صداقتك ... أحيا دائمًا على أمل أنى سأستطيع أن أردَّ لك يومًا كل ما فعلته من أجلى . سيكون أكبر إرضاء لى فى حياتى . وللشىء نفسه، فإنَّ الله لا يريد أن يمنحنى إيَّاه . كما يجب أن يكون ! ولذلك فأنا مستسلم؛ لأنَّنى لم أسدد لك دينى ، ستكون سعادة كبيرة بالنسبة لى . أنت طيب جداً يا خيرمان ، أنت طيب جداً ، لكنَّك مظلوم معى ... فى يومٍ ما ، يومٍ ما ...

خيرمان : كفى ، كفى ، فلا جدوى من الرقة والحنان .

ليونثيو : الحياة قاسية ، قاسية جداً ، وتكمن قسوتها الكبرى فى أنها لا تسمح للأشخاص الذين ينالون تقديرنا بأن يستطيعوا معرفة مشاعرنا الحقيقية ، فينخدعوا بالمظاهر الحقيرة ، بنات الحاجة فى الحياة البائسة ، وأكل العيش ، لكن كما يقول الشاعر : " ليست الأرض هى مركز الأرواح ... " آه ، لم نفقد مبادئنا ، على الرغم من هذا الصراع المستمر، الذى يضيع فيه كل شىء حتى الخجل يا عزيزى خيرمان ، الخجل ...

خيرمان : حسنًا ، حسنًا .

ليونثيو : لا ، لن أحضر لك أى رسالة من أديلا ، أو على الأقل لن أجرؤ على سؤالك إن كنت تذهب إلى بيتها أم لا .

خيرمان : نعم ، لِمَ لا ؟ لقد قلت لك إنِّى سأذهب ، عندما نعود إلى مدريد . سأذهب لأراها . يمكننى رؤيتها بهدوء . سأرجع لأسمع ضحكتها وكأنها طفلة ؛ لأنِّى الآن لا أصدق دموعها ، وستبدو لى أكثر طفولية . أكثر براءة ... نعم سأذهب لأراها ، لِمَ لا ؟
كيف تجرؤ على ارتكاب هذه الخيانة ؟

ليونثيو : خيانة ؟ ... نعم ، أريد أن أكون أوَّل من يبدأ بالخيانة ، لو

خيرمان : أنَّ غداً أو يومًا ما ...، يومًا ما ، قد خدعتنى بالنتينا أيضًا ، ماذا سيحدث أكثر من أنى سأكون مخدوعًا ؟

أريد أن يكون لى ما يدينني . عندما نحكم على الآخرين، ونحن نعتقد أننا غير مذنبين لكوننا قاسين جداً ، فالمذنب فقط هو من يجب أن يحكم على المذنبين ؛ لذلك أريد أنْ أكون مذنبًا ، أحتاج إلى أن أكون كذلك لكى أفهم الخديعة التى لا يمكن شرحها ، الخديعة التى هى فقط ... ، الخديعة دون أنْ يبررها أىُّ شىء ، أو حتى يغفرها ، هذا فقط ، أن أكون قادراً على ارتكابها، وهذا ما أريده ، ما أريده . هو أن أعرف أنَّنى قادرٌ على فعلها ، لكى لا أعود إلى سؤال نفسى أبداً عن الخديعة التى لا يمكن شرحها، والتى دمرت حياتى : " لماذا ، لماذا يا إلهى ؟ " كثيراً ما أعتقد أنى سأصاب بالجنون عندما أسأل عن ذلك؛ لأنَّك تقبل الأذى والسوء الذى يفعلنه بنا ، و نحتاج أنْ نفهم أنَّ ذلك عقابنا ، عقاب إثم أو خطيئة قد فعلناها ، لابد أن نفهم أنَّ الأذى أو الضرر نستحقه عن جدارة ؛ فالشر فعلناه نحن بالآخرين دون وجه حق تقريباً الانتقام بالأذى أو الضرر الذى يفعله الآخرون بنا .

ليونشيو : صدقت ، و لذلك ، بدون شك ، أنا صديقك المخلص ، صديق حياتك ، لابد أن أُحاسب الآن على الخيانات والعذر الذى ارتكبته ، لو كان هكذا فإنِّى أسامحك .

خيرمان : نعم ، فلتسامحنى ، حتى يسامحك الآخرون بدورهم ، ولذلك فنحن هنا فى الحياة حتى يسامح بعضنا الآخر .

المشهد السابع

الشخصيات نفسها وخوانا

خــوانــا : هل تأذنون حضراتكم لى ؟

خيرمــان : ماذا حدث يا خوانا ؟

خــوانــا : يوجد شاب يسأل عن السيِّدة. يقول إنَّه قد وصل توًا من مدريد، وإنَّه يريد أن يراها إنْ أمكنه .

خيرمــان : ألم يذكر اسمه ؟

خــوانــا : قال إن اسمه فيدريكو ... السيِّد فيدريكو ، هو بهىُّ الطلعة ، يقول إنَّ السيِّدة تعرفه وحضرتك أيضًا ؛ لأنه سأل رغم أنَّه لم يقل إنَّه يريد أن يرى حضرتك ، فقط قال إنَّه يريد أن يرى السيِّدة.

خيرمــان : هل قلتى له إنَّ السيِّدة ليست بالبيت ؟

خــوانــا : نعم يا سيِّدى ، لقد قلت له ذلك ، لكنه أصرَّ على أن ينتظرها حتى تعود أو سيأتى فى وقت لاحق .

خيرمــان : لا أعرف من يمكن أن يكون ولا أتذكره .

ليونثيو : نعم يا رجل ، نعم أنا أعرف من هو . فيدريكو ، أنت تعرفه أيضًا ، أعتقد ذلك ، هو شاب صديق إخوة بالنتينا، الذى كان يعيش فى البيت نفسه الذى كانوا يقطنوه ، فى شقة داخلية مع أمه وسيدة مسنَّة وأخ آخر أصغر كان موظفًا فى شركة تجارية، ولا أعرف أىَّ فعلة سيئة فعلها فأودعوه السِّجن . ألا تتذكر أنَّهم قد كلموك حتى تفعل شيئًا من أجله ، كى يخرج بأسرع ما يمكن ؟

خيرمان : آه ، نعم ، لقد تذكرته ، قولى له ينتظر قليلاً ، واذهبى لتذبرى السيِّدة؛ فهى فى بيت السيِّدة لويسا وأنتِ تعلمين .

خوانا : نعم السيِّدة ، نعم . (تخرج)

ليونثيو : لماذا لم تستقبله أنت ؟

خيرمان : لم يقل إنَّه يريد أن يرانى . ربما يكون لديه خِطاب من عائلة بالنتينا ، ربما ...

ليونثيو : وربما جاء ولم يُحضر شيئًا .

خيرمان : للشىء نفسه ، إذا كان طلبًا ، فلن يجرؤ أن يقوله أمامى ...

ليونثيو : على فكرة ، هل تضايقك عائلة بالنتينا ؟

خيرمان : لا ، إنَّها أُكذوبة ، حقًا ؟ إذن هو كذلك ، والد بالنتينا يكتب يوميًا لابنته ، دائمًا هو حنون جدًا ، وهذا هو كل شىء .

ليونثيو : عجبًا ! لقد جرؤ على ذلك .

خيرمان : يبدو أنهم الآن على أفضل ما يكون ، بالإضافة إلى أنى أعرف أن بالنتينا تكلمهم بجدية كبيرة ، على الرغم من أنها لم تقل لى شيئًا.

ليونثيو : حقًا ! على الرغم من أنى أرتاب كثيرًا هذا المبعوث الغريب . وأنت أيضًا وإن كنت تحاول إخفاء ذلك .

خيرمان : لا ، أؤكد لك ... أريد أن أتذكَّر ...

ليونثيو : نعم تعرفه ، أقول لك إنَّك تعرفه ، لقد رأيته عدة مرَّات مع إخوة بالنتينا وفى بيتها .

خيرمان : نعم ، أعرف من هو ، ... لكنى لا أتذكَّر وجهه ولا شكله .

ليونثيو : إنَّه شاب ، شاب جدًا ، جميل المحيًا ، ظريف ... (تدخل خوانا).

خوانا : عفوًا . لقد جاءت السيِّدة توًا .

خيرمان : إذن أدخلى هذا الشاب وانتظرى .

خوانا : حسنًا يا سيدى .

خيرمان : فلندخل نحن هناك ، إذا لم تفضِّل أن نتمشى .

ليونثيو : أريد أن أتحدَّث معك ، أمر يتعلق بابنتى ... ، إن لم يكن يتعلَّق بها فكيف أجرؤ على ذلك !

خيرمان : حسنًا ، نتمشى ، وأنت تحكى لى . (يخرج خيرمان وليونثيو)

المشهد الثّامن

خوانا وفيدريكو

خـــوانـــا : تفضّل حضرتك واجلس .

فيـدريـكو : شكرًا جزيلاً .

خـــوانـــا : ستأتى السيِّدة حالاً .

فيـدريـكو : أشعر أنِّى أسبِّب لكم ضيقًا ، سأعود مرَّة أُخرى .

خـــوانـــا : لقد أمرنى السيِّد أن أتصل بها .

فيـدريـكو : كيف حال السَّادة ؟

خـــوانـــا : على ما يرام ، نعم يا سيِّدى .

فيـدريـكو : هل تسمحى لى بكوب ماء ؟

خـــوانـــا : حالاً يا سيدى . وستشرب حضرتك ماءً باردًا ولذيذًا جدًا؛ فهو أفضل شىء موجود فى هذه القرية ... ها هى السيِّدة .

فيـدريـكو : إذن لا تُحضرى حضرتك الماء .

خـــوانـــا : لماذا ؟ وستظل حضرتك ظمآن ؟! وما كنه ذلك ؟! فكوب ماء لن يرفضه أحد . هذا الشاب فى انتظارك يا سيدة .

(تخرج خوانا)

المشهد التاسع

خوانا وفيدريكو

بالنتينا : آه يا فيدريكو ! هو أنت ؟ لم أعد أتخيلك ...

فيدريكو : بالنتينا ... كيف حال حضرتك ؟ لقد سألت عن حال حضراتكم ، كيف حال السيِّد خيرمان ؟

بالنتينا : بخير ، وأنت ؟ ووالدتك ، كيف حالها ؟

فيدريكو : والدتى المسكينة منهكة جداً ، حزنها على شقيقى ...

بالنتينا : نعم ، بالنسبة لوالدتك المسكينة ... وهل عرفتم شيئًا عنه ؟

فيدريكو : نعم ، إنَّه فى مونتيبيديو . يبدو أنَّه يعمل الآن ، ويكسب قوت يومه ، بعد ما عانى كثيراً . (تدخل خوانا)

خوانا : تفضل الماء .

فيدريكو : شكراً جزيلاً . كنت ظمآنًا للغاية ... اصفحى عنى حضرتك لتجاوزى .

بالنتينا : بالله عليك !

فيدريكو : حقًا إنَّها مياه لذيذة جداً .

خـــوانـــا : لقد قلت لحضرتك ذلك . هل تأمران حضرتكما بشـــىء آخر ؟

بالنتينـــا : لا يا خوانا .

فـيـدريـكو : شكراً جزيلاً .

خـــوانـــا : عفواً ، لا داعى لذلك فلا شكر على واجب . أنا فى خدمة حضرتكما .

فـيـدريـكو : بالطبع تستغربين حضرتك هذه الزيارة التى ليست فى أوانها . لقد فكرت أن أرسل خطاباً إلى السيِّد خيرمان ، لكنِّى لا أعرف إن كان الخطاب سيوفى شرحى أم لا ... فلتسامحينى حضرتك .

بالنتينـــا : ولماذا تنادينى بحضرتك ؟ هل لأنى أبدو لك مختلفة أم أكثر احتراماً ... ، على الرغم من كل شىء ؟

فـيـدريـكو : لأنى أعرف ، لأنه ... ، الحقيقة ، نعم ، فالآن لا يبدو الأمر كما كان عندما تعارفنا حيث كنا صغيرين . كانت والدتى تحب حضرتك حبًّا جمًّا . لو رأيت كم تذكرك كثيراً !

بالنتينـــا : وماذا تقول عنى ؟

فـيـدريـكو : لا شىء ، لا شىء ، يمكن أن تصدقى ذلك .

بالنتينـــا : وأنا أيضاً كنت أحبها كثيراً ... ، وأحبكم، وأتذكركم كثيراً ، وها أنا لا أستطيع أن أصبر على معرفة ما جئت من أجله .

فيدريكو : سوء الحظ ، الحاجة ، بطريقة أخرى ، لم أكن أجرؤ أبداً .
لقد ساءت الأحوال الاقتصادية فى المكتب الذى كنت أعمل فيه ، ولذلك استغنوا عنى . وأنا الآن بلا عمل منذ شهرين دون أن أجد أىَّ شىءٍ ، إلا أنِّى أبحث ، ولا شىء . لا تعلم أمى أنِّى لا أعمل ، لم أرد أن أضايقها، وأصبر دائمًا حتى أجد شيئًا قبل أن تعرف ... حتى الآن ، أستطيع أن ألبى احتياجات البيت ولكنِّى أتعرض لحرج كبير ، لكن الأمر أصبح مستحيلاً . ليس لدىَّ أصدقاء ولا علاقات ولا واسطة وفكرت فى حضراتكم ، فى السيِّد خيرمان ، الذى كان فى منتهى الطيبة معنا فى المحن التى مر بها أخى ، فكرت فى أن حضرتك ... ، فكرت فى أن تكلميه باهتمام إنْ استطاع أنْ يُعيننى فى أىِّ شىء ؛ لأنى ... ، لا أعرف ، لا أعرف ... لكن قبل أنْ أصل فى يوم إلى منزلى، وأضطر أنْ أحكى ذلك لأمى ... ، لا أعرف ، لا أعرف ... عندما يوجد أحد بمفرده فى هذا العالم . وهو ما يجعله لا يستطيع أن يعيش دون أن يشعر به أحد ، يكون لديه الحق فى أنْ يكون جبانًا ، لكن جبان فى كل شىء، وتوجد لحظات ...

بالنتينا : اسكت ، اسكت ، أنت شابٌ ، لك الحق أن تكافح، وليكن ما يكون .

فيدريكو : لكن ، ماذا أستطيع أن أفعل ، ماذا أفعل ؟ لقد بحثت بكلٍّ ما في وسعي ، ولم أجد إلا أشياء مخجلة أو غير جديرة ، ماذا بوسعي أن أفعل إن لم أستطع أن أكسب قوت يومي ، كل ذلك ليس من أجلي، ولكن من أجل أمي ، حضرتك تفهمين ما أقوله ، لأجل أمي ... وعلى الرغم من أنّني يجب أن أفعل ذلك من أجلها ، فإنّني أعلم أنها ستحظى بالألم والخجل .

بالنتينا : هيا ، لا تيأس ، سأتكلّم مع خيرمان ، لابد أن تطمئن أنّه سيعمل كل ما في وسعه ، خيرمان طيب جداً ، سيفعل كل ما يمكنه فعله . سترى ، سترى كيف ستسير الأمور .

فيدريكو : شكرًا يا بالنتينا ، شكرًا جزيلاً . لا تعرفي كم أقدر لك كل ذلك . لو تعلمي ... ، لقد جئت وأنا خائف جداً ...

بالنتينا : خوف ؟ لماذا ؟ أتعتقد أنّي تغيّرت، وأني لا أتذكر أصدقائي في الأيام التعيسة ، التي كانت بالنسبة لي أيامًا تعيسة أيضًا .

فيدريكو : لكن الآن ... هل أنت سعيدة حقًا ؟

بالنتينا : نعم ، أنا كذلك ، لكنّي لست أنانية ؛ فمنذ أن أصبحت سعيدة وأنا أفكر أكثر في البؤساء . تستطيع أن تطمئن أني لن أنساك ، سأكلّم خيرمان ليلاً ونهاراً حتى لا ينساك هو أيضًا .

فيدريكو : فلتسلمى عليه بالنيابة عنِّى واشكريه أيضًا على ما سيفعله ... وها أنا سأترك حضرتك .. ، أعنى سأتركك .

بالنتينا : سريعًا هكذا ؟

فيدريكو : أريد أن أرجع إلى مدريد فى أوَّل قطار . علىَّ أن أرى صديقًا لى قد وعدنى بشىءٍ ، لست متأكدًا كثيرًا ، لكن يجب أن أنهى كل شىءٍ ، وداعًا يا بالنتينا .

بالنتينا : انتظر إلى أن يتحسن موقفك ، اسمح لى: إنَّه ... ، لا تستاء ، أردت ...

فيدريكو : لا ، لا ، لن أقبل أى شىء . إذن فلتسامحينى على مجيئى إليك .

بالنتينا : فيدريكو !

فيدريكو : لا ، يا بالنتينا ، لا، أقدر لكى ذلك من أعماق روحى ، أرجوك ، لا تصرِّى، وسامحينى على أن ذلك قد يبدو لك غرورًا منِّى ، لكن فلتمنحينى حق امتلاك عزَّة النفس ، حتى الآن ، والتى ستكون آخر ما أتنازل عنه .

بالنتينا : لن أصرَّ ، لكنى سأشعر ...

فيدريكو : لا ، لا ، حتى الآن يمكننى أن أتصرف ولعدة أيام . شكرًا ، يا بالنتينا . لم أر أباك وأخوتك منذ فترة ، لكنِّى أعلم أنهم بخير .

بالنتينا : نعم ، أبى يراسلنى ، وأعرف عن طريقه أخبارهم .

فيدريكو : وداعًا ، يا بالنتينا ، وداعًا ، سأنصرف وأنا سعيدٌ جداً ، أشكرك .

بالنتينا : من المفترض أنّ والدتك لا تعرف مجيئك إلى هنا ، ولذلك لن أقول لك أن تسلِّم عليها بالنيابة عنِّي . سأكتب لها ذات مرةٍ، ولكن ... ، أعرف ما تفكِّر فيه أنك بالنسبة لى ... على الرغم من كلِّ شىء، وإذا سألتك يومًا عنى ، فلتقل لها إنى سعيدة ، أعرف أنَّ ذلك سيفرحها كثيراً ... ، على الرغم من كل شىء ، وداعًا يا فيدريكو .

فيدريكو : وداعًا يا بالنتينا . (يخرج فيدريكو .)

المشهد العاشر

بالنتينا وخيرمان

خيرمـــان : هل ودَّعتِ زائركِ ؟

بالنتينـــا : ألم تعرف من هو ؟

خيرمـــان : نعم ، أنا ، تقريباً ، لم أتذكَّر اسمه، ولكن ليونثيو قال لي من هو .

بالنتينـــا : وأنت ، هل استطعت أن تنتهي سريعًا من ليونثيو؟

خيرمـــان : نعم لقد ذهب متجهاً إلى المحطة .

بالنتينـــا : هل كلَّفك كثيراً .. ؟

خيرمـــان : عجباً ! أراد أنْ يحكي لي قصة من قصصه ، توظيف ابنته كممثلة ، والمصاريف الغير طبيعية ، والمآزق ...

بالنتينـــا : كالمعتاد ، يعجبني صبرك، ولا أستطيع أنْ أفهم سخاءك الذي تسيء استخدامه .

خيرمـــان : ماذا تريدين ؟ ليونثيو يعرف على الأقل كيف يحترمني .

بالنتينـــا : هذا مبالغ فيه ، لم ينقصه سوى أن يستثمر ابنته .

خيرمان : نعم كان فقط ما ينقصه ليبلور الشخصية ، و الآن أصبحت جيدة .

بالنتينا : تضايقني طريقة كلامك هذه ، يوجد فى الحياة فرص كثيرة لفعل الخير بطريقة أفضل ...

خيرمان : نعم، ولن يعرفوا كيف يخدعون أفضل ، أليس كذلك ؟

بالنتينا : لا ، يا خيرمان ، يوجد أناسٌ طيبون فى هذا العالم ، ومحتاجون بحق . لو تعرف ...

خيرمان : أنتِ ستقولين لى .

بالنتينا : أنت من كان يجب أن يسألنى عنه ؛ ألا يهمك أن تعرف لماذا جاء فيدريكو ؟ لماذا لا تسألنى ؟

خيرمان : قد يكون أمر متعلقٌ بأسرتك أو صداقتكم الخاصة القديمة .

بالنتينا : على أىٍّ حال ، كان يجب عليك أن تسألنى . إذا كنت تعتقد أن هذا التحفظ الفطن هو من قبيل الذّوق، ويجب علىَّ أن أشكرك ، فأنت مخطئ ، وهذا يؤسفنى ويضايقنى .

خيرمان : إذا كان من الممكن أنْ أسمح لنفسى هذا التحفظ الفطن الذى هو من حسن الذوق ، كما تقولين ؛ فهذا لأنِّى متأكد أنَّكِ ستقولين لى كلَّ شىءٍ قبل أن أسألك عنه . أليس كذلك ؟

بالنتينا : نعم هو كذلك ، أسامحك ، وهو كذلك ، أنت تعلم ، لكنِّى لا أريد أن أراك أبداً متحفظًا معى . إذا كان من الطبيعى أنْ تشعر بالفضول ، حتى عدم الصبر ، كى تعرف ما نتج عن زيارة فيدريكو ، فلماذا الصمت ؟ ولماذا تظهر لى أنَّك غير مكترث ؟ لا ، يا خيرمان ، لا أحبك هكذا . لو كنت مكانك ، لمكثت قريبة فى الحجرة المجاورة ، بدلاً من أن أخرج من البيت كما فعلت ؛ حيث يمكننى أن أسمع أية كلمة متناثرة دون أن أريد ذلك ... دون أنْ أتصنت؛ لأن ذلك يُعتبر عدم ثقة . لا ، لا أريد أن أخدعك ، كنت سأتصنت عليك ، لأسمع كل شىء ، ولكنت الآن مرتاحة جداً ، بخلافك ، فأنت لست صابراً على معرفة ما حدث مثلى ، ولا تسأل عن أىٍّ شىءٍ ، وكأنَّك خائفٌ أنْ تعرف شيئًا من الممكن أن يزعجك ، وكأنك ستعرف عنى شيئًا سيئًا . آه يا خيرمان ، يا خيرمان ، كم تحبنى كثيراً، ولكنَّك لا تعرف كيف تحبنى فتتعذب وتعذِّبنى !

خيرمان : آه يا بالنتينا ! كل هذه الطَّهارة الموجودة فى كلماتك ، فكلما أسمعك ، يبدو لى أنَّ كلامك لا يمكن أن يكون كذباً أبداً ؟

بالنتينا : لا يمكن أن تعرف كلماتى الكذب عليك أبداً ، وإذا أردن أن يكذبن عليك ذات مرَّة ، سيكون لإخفاء حزن عليك،

وهذا الحزن أنت الذى تسببه ... وحتى حينئذ ستقول عيونى لك الحقيقة دائمًا مثلما تقولها الآن أكثر من كلماتى ، بكل الدُّموع التى تخرج من قلبى لتقول لك : " لا تشك فىَّ أبدًا ، يا روحى ، لا تشك فىَّ أبدًا ! " .

خيرمان : لا ، لا يمكننى أنْ أشك . وكما أحسنت قولاً ، جئت منزعجًا وغير صابر ؛ فمنذ أن خرج من هنا وأنا لم أفكر إلا فى هذه الزيارة ، متذكرًا أن هذا الشاب الذى يُدعى فيدريكو كان خطيبك ، خطيبك الوحيد ، قبل أن تعرفيننى .

بالنتينا : ماذا تقول ؟ فيدريكو خطيبى ؟ يا لها من حماقة ! لم يكن أبدًا كذلك .

خيرمان : بالنتينا !

بالنتينا : لماذا تنظر إلىَّ هكذا ؟ أقسم لك أنَّه لم يكن خطيبًا لى أبدًا .

خيرمان : بالنتينا ، حينئذٍ عندما كنت تكذبين ؟ لديك ذاكرة سيئة .

بالنتينا : لست مسئولة عن ذاكرتى بل عن الحقيقة .

خيرمان : لقد ضعفت ذاكرتك والحقيقة معًا فى تلك اللحظة .

بالنتينا : أعود وأقسم .

خيرمان : دعك من القسم ، لقد سمعت كثيرًا من الحلف فى هذه الحياة .

بالنتينا : كيف قلت لك حينئذ ... ؟

خيرمان : لكن ... أتريدين أنْ تفقدينى عقلى ؟ لماذا تنكرين الآن ما كنت تكررينه لى من الأهمية ذاتها ، وعرفته منك أنت ؟ ألا تتذكرين ؟ بعد قليل من معرفتنا ببعض ، وقتها لم نكن متأكدين من حبنا لبعض ، وعندما سألتك إن كان لك خطيبٌ ، وأنت ، أنت بنفسك قلتِ لى إنَّه فقط هذا الصديق لإخوتك ، صديقك منذ الطفولة ... أليس كذلك ؟ أم كنت أحلم ؟

بالنتينا : نعم عندك حق ، لقد قلت لك ذلك ، إنَّها حقيقة ، لم أكن أتذكَّر ، والآن لن تصدق حقيقة هذه الأكذوبة . خيرمان يا حبيبى ، أنت لا تعرف مدى سرورى عندما أراك وأنت تتذكَّر كل ما كنت أقوله لك ، حتى عندما كنت أعتقد أنَّه لا شىء كان يهمك ، والآن أرى أنك متذكِّرٌ لكل شىءٍ ، حتى ما نسيته أنا ! نعم ، قلت لك ذلك ، نعم ، وهل تعلم لماذا قلت لك ذلك ؟ سوف تضحك ، أنا متأكدة لأنَّك ستصدقنى ... إذن كان لأنِّى ، أنا مثل كل الفتيات اللاتى كان لهنَّ العديد من الخُطَّاب يشعرن بالخجل عندما يعترفن أنْ كان لهنَّ العديد من الخُطَّاب ، أمَّا بالنِّسبة لى ، فعندما سألتنى أنت ، أخجلنى ألا يكون لى أىُّ خطيب ، كان يبدو لى ... ، أعرف ، إن كنت قلت لك الحقيقة فى البداية ، لما كنت ستصدقنى بعد ذلك ، وإنْ كنت صدقتنى ، كنت

سـأبدو لك أنِّى إنسـانة تـافهـة ، لم يلتـفت إليـهـا أىُّ رجل أبدًا ، وأنَّه لا يجدى أن تنتبه إلىَّ أنت ، عندما رغبت فى أنْ تهتـم بى ، وقلت لك إنَّه فيـدريكو؛ فـهذا لأنـى لم أعرف رجلاً غيره ، ولم يكن من الممكن أنْ أتعرَّف على أىٍّ أحدٍ ، لكنَّه لم يكن حقيقة . مسكين يا فيدريكو ! ولا حتى فكَّرت فيـه أبدًا . لم يكن لـى أىُّ خطيبٍ ، لقد تربيت بين أخـويًّا وبين أصدقـائهمـا ، كأى شابٍ ، فمداعباتنا وألعابنا كانت بالضـرب ! هذه حقيقة أنِّى لم أكن أجـهل أى شـىءٍ ؛ لأنَّهم لم يهتموا بى ، كانوا يقولون أشياءً فظيعة، وهى التى من كثرة سمـاعها لم تعد بشعة بالنسبة لى . ربما لأجل ذلك لم أشـعـر أبدًا بالقلق تجـاه المجـهـول . أنا لم أكن أعـرف معنى الرغبة فى القبلة إلا عندمـا قبلتنى فى فمى ، ولأنَّ رغبتك كانت رغبتى ، و كانت نابعة من حبك لى ، ولم تكن نابعـة من اشـتـهـائى ، لقد قـدمت لك نفسـى بكلِّ روحى . أتعتقد أنَّها كانت فقط أكذوبة بريئة ؟ لقد خفت أن أبدو لك أقل من أىِّ امرأة ، فتاة مسترجلة ، و لذلك اخترعت هذا الخطيب ، لكى يضفى قليلاً من الأهمية .

خـيـرمــــان : وكذبت .

بالـنـتـيـنــا : أتعتقد ذلك ؟ نعم أنت تعتقد ذلك ، نعم ، فيدريكو ... يا له من شاب مسكين ! ...

إذن نعم ، هى فرصة لكى تفكر فيما لم يكن موجودًا ، وعندما أحتاج لكى أطلب منك أن ترعاه، وأنْ تفعل له ذلك بأسرع ما يمكن ... أنت لا تعرف لقد فقد وظيفته ، لا يستطيع أن يلبى احتياجات بيته ، وأمّه المسكينة لا تعلم ذلك ... ، من الضّرورى أن توصّى عليه ، أنت لك أصدقاء مهمون .

خيرمان : أنا أوصى عليه ؟ حتى يستغلنا كما فعل أخوه ؟ لقد أثّر فى عواطفك سريعًا ... إنّها قصة كقصص ليونتيو ، إلا أنّه لم يهتم لأنّ أحدًا قد اختلقها .

بالنتينا : لا ، يا خيرمان ، لا تقارن . إنّ فيدريكو شابٌ طيب ، وابن بار ، إنّه يستحق رعايتك ، لا تقارنه بليونتيو، ولا تكن ظالمًا .

خيرمان : حسنًا ، يكفى أنّه يهمك .

بالنتينا : لا يهمنى أنا ، بل يهم من أحبه، والذى عليه أن يشكره ، لماذا تصمت ؟ فيما تشك ؟ تعال هنا ، تعال هنا، وآه يا قلبى المسكين المعذب ، الذى عندما يقترب منى، وأحيانًا أشعر أنّى بداخل قلبك، وأحيانًا أُخرى بعيدة عنك ، وينتابنى القلق نفسه عندما أراك وحيدًا يومًا بعد يوم ، وكلما نفترق وأشعر أنّك تهرب منى لكى لا تعود أبدًا ... وعندما تعود ، كثيرًا ما تجدنى شاحبة ، باهتة ! قائلاً لى

" مـاذا حـدث لك ؟ " ومـاذا كـان يحـدث لى ؟ إنَّه الـهم ، الاشتياق إلى انتظارك ومن الخوف من عدم مجيئك ... لو تعلم خرافاتى، التى كانت تلازمنى كالتعويذات، ولكى تأتى بك لى بأسـرع ما يمكن إذا تأخرت ! ... ذات مـرة يئست من مجيئك وشكوت للبيانو ، و بدأت أعزف عليه مقطوعة ، و صلت بمجرد ما بدأت ، ومنذ ذلك اليوم، وعندما تقترب ساعـة لقـائنا ، أشكو للبـيـانو ، وأعـزف نفس المقطوعـة ، مطمـئنة إنَّك بذلك ستـأتى سريعًـا ، ولأنى عـازفة سيـئة ؛ فـقـد ضحك البـيانو، وبكى كـقلبى الذى يشبـه قلب طفلة فقـدت صبـرها ... وهكذا أشياء كثـيرة ... أحيـانًا أقول بصوتٍ عالٍ أبيـات شـعر كنا قد قرأناها سـويًا وقمت أنا بحفظها ، و أحيانًا أُخرى ، حتى لا أفكر فى شىءٍ سيئ قـد يحـدث لك ، أعـد ببطء واحـد، اثنان ، ثلاثة ... ، إلى الألف ، مـعتـقـدة أنه قبل أن أعد للألف ، سيـصل ... ، ولأنَّك لم تـأت ، أعـد مــرة ثـانيــة . " الآن ، نعـم ، الآن سيـصل بخـيـر . " بكل هذا الجنون أخـدع قلة صـبـرى ، وأهدى قلبى ، الذى أراد أن ينكسـر ويقـفـز من صـدرى ليقابلك عندما تـصل . آه يا خيرمان يا حـبيبى ، أنت لا تعـرف كـم أحبك ! ... قل إنَّك تـعرف ذلك ، قل إنَّك تؤمن بذلك ، وإنَّك تؤمن بى ! تؤمن بهذا الحب الذى سـيظلُّ إلى الأبد ، إلى الأبد ، إلى الأبد ! .

خيرمان : أؤمن ، أؤمن ، نعم وأريد أن أؤمن بك .

بالنتينا : أريد أنْ أثق بك ! أترى ؟ أريد أن أثق بك ! لكن ألم تثق حينئذٍ وبم تفيد الحقيقة ؟ انظر إلىَّ ، انظر إلىَّ هكذا ، ضع عينيك بعينى ، حاول أن تصل إلى أعماق روحى .

خيرمان : كثيراً ما تُحدِّث عيون بعيونٍ أخرى، ولكن من يعلم ما يوجد فى أعماق الأرواح ؟ فالأرواح يعريها فقط الألم أو الموت .

بالنتينا : إذنْ فالألم والموت يمكنهما المجىء عندما يريدان ، لكنك سترى فقط فى روحى أنِّى أحبك ، أنِّى أُحبُّك بكل روحى .

ستار

الفصل الثّانى

المشهد الأوّل

بالنتينا والسيِّدة توماسا والسيِّد روسيندو

بالنتـــينا : إذنْ قد انتهيتم حضراتكم من رواية كل بيت .

توماســـا : جميل جداً . بعد ذلك ، يا ابنتى ، سيُرى أنَّه مُعْتنى به جيداً . قريباً ما سيُرى أنَّه توجد سيِّدة تعرف كيف تكون سيِّدة منزلها ؛ لأنَّنا نرى العديد من المنازل ... ! دون أن نذهب بعيداً ، بيت سلفتى ، شقيقة هذا .

روســيـنـدو: يا امرأة ، لديها ستَّة أطفالٍ ، جميعهم صغار ، تخيلى حضرتك ! ...

توماســـا : لا تقل ذلك ؛ لأنَّ أختك ، كما خلقها الله . إذا ذهبت إلى منزلها فى السَّادسة مساءً ، ستجدين أنَّ كل شىءٍ ليس فى مكانه : الأسرّة غير مرتبة ، المكانس فى الوسط ، سلفتى غير ممشطة الشَّعر ، و أمَّا الأطفالِ فحدِّث ولا

حرج . دائمًا ما يغضب هو منِّى؛ لأنَّه يقول إنِّى أبالغ فى النظافة . لا يمكن أن توجد مبالغة فى النظافة ! بالنسبة لى فإنَّك تجديننى من السادسة صباحًا خلف الشغالات . أوَّل ما أفعله هو فتح الشُّرفات على مصراعيها .

روسيندو: و هكذا نقضى كل الشتاء مزكومين ...

توماسا : لا تكترثى بما يقوله ؛ فهو يزكم بمزاجه .

روسيندو: لدىَّ هذا المزاج .

توماسا : يسير البيت على ما يُرام بسببى ! ... وذلك لأنَّه يفسد أخلاق الخادمات .

روسيندو: يا امرأة ، فسِّرى هذه الكلمات .

توماسا : لا تكن ظريفًا؛ لأنَّنى جادة وبالنتينا أيضًا . أشعر أنَّك لست على ما يُرام .

بالنتينا : منذ عدة أيام وأنا لست على ما يُرام . منذ أنْ عدنا إلى مدريد .

توماسا : نعم؛ لأنَّ مدريد لا تلائم أىَّ أحدٍ . لا يوجد أكثر من رؤية الكثير من النَّاس الذين يموتون كلَّ يوم . نعم فأنتِ أسوأ . إذن فلتحتاطى ، احذرى ، وسنترككِ . لا تقولى إنَّها كانت زيارة مجاملة . فنحن هنا ...

روسيندو: منذ ساعتين بالتَّمام والكمال .

توماسا : أشياء كثيرة تشغل خيرمان . نشعر أنَّنا لم نره كثيرًا .

بالنتينا : يخرج قليلاً من المنزل ، لكن اليوم ... إنَّها صدفة .

توماسا : فلتأتوا إلى منزلنا أية ليلة . سيلعب الرجال لعبة الورق ، و ندردش نحن عن الأشياء التى تخصُّنا . لم أزر أحداً غيركم من كلِّ المعارف الذين تعرفت عليهم هذا الصيف ، ولا أفكر فى الزيارة ؛ فأنت تعلمين من هم النَّاس ، أنتما الوحيدان الأكثر لطفًا بالإضافة إلى هذين الزوجين الشَّابين ... أقول الزوجين ... فأنتِ تعرفين من أعنى .

بالنتينا : تعنين لويسيتا وبيبى ...

توماسا : من المفترض أنك ستعلمين مثلى ، إن لم تقل لكِ زوجة نونيث .

بالنتينا : لا ، لم تقل لى أىَّ شىء .

توماسا : إذنْ لا أريد أن أكون كاشفة للسِّر ؛ لأنَّها أشياءٌ حرجةٌ جداً . ما رأيك يا روسيندو ، هل يجب أن نقول ذلك لبالنتينا ؟

روسيندو: يا امرأة ، لقد بدأت بالفعل ... ستتصور شيئًا أسوأ .

توماسا : أسوأ من ذلك لا يمكن أبداً . تخيلى حضرتك ... أنا ... ، الحقيقة ... ، يعلم الله جيداً أنِّى لا أقول لك ذلك بدون أيَّة نية سيئة ، فقط لكى أحذرك ، و خاصة أنكما تقربتما كثيراً منهما ... إذن ظهر الآن أنَّهما غير متزوجين . ما رأيك ؟ لأنَّ الواحدة منَّا لا تعرف مع من تتعامل . من ذا

الذى كـان يسـتطيع أن يتـخـيل ذلك ؟ شـابان بكل هذا الشَّباب ! لأنَّ هذه الأشياء تبدو أكثر خصوصية بالنِّسبة للكبار فى السن . ماذا تقولين لى ؟

بالنتينـا : نعم ، إنَّه أمرٌ محزنٌ جداً . مسكينة يا لويسيتا ! على الرغم من أنهما سعيدين ...

توماسـا : اسكتى. اسكتِى . أيَّة سـعـادة يمكن أنْ توجـد بهـذه الطريقـة؟ وقت قليل ، لأقول ، لكن ، فى النهـاية ، يسـفـر عن تلك الأشـيـاء هذه الأمور المرعبة التى نطَّلع عليـها فى الصحف يوميًا ، الجرائم الناجمة عن الغيرة ، القتل ... أنا ، يعلم الله جيداً أنَّ ذلك يرعبنى ؛ لأنَّه موجود فى كل العائلات ؛ فهذا دون أن نذهب بعيداً لديه ابنة أخ ...

روسـيـنـدو: يا امـرأة ، ألا يمكن أنْ تجـدى مـثـالاً آخـر بعـيـداً عن عائلتى ؟ ...

توماسـا : حتى تعلم بالنتينا أنَّنى لست قاسية ... لكنَّ الحقيقة أنَّ الفضيحة كبيرة تحدث يومًا ، ودون أن يدرك الفرد ذلك ؛ فقد تضطرى إلى الاختلاط بواحدة، وتخرج الواحدة منَّا مصورة فى الجرائد . فليسترها الله معنا ! بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ لويسيتا وبيبى طريفين إلى أقصى حدٍ ، لن أتوقف عن معرفتهما لهذا الشأن . الآن ، تتعاملين معهما كثيراً، وستفهمين أنَّه غير ممكن ؛ لأنَّ كل الناس لا يفكرون

كمـا أفكِّر أنا ، فبالنِّسبة لى فإنَّ كل واحدٍ فى بيته هو
مالك الحياة التى يهواها، والحياة الخاصة محترمة جداً ،
هيَّا يا بالنتينا ، لا تخرجى .

روسـيـنـدو: بالنتينا ، أشياء كثيرة عن خيرمان .

بالـنـتـيـنـا : من جانبه . (خرجوا جميعاً . بعد قليل عادت بالنتينا)

المشهد الثانى

بالنتينا وخوانا

خـــوانـــا : (**وهى تدخل**) عفواً . هذا الخطاب للآنسة .

بالنتينـــا : الخطاب ! وأنتِ أيضًا تعرفينه .

خـــوانـــا : خطابُ كلَّ يومٍ .

بالنتينـــا : خطاب كل يوم ، حقًا . ومثل كل يوم ، ترين لا يهمُّـنى . (تمزِّقه)

خـــوانـــا : هل حضرتك بخير يا آنسة . منذ أنْ وصل أوَّل خطاب فهمت أنَّهم يريدون أنْ يضايقوك . هناك أُناسٌ أشرار . لا تكترثى بهذه الخطابات المجهولة يا آنسة . أنا أيضًا كانوا يرسلون لى هذه الخطابات فى فترة ما ، صديقة لى كانت من أقذر من عرفت . أحسنت صنعًا أنَّك قمت بتمزيقه يا آنسة ، و إن أردت ، أمزقهم أنا ، فأنا أعرف تلك الأظرف ، إذن فلا ينتابك حتى مجرد الضِّيق الناتج عن رؤيتها .

بالنتينـــا : نعم سيكون ذلك أفضل .

خـــوانـــا : إذن ، فلتطمئنى يا آنسة ، فلن يختلط علىَّ الأمر بأىّ خطاب آخر . وإذا رأيت أنهم يرسلون خطابات للسيِّد أيضًا ...

بالنتينـــا : لا ، للسيِّد لا . ماذا يمكنهم أن يقولوا للسيِّد ؟ ألم يصل حتى الآن ؟

خـــوانـــا : لا ، يا آنسة . من المؤكد أنَّ السيِّد ليونثينو ينتظره هنا . لقد دخل المكتب، ومن المؤكد أيضًا أنَّنى رأيته يحتفظ بحفنة من السجائر، وذلك عندما دخلت خطابات السيِّد . أقول ذلك حتى لا يعتقد السيِّد شيئًا آخر عندما يعرف ذلك .

بالنتينـــا : لا يا امرأة ، إنَّه يعرف السيِّد ليونثينو جيداً . بالمناسبة ، اطلبى منه المجىء . يجب أن أتحدث معه قبل أن يعود السيِّد ، اطلبى منه التكرم بالمجىء .

خـــوانـــا : حسنًا يا آنسة . (تأخذ الخطابات الممزقة) عفواً ، إلى القمامة . (تخرج)

المشهد الثالث

بالنتينا وليونثينو

ليونثيو : بالنتينا ...

بالنتينا : فلتتفضل حضرتك ، تفضل .

ليونثيو : قالت لى خوانا إنك ترغبين فى التحدث معى . أنتِ لا تعرفين مدى شعورى بالرضا عندما أفكِّر أنِّى أستطيع أن أخدم حضرتك فى شىءٍ ، أنا دائمًا ما كنت أشعر تجاه حضرتكِ بلطف عميق ، على الرغم من أنَّك كثيرًا ما كنتِ تظنين بى سوءًا . كفى أنَّك لخيرمان صديقة روحه ، لأنَّك ... لكن هذا شىءٍ منفصل ، من أدراكِ أنتِ فقط ...

بالنتينا : نعم ، ليونثيو ، أعرف أنك صديق لكل الناس . فلمَ لا تكن صديقًا لى ؟ وهذا ما أريده : أنْ نتحدث كأى صديقين حميمين ؛ فكلما كنَّا أكثر صداقة كنا أكثر وضوحًا ، بكل الوضوح .

ليونثيو : فلتأمرينى حضرتك ، تصرفى معى بكل حرية .

بالنتينا : (تفتح منضدة صغيرة وتُخرج خطابين) منذ أنْ عدنا إلى مدريد ، و أنا أستلم يوميًا خطابًا من هذه الخطابات ، فقط أحتفظ بهذين الاثنين ، هما من مجهولين ، اقرأ حضرتك ، اقرأ .

ليونثيو : يا لهم من أناس ! يا له من عالم ! يا لها من حياة !

بالنتينا : والآن فلتقل لى حضرتك . هل تعرف ... ؟ لا أقول الخط ؛ لأنَّه لن يكون خط من يرسل هذه الخطابات ، لكن أعنى الأسلوب ، القصد ، و خاصةً ... القصد ، تعرف المصدر ؟

ليونثيو : ماذا تريدين حضرتك أن أفكِّر فيه ؟ ماذا سأقول لك ؟ من المؤكد أنَّ هذه الخطابات ... أنا أعرف جيداً ما تظنين فيه ... لكن ما أردت الاشتراك ...

بالنتينا : بعد خيرمان ، يوجد فقط شخص واحد فى العالم يمكن أن يهتم بى ، خيرمان لأنَّه يحبنى ، أمَّا الشخص الآخر ، فلأنَّه يكرهنى ، بسبب أو بدون سبب ، لكنى فى النهاية أعرف أنَّه أقسم أن ينتقم منِّى . حضرتك تعرفها جيداً ، إنَّك صديقها الحميم ، أنت تزورها كثيراً ...

ليونثيو : لا ، الآن لا ... لو تعلمين ... أديلا ... حضرتك لا تعرفينها ...

بالنتينا : لأنِّى أعرفها ، و لأنِّى عندما كنتُ قريبة منها كانت تجبرنى كثيراً على كتابة خطابات مثل تلك ، و الآن أعتقد

ذلك ، أنا متأكدة أنَّ شخصًا آخر يكتب ما تُمليه عليه مثلما كان يحدث بقصدها الشرير وهو أنْ تعذبني ، تعذبني ، نعم ، لأنِّي أثق في خيرمان ، أثق ، أثق ... ، و هو لا يثق فيَّ ، و بسبب ذلك ، لأنَّه لا يثق ... ، فإنني أخشى ، أخشى كل شيء ... ويجب أنْ تعرف ذلك ، أنت تعرفه . أحقًا ما يقوله هنا ؟ هل عاد خيرمان إلى ذلك البيت ؟ يعلم الله جيدًا أنِّي ما كان يجب عليَّ أنْ أكره نفسي ، حتى لا أتبعه بنفسي ! ... أنت ترى ، كان سهلاً للغاية . هنا ما تقوله الأيام والساعات ... حتى إنِّي عدت إلى الشارع عدَّة مرَّات ، و من هناك عدت ، لا أعرف إن كان خجلاً أم جبنًا . كان يجب أنْ أرسل هذه الخطابات إلى خيرمان ، أسأله بنفسي ، أعرف أنَّه لم يكن يكذب عليَّ ، لكنه يُخيفني ... لكنِّي لا أستطيع أنْ أعيش هكذا . ألأنَّ خيرمان لا يُحبني ؟ أو لأنَّه يُحبني ، كما أعتقد ، أو لأنَّه يشكُّ دائمًا في حبي ؟ لا يمكن أيشكُّ فيَّ لأنِّي له . لكن ... إنَّني حقًا مسكينة ! سيعتقد أنَّ حبي ممتع ، من قبيل المصلحة والمتعة ، المستقبل الآمن ؛ لأنَّ خيرمان طيبٌ للغاية وكريمٌ جدًا ، إنَّه يُفكِّر في كلِّ شيء ، يحتاط لكل شيء، لكن كل ذلك من الممكن أن يجعله يعتقد أنِّي أتظاهر بحب يجب أنْ يُظهر له أنَّه مُتْقَن للغاية ، و هذا لا ، يا إلهي إنَّ حياتي حقًا تعيسة للغاية ، مشئومة جدًا ؛

فأحيانًا يبذر فى بيتى بدون عقل ، و أحيانًا ... ، فكم من المرات مضى علينا الوقت ونحن فى ضيقٍ من العيش ! ...
والآن لا ينقصنى شىءٍ ، أعيش فى سعة وترف وسخاء .
فدائمًا ما يريد خيرمان ذلك لى ، إلا أنَّه يجب علىَّ دائمًا أنْ أعارض كرمه ... لكن كل ذلك وكل حبِّى يكون حقيقيًا عندما يصدق ذلك ، ماذا يمكن أنْ يظهر عندما يشكُّ فىَّ ؟
فخيرمان حبيبى قد قُضىَّ عليه بنار الشك دائمًا ، الشك فى كل شىءٍ ... أفهمت حضرتك ما أعانيه . إذا كان حقًا ما يُقال فى هذه الخطابات وهو يشكُّ أنِّى أعرفه جيدًا ، ويرى أنِّى لا أقول شيئًا . وأعانى فى صمت ، سأفكِّر ...
بالطبع ؛ فأنا أخاف من أمر قد يكون الأخير بيننا ...
وإذا قلت كلَّ ما أشعر به ، إذا رآنى كما فى الحقيقة ، غيورة ، جريحة ، وأكثر من أىِّ شىءٍ فأنا تعيسة ، تعيسة جدًا ، ألا تعتقد أنَّها ملهاة الغيرة ، ممثلة بكل صدقٍ من جانب التى تدافع عن مصالحها مثل حياتها نفسها ؟

ليونشيو : خيرمان يحبك حبًا جمًا ، لا تشكِّى فى ذلك .

بالنتينا : نعم ، أعرف ذلك ، أعرف ذلك ، لكنَّه يحبنى بخوف من أنْ يُفرط فى حبى ، يُحبنى، وكأنَّ لديه سببًا لكى يزعجنى ، كأنِّى سببَّت له كل السوء الذى يخشى أنْ أسببه له يومًا ما ؛ لأنَّ كلَّ يومٍ يمر مُخيف مثل الأيام الماضية .

ليونثيو : وهو كذلك يا بالنتينا ، و هو كذلك . وأنا أيضًا قد عانيت من الخيانة ، والخديعة ، مرارة قاسية ، أستطيع أنْ أفسرِّ لك تمامًا قلق خيرمان وخوفه ، كل ذلك بسبب التجربة المريرة التى مرَّ بها فى حياته ، والتى لم تسمح له أنْ يكون سعيدًا بأحلى أوقاته الحالية ؛ لأنَّه خشى أنْ يفقدها ، أراد بنفسه ألا يقدِّرها قدرها ، حتى لا يحزن كثيرًا عند فقدانها يومًا ما . إنَّه الدفاع الطبيعى لطبيعتنا الضعيفة ، ضد أىِّ الم لا نستطيع تحمله . أنتِ أيضًا ، ألم تلاحظى عدَّة مرأت عندما نستقبل نبأً من الممكن أن يحزننا ، يكون سيئًا فظيعًا ، من الممكن أن يحطم حياتنا ؛ فبدلاً من أنْ نركز تفكيرنا فى أنْ نفهمه ، نتسلى بالتفكير فى شىءٍ تافه لا نريد أنْ نفكر فيه ؛ لأننا نعتبر حقيقة أنَّ الألم الذى نشعر به ما هو إلا إهانة ، يذهلنا ويخيفنا فى تلك اللحظة ؟ رأيت ذلك كلَّ ليلة فى أمى المسكينة التى ماتت ، و فى كلِّ ليلة تُعزَف فى رأسى أغنية لمسرحية ، كانت رهيبة ، حتى إنِّى اعتقدت أنِّى شرير ، فضلَّت الاعتقاد بأنَّ عقلى بدأ يضعف ، و فى أوقات عصيبة أيضًا ، شعرت بذلك عدَّة مرأت، وأعرف أنَّه لا أحد يظلمنى ، وأنِّى جُننت لذلك ، هو ... لقد قلت لك ، الطبيعة الضعيفة ، يعجبنا دائمًا فى رأينا أنْ نشعر بأقل ما يجب أن نشعر

به . ولنفس السبب عندما نخاف أنْ نفقد شيئًا نُحبه كثيرًا ، نحاول ألا نقدِّره قدره ؛ لأننا نحتاط من الألم الذى ينتج عند فقدانه ، ولأنَّ الحياة تريد ، رغم كل شىء أن نعيش، ولكى نعيش نخدعها كما تخدعنا . أفهمت لماذا يحبك خيرمان كثيرًا ويدافع قلبه ويسعى إلى خداعه أنَّ كل شىءٍ ليس حقيقة ولا صدقًا ، خوفًا من ألا يكون كذلك يومًا ما .

بالنتينا : ولذلك يشكُّ فى حبِّى ...

ليونثيو : ولذلك يريد أن يشك فى حبه ، لكن لا تخافى ، إنَّك كلُّ تفكيره ، فأديلا فى كل الأحوال ما هى إلا الأغنية ، التى يريد أن يتسلى بها باطلاً .

بالنتينا : إذنْ فأنت تعلم أنَّها حقيقة . عاد إليها ؟ نعم ، أنت تعلم ذلك .

ليونثيو : لا يا بالنتينا . لقد قلت لك إنَّه لم يعد يذهب إلى بيت أديلا. أنا لم أقبل أنْ يُتكلم هناك بأى معنى عن أشخاص موقَّرين بالنسبة لى . أنا لم أعلم هل عاد أم لا ، لم يقل لى شيئًا عن ذلك أبدًا . الآن الكلُّ يحب أنْ يخاف من أديلا ؛ فموقفها محرج للغاية ، ناهيك عن حبها الخاص ، الذى يعذِّبك ، فمن المؤكد أنها ستفعل ما بوسعها لتجذب خيرمان . كونى حذرة ، لا تنزعجى؛ لأنَّ خيرمان ... خيرمان يعرفها أكثر من اللازم .

بالنتينا : لقد عاد إليها ، عاد إليها ... ، أنت تعرف ذلك ، لقد قلت لى ذلك دون أن تريد ذكره .

ليونثيو : لا ، أنا لم أؤكد ذلك ... فهذا لأنِّى أعرف أديلا ، أعرف ما بوسعها القيام به ... يا لها من امرأة ! أعترف أنِّى كنت ألاطفها ، و بالتأكيد كانت كثيراً ما تستجيب لى ، ويعلم الله أنَّ كل ذلك كان من أجل خيرمان ، عندما كان خيرمان معجبًا بها ، لكن فى اليوم التالى لن تحبى أنْ تعرفى أنَّها عاملتنى بحقارة ، و منذ ذلك اليوم صار خيرمان معى ... أنا أعرف ! ... وأعرف أنها بلا شك قد تأثرت بما قاله لها ...

بالنتينا : آه ! أترى ؟ لقد قال لها ... أنت تعرف أنَّه عاد ليراها ، لقد رجع إلى ذلك المنزل . حقًا ، حقًا . إذنْ لأنَّه لا يحبنى ، فقد ظهر كل شيء ... وأنا لم أستطع أنْ أتخيل ذلك ، وما زلت لا أستطيع أنْ أتخيله !

ليونثيو : لا يا بالنتينا ، خيرمان يحبكِ دائمًا ، أنت فقط ؛ لأنَّ أديلا ... لكن كيف لخيرمان أن ينسى سلوك تلك المرأة ؟ امرأة غير محترمة ... هى السبب فيما فعله معى خيرمان، والذى لم يفعله أبدًا خلال كلِّ هذه السنين من الصداقة التى لا تنكسر . وفى أحلك الظُّروف ! آه يا بالنتينا ! أنتِ طيبة للغاية ، فأنت وبكل سخاء يندر أن يوجد فى النساء ، اللاتى اعتدن الأنانية ، لا أقصد إهانتهن ، لم تعارضى

أبدًا أنْ يكون خيرمان كريمًا معى ، عدَّة مرَّات ، أعترف بذلك ، حتي أتغلب على الصعوبات الزائفة ؛ لأنَّه لا يستطيع أحدٌ أن يهرب من صعوبات الحياة ... لكن ، فى هذه الحالة ، يعلم الله أنَّها تتعلَّق بمشكلة حياتى ، مستقبل ابنتي ... أتسمعينى يا بالنتينا ؟

بالنتينا : نعم ، نعم .

ليونثيو : لا تتعذَّبى ، لا تفكرى فى أىٍّ سوء . يا له من عالم ! يا لها من حياة ! ابنتي المسكينة ، التى أرى أحلامها فى الفن تتناثر ، و أنا ... أنا أب ، بالنتينا ! ... أراها تبكى وتتمزق روحى . أتسمعينى يا بالنتينا ؟ تتمزَّق روحى !

بالنتينا : نعم ، نعم . اطمئن ، سأتحدَّث إلى خيرمان ، سأفعل بنفسى ما يمكننى ، لكن الآن ، اتركنى ، اتركنى . لا أستطيع أكثر من ذلك ، أؤكد لك ذلك ، لا أستطيع أكثر من ذلك .

ليونثيو : بالنتينا ... لأنَّك ملاك ...

بالنتينا : أسمع صوت خيرمان ، حتى لا يرانى ، قل له إنِّى لم أرك .

ليونثيو : سيدهشه وجودى هنا وحدى ، دائمًا أنتظره فى مكتبه ...

بالنتينا : حقًّا ، نعم ، سأبقى . تحدث معه ، اشغله ، حتى لا يعرف ؛ فأنا لا أحسن الكذب .

ليونثيو : اهدئى . وقت فظيع ، هأنذا مريضٌ بالزكام . (يدخل خيرمان) آه خيرمان ، مساء الخير !

المشهد الرابع

السابقون وخيرمان ، بعد ذلك لويسا

خيرمان : مرحبًا ، قالت لى خوانا إنَّك هنا مع بالنتينا .

ليونثيو : نعم ، قالوا لى إنَّها بمفردها ، بالطبع فبدلاً من أن أسلِّيها ، أنت ترى ، تجدها باكية .

خيرمان : حقًا ... رواية من قصصك المأساوية .

ليونثيو : قصَّتى ، لا ، لكن لأنَّ كل ما يحيط بى لن يكون تعيسًا ، قصصت لها حالة عائلة تجاورنا ... ، عائلة تعيسة ؛ فبمجرد أنْ سمعتنى تأثرت بالنتينا .

خيرمان : إنَّك مُمثِّل ...

ليونثيو : أتعتقد أنَّنى بروايتى لتلك القصة أقصد شيئًا خاصًا ؟ آه يا خيرمان . خيرمان ! ماذا تظن بى ! كيف تشكُّ فى حبِّى ؟! كيف تُسىء فهم صداقتى ؟!

خيرمان : أتعرف من جاء معى ؟ لويسيتا . ستدخل الآن . ظلت تدردش مع خوانا ، يبدو أنَّها تحتاج إلى طبَّاخة ، ولأنَّ خوانا تعرف واحدة ... آه ! ها هى . (تدخل لويسا)

لـويـســـــا : حبيبتى بالنتينا !

بالـنـتـيـنـــا : لويسيتا !

ليــونــثــيـو : صديقتى الحبيبة ! ...

لـويـســـــا : كيف حالك يا سيد ليونثيو ؟

ليــونــثــيـو : لست بخير مثلك . وذلك الفارس الذى أُقبِّل يديه ؟

لـويـســـــا : إنَّه بخير ، شكراً . قل إنَّك نسيتنى ، كلُّ ذلك الوقت بدون خطاب ... حقًا إنَّنى أستطيع أن أقول الشىء نفسه .

بالـنـتـيـنـــا : أخرج قليلاً ... لست بخير .

لـويـســـــا : نعم ، نعم ! ما هذا الوجه ؟ إذن أريد أنْ أحك لكِ أشياءً كثيرة ، إذا تسليت معى ... ليست أشياء مسلية ، لكن . فى النهاية ...

خـيـرمــــان : ونحن نتركهما حتى يتحدثا بحرية . ونحن أيضًا ، أحقًا يا ليونثيو ؟ إنَّنى أتخيَّل أنَّ هناك شيئًا مهمًا يجب أن تقوله لى .

ليــونــثــيـو : نعم ، إنَّها حقيقة ... شىء ...

خـيـرمــــان : فلنذهب على مكتبى ، إلى اللقاء يا لويسيتا .

ليــونــثــيـو : دائمًا تحت أمركِ ... (يخرج خيرمان وليونثيو) .

المشهد الخامس

بالنتينا ولويسا

لويسا : قبل أىٍّ شىء ، أنت لست فى حالة جيدة ، هناك ما يضايقك . هل بكيتِ ؟ ألا يعاملك السيِّد كما ينبغى ؟ أمازلت تعذبينه ويعذبك ؟

بالنتينا : لا ، لا ، الآنْ أنا . إنَّها أوهامى . لا تستحق التحدث عنها . احكِ لى يا لويسا . ما حدث لك فى كلٍّ ذلك الوقت ؟

لويسا : أحترم تحفظكِ ، حتى وإنْ لم تقولى لى ما حدث لكِ ... أمَّا أنا ... ، أشياء كثيرة . أولاً ، لقد أوصيت عم بيبى على هذا الشاب صديقك ... فيدريكو .

بالنتينا : حتى لا ألح على خيرمان ... أعلم أنَّه يزعجه أنْ يُطلب منه شىء . تذكرت أنَّ عم بيبى لديه أعمال ، مكاتب وفكَّرت أنَّه ربما يستطيع أنْ يساعد ذلك الشاب المسكين الذى عاد ليراسلنى ، أمه مريضة للغاية ، و ما زال بدون وظيفة ... معذرة ...

لـويـســـا : بالله عليك ! ... عندى آمـال طـيبـة للغـايـة . لقـد اهـتم عم ببيى كثيراً ، لن أتركه . والآن استعدى . مفاجأة .

بالنتينـا : هل هى لطيفة ؟

لـويـســـا : أنا أعرف ! من يصدِّق ... سأتزوج ، سنتزوج ...

بالنتينـا : حقًا ؟

لـويـســـا : نعم ، حقًا هذه المرة ، هذا ما أخاف منه .

بالنتينـا : تخافى ، لماذا ؟

لـويـســـا : لأننى أعتقد ألا يكون على غرار العادة الإسبانية المألوفة ، عندما يكون على ما يرام يريد أن يكون أفضل من ذلك ... ستتخيلى أنها أكذوبة . إنَّ عم ببيى هو الذى يُصرُّ على أنْ نتزوج . سترين ، على الرغم من أنَّه شغوف بالأوضاع غير المألوفة ، لكن هذا الصيف أحسَّ بشبه جلطة ، لقد شعر أنَّه سيموت ، و لا تدرين كم تغيَّر كثيراً. إذا ذهبت إلى بيته فى أىِّ وقتٍ لن تجدى إلا قسيسين ورهبانًا . إنَّه تغيير نموذجى؛ فمنازله الثلاثة التى كان ينفق عليها ، ألغى منها اثنين، ويفكِّر فى تنظيم وتقنين المنزل الثالث . أمَّا معنا فقد صار ودوداً للغاية . يريد أنْ ننتقل من بيتنا، ونحن نبحث ... شقة تكلفنا خمســة وعشـرين دورو(*) . لن تصــدِّقى . يريد أن نؤثـث الشـقـة بأثاث فـاخــر ...

(*)الدورو: يساوى خمس بيزتات. (المترجمة)

وكمـا ترين ، لم يفـقـد شـغـفـه فى بناء المنازل . يريد أن
يشـرك بيـبى فى أعمـاله . يريد أنْ يسـاعـده حـتى يتـقـدَّم
لتـرشـيـح نفـسـه نـائبًـا ، يريد أنْ يشـارك فى العـمل
السـيـاسى. وبالطبع ، لكى يحـدث كل ذلك ، يقـول فى
المقام الأوَّل لابد من إضفاء الشرعية على وضعنا .

بالنتينـا : هذا ما يجب أن يكون .

لـويـسـا : وفى خـلال أيام ... وبالطبع بدون حـفل زفـاف ، سـيكون
العم أوخينيو الإشبين وأنتِ الإشبينة ... أليس كذلك ؟

بالنتينـا : أنا ؟ لا ، يا لـويسـا . أشكرك لأنَّك فكَّرت فىَّ ، لكن كـمـا
ترين ... ، فى وضعى ... ماذا أعنى أنا ؟ ماذا أمثل ؟

لـويـسـا : بالنِّسبة لى ، أهم من أىِّ أحد .

بالنتينـا : لكن فى هذه الحـالة ، لا يتـعلـق الأمر بكِ وحـدكِ ، لابد
أن يرضى الآخـرون ، لابد أنْ تُحـاطى بأشـخـاص
محترمين ...

لـويـسـا : وأين أجد الأشـخاص المحترمين ؟ لا شىء ، لا شىء ، لا
يوجـد إلا الكلام ! بشـرط وحـيـد ، أنْ تكون الهـدية
متـواضـعة وتذكارية ليس أكثر ، بطريقـة أُخرى، وإلا لن
أقبلها . نعم حقًّا ذلك ؟

بالنتينـا : شكراً يا لويسيتا . أنا متـأكدة أنَّك ستكونين دائمًا مثلما
كنتِ .

لـويســـــا : بلا تغيير ! نعمت السّاعة !

بالـنـتـيـنـــا : ستكونين سعيدة ؟

لـويســـــا : سأقول لك ، إذا كنت سعيدة ؛ لأنّ بيبى طيب جداً . رجل آخر فى مكانه ... من يعلم ؟ ... لفكر فى زواج متكافئ ، لأنّى ... لا أقول إنّنى سأكون عائقًا له ، لكن فى النهاية ، سأكون ظلاً فى حياته . فكلما ارتقى وازدهر ، سيكون هناك أُناسٌ أشرار يتذكّرون كيف كنّا نعيش ؛ لأنّنا لم نتزوّج من قبل ... سترين بعد ذلك ، إنّه يفزعنى أنْ ألاحظ أنّنى سأكون جادة عبوسة لبضعة أيّام . أنا ، التى كنت أضحك على كلِّ شىء، ودائمًا كنت مرحة ... كنّا فى البيت طفلين . أقول إنّنا أحيانًا كنّا فى الشّرفة لكى نقذف كرات الورق وفقاعات المياه على المارة بالشّارع ... إذنْ الآن فالأمر يحتاج إلى تفكير وتأمل ... حتى إنّنا فكّرنا فى التأمين على حياتنا ، كنّا نفكّر ، وعندنا دفاتر توفير البريد ، لم نذهب إلى المسارح ؛ لأنّه لم يوجد أرائك ومقصورات فى ذلك الوقت . أترين ماذا سنجنى من كلّ هذه الجدية ؟ هذا هو ما سبّبه لى الوضع الجديد ...

ليس ذلك الوضع الجديد يا لويسيتا ، إنّها الحياة ، والشئون ، التى تجلب ، التأمل ، الجدية ...

ممكنة ، ماذا كان يجب علىّ أن أقول لكِ ؟ آه ! ، نعم ! ... ألم ترى السيِّدة توماسا ؟

بالنتينـا : لقد قابلتها هنا هذا المساء ، مع زوجها .

لـويسـا : جاءت لتراكِ ؟ ستعرفين أنَّها على علم بكلِّ شيء ، ألم تتفوَّه بعبارة ما غير مباشرة ؟

بالنتينـا : نعم ، قالت لي إنَّ السيِّدة نونيث قد حكت لها ... وضعكِ ...

لـويسـا : آهه ! وضعي فقط لا غير ؟ ذلك لأنَّها أرادت أنْ تحيطكِ علماً بما حدث فقد حكت لي الشيء نفسه عنكم .

بالنتينـا : يا لها من ظريفة ! ...

لـويسـا : بالطَّبع ، تحكي ذلك على أنَّها متساهلة ، لأنَّها لا تخاف من شيءٍ ؛ لأنَّها لن تتخلى عن تحيتك لذلك ...

بالنتينـا : قالت لي الشيء نفسه عنك ...

لـويسـا : لكن لا تثقي ، لم تُسد إلينا معروفًا عندما تُحيِّينا ، من أجلنا ، بل بالنسبة لك من أجل خيرمان ، وبالنِّسبة لي فمن أجل بيبي . هل تعلمين أنَّ لها علاقات جيدة ؟ يسعى زوجها للحصول على ترقية في ديوان المحاسبات ... لو قلت لكِ إنَّ هؤلاء الأشخاص لهم أخلاقيات لا يمكن المساس بها ، عندما يتخلُّون عنها يكون ذلك بدافع من قلبهم الطيب ! ... الآن المصلحة تزيِّف وتحاكي شيءٍ ...

بالنتينـا : أتعتقدين ذلك ... ؟ والحب أيضًا ؟ إذنْ ، فعندما تتدخل أتعتقدين . المصلحة في أيِّ شيء ، فإنَّ الحبَّ الحقيقي من الممكن أن يبدو لنا أكذوبة ، و يوحي لنا بعدم الثقة ...

لـويـســــا : رغمًا عنك اعترفت لي عن سبب ضيقك . هل تخشين أن يكون خيرمان ... ؟

بالـنـتـيـنــا : نعم يا لويسيتا ، نعم . ما السَّبب الآخر الذى يجعله يشكُّ في حبِّي ؟ لا يمكنني أنْ أحارب هذا الشك ؛ لأنَّ أهداف الحب نفسها قد تزيد من عدم الثقة .

لـويـســــا : يختلف الأمر بالنسبة للمال ، فكلنا لابد أنْ نمتلكه . لكن ، ألم يكنْ خيرمان بالنسبة لكِ مثلما كان ؟ هلا تلاحظين أيَّ نفور ، أيَّ انحرافٍ ؟ ...

بالـنـتـيـنــا : أعرف أنَّه لا يصدقني ؛ ذلك من أجل حبي مثل هؤلاء الرجال الطيِّبين الذين يتحلُّون بكلِّ الأخلاق الحميدة التي يتَّسم بها المؤمن الطيب ، لكن ينقصهم الإيمان بالله . الإيمان ، هو المنقذ . وبدون الإيمان ، و لا الرَّب نفسه يمكنه الثناء على الفضائل الأخرى .

لـويـســــا : نعم ، إنَّه تعيس جدًا . إنَّك حقًا مسكينة يا بالنتينا !

بالـنـتـيـنــا : إنَّه مسكين بسببي . ما جدوى الحبُّ الذى لا يجعل المحبوب سعيدًا ؟ يالَبؤسي !

المشهد السادس

السابقون وخوانا

خــوانــا : سيدتى !

بالنتينــا : ماذا يا خوانا ؟

خــوانــا : يوجد هنا الشاب الذى ترك خطاباً ذات يومٍ ، الشخص نفسه الذى كان فى القرية عدَّة أيَّام قبل العودة إلى مدريد .

بالنتينــا : آخ ، نعم ! إنَّه فيدريكو ، الذى أوصيتك به ، جاء ليعرف ... قولى له ادخل .
(**تخرج خوانا**) هكذا ستتعرفين عليه . يمكنك أنْ تُخبريه بنفسك أنَّ التَّوصية قد تمَّت . إنَّه شابٌ رائعٌ ، بارٌ بأمه ، إنَّها سيدة طيبة ...

لويســا : إذن تخيَّلى أنَّه سيسعدنى أن يعمل بتوصيتى .

بالنتينــا : سأشكرك شكراً جزيلاً . كان يمكن لخيرمان أنْ يفعل شيئًا ، تحدثت معه ، لكن رأيت أنَّه لم يرد أن يكترث ... دائمًا الشك ، لم ألحِ عليه مرَّة أُخرى .

المشهد السابع

السابقون وفيدريكو

فيدريكو : معذرة ، يا بالنتينا ...

بالنتينا : ادخل يا فيدريكو ، إنَّها صديقة لى أثق فيها ، التى تحدثت لها عنك حتى توصى عليك عمًّها ، رجل أعمال لعله يستطيع توظيفك .

فيدريكو : شكرًا جزيلاً يا سيدتى .

لويسا : حقًّا الآن كنت أقول لبالنتينا أنَّ عندنا آمالاً عريضة ، أمَّا أنا فمن جانبى فسأبذل كلَّ جهدى .

فيدريكو : شكرًا جزيلاً يا سيدتى ، شكرًا جزيلاً .

بالنتينا : كيف حال والدتك ؟ لقد قلت لى فى خطابك إنها كانت معتلة الصِّحة .

فيدريكو : إنَّها مريضة جداً ، مريضة جداً .

بالنتينا : لقد أطلعت خيرمان على خطابك .

فيدريكو : نعم كان فى بيتى .

بالنتينا : كان خيرمان فى بيتك ؟ لم يقل لى أىَّ شىءٍ .

فيدريكو : اليوم ، الآن . لم أكن موجوداً . قد استقبلته والدتى . جاء بسبب ذلك .

لويسا : سأتركك . سأعود يومًا ما ، عندما أجد منزلاً . سلامى لخيرمان .

بالنتينا : تحياتى لبيبى ، مبروك على كل شىءٍ .

لويسا : (**تسلِّم على فيدريكو**) بكلٍّ سرور ، وها قد عرفت مدى اهتمامى بأمرك ...

فيدريكو : أشكرك شكرًا جزيلاً يا سيدتى . (تخرج بالنتينا ولويسا ، ثم تعود بالنتينا بعد قليل)

المشهد الثامن

بالنتينا وفيدريكو

بالنتينا : اجلس يا فيدريكو . قلت لي إنَّ خيرمان كان فى منزلك، لكنَّك لم تره .

فيدريكو : لا ، لقد قلت لكِ ... كانت أمي بمفردها ، لقد تحدَّث معها .

بالنتينا : لقد أطلعته على الرسالة التى أرسلتها لى ، لقد قرأها ، لم يخبرنى بما سيفعله . لاشكَّ أنَّه قد وجد وظيفة لك فأسرع ليخبرك بها . لقد قلت إنَّه من المستحيل أنْ يتغيَّر خيرمان ، خيرمان طيِّبٌ للغاية .

فيدريكو : نعم ، طيِّبٌ جدًا ، كريم للغاية ، لكن فى هذه المناسبة كان كرمه ... لن أقول إنَّه أهاننى ، لا يمكنه أنْ يهيننى ... ، لكن لا أستطيع أنْ أقبل ذلك .

بالنتينا : لماذا ؟

فيدريكو : لم تكن وظيفة ، ما جاء ليعرضه علىَّ لم يكن عملاً ، لم يكن ما طلبته ، ما أرغب فيه ، ما تركه خيرمان لأمي كان

مبلغًا من المال ، معونة ، معذرة لأنَّنى لم أستطع أن أجد أىِّ عمل . وإزاء وضعنا المادى المتدهور فعل ذلك ... وذلك ، لا ، ذلك ، لا . لم تعرف أمى كيف تردّ عليه ، قد أخذت المسكينة منه هذه النقـود ، وانتظرت عـودتى حـتى أتصـرَّف. سـأشـكرك إنْ قلـتِ لخـيـرمـان أنَّ هذا ليس كبرياء ... ، لم تهنِّى صدقتـه ... ، التى قد أقبلها من غـيـره ... ؛ لأنَّنى لن أنكر لكِ أنَّه لا يوجـد شىء على الإطلاق فى منزلنا من السلّع الضرورية .

بالنتينـا : إذنْ ...

فـيـدريـكو : لا ، لا ، أقول لكِ لا ، اشكريه بالنيابة عنِّى ، وعن أمى ...، لكن لن أقبل ، لا يمكننى أنْ أقبل .

بالنتينـا : على الرغم من أنَّك لم ترد ذكـر ذلك ؛ فـأنا أرى أنَّ خيرمان دون أن يقصد ، قد أهان كرامتك . إنَّ الذنب ذنبى ، نعم ، إنَّه ذنبى .

فـيـدريـكو : هل أنتِ التى ... ؟

بالنتينـا : لا ، لا ، أؤكد لك أنَّه لم أكن أعرف أىَّ شىءٍ ، لم يقل لى إنَّه يفكر فى الذّهاب إلى بيتك ليفعل ما فعله ، لكن إنَّ الذنب ذنبى ؛ لأنِّى لم ألحَّ عليه بما فيه الكفاية كى يبحث لك عن وظيفة . حتى ذلك اليوم ، عندما وصلنى خطابك ، لم اقل له أىَّ شىءٍ . قرأ خطابك وتفهَّم موقفك المحرج ،

ولم يجد وسيلة أفضل من أن يقدِّم لك تلك النقود ... أترى أنَّ الذنب ذنبى ؟ كنت أنانيــة عندمــا أردت ألا أضــايق خيره ان يالماحى وأيضًا ... . سـأكون صريحة معك : لأنَّنى لم أرد أنْ أتحـدَّث عنك ؛ فــهــو يعـرف أنَّك كنت الصديق الوحيد لأخوتى ، و أنَّك كنت تدخل بيتنا وتعرفنى منذ طفولتى ، و يتـخـيَّل أنَّنا كنَّا مـخطوبين ذات مـرَّة ، وكان يشعر بالغيرة تجاهك .

فـيـدريــكو : غيور منِّى ؟

بالـنـتـيـنــا : أترى ؟ إنَّ الذنب ذنبى .

فـيـدريــكو : أىُّ سبب يجعله يغار منِّى ؟

بالـنـتـيـنــا : سبب ؟ لا شىء ، قلت لك ، افتراضاته ، و هناك أيضًا من قـال له شـيئًـا ... ولا جـدوى من إقناعـه بأنَّ ذلك ليس صـدقًا ، وأنَّنا لسـنا مـخـطوبين ، كمـا أنَّك لم تفكر فىَّ أبدًا ... إنَّها الحقيقة .

فـيـدريــكو : إنَّها الحقيقة ، إنَّنا لم نكن مخطوبين ، أمَّا أنَّنى لم أفكِّر فيك أبدًا ... فـهـذا لا ، هذا ليس حـقيـقـيًا ؛ لأنَّنى دائمًـا أفكِّر فيك .

بالـنـتـيـنــا : فيدريكو .

فـيـدريــكو : نعم ، نعم ، دائمًا ، الآن أستطيع أنْ أقول لكِ ذلك ؛ لأنَّ الآن ، بعد كل مـا قلته لكِ ، لا يمكنك أن تحـبينى . وهذا

مـا كنت أخـشـاه أنْ أكون ذات مـرَّة أنانيًـا، وأجـرؤ أنْ أعرض عليك حبِّي الذى كان ... هذه الحياة التعيسة ... هذا مـا أسـتطيـع أنْ أقـدمـه لك . لماذا أقـول لكِ إنِّى كنت أحبك ؟ أمى فقط هى التى كانت تعرف ذلك . كانت تأمل ذلك أكـثـر منى ، لم أنتظر ذلك أبدًا . نعم لقـد قـالت لى مـرارًا وتكرارًا : " فى يومٍ مـا ، عندمـا أمـوت ، عندمـا لا أكون عبئًا ، عائقًا بالنسبة لك ، سيمكنك أنْ تعرض على بالنتينا هذا الاقتـراح المتواضـع . وكانت والدتى هى التى تتابع حياتك خطوة بخطوة : " إنَّ بالنتينا ليس لها خطيب، حتى الآن بالنتينا عاقلة جدًا ... " بعد ذلك عندما أصبحت رفـيقـة لأديلا كانت ترى ذلك فى حزن كـبيـر ، لكنَّها مع ذلك، كانت ما تزال تنتظر " مسكينة يا بالنتينا ! إنَّ بيتها تعيس جدًا ! ... ليس هناك من ينصحـهـا ، من يرعاها ، لكنَّهـا على الرغم من ذلك مـازالت طيبـة جدًا ، حتى الآن طيبـة ، ستظل كذلك ... " بعـد ذلك ، عندمـا ذهبت مع خيرمان ، لم أقل لوالدتى شيئًا ، لم تتكلم عنك . إلى أن جاء يومٌ ما ، لا أعرف كيف ، لا أدرى لماذا ، قالت لى : " إنَّ بالنتينا رفضت انتظارك ... " عفوًا .

بالنتينـا : عفـوًا ! ... أنت من يجب عليه أن يسامـحنى . كيف كان يمكننى أن أعرف ... ؟

فيدريكو : كان الصَّمت أكبر دليل حب استطعت أنْ أقدِّمه لكِ . نحن الآن بعيدان كل البعد أحدنا عن الآخر ... كانت سعادة كبيرة جداً بالنسبة لى أنْ أرضى بالصمت ... لأنَّك الآن سعيدة ، و معى ... ماذا كان سيحدث لكِ لو كنتِ إلى جوارى ؟ وضعى ووضع أمى المسكينة !

بالنتينا : إذن؛ فأنت تصدِّق أنَ الحب الذى لا يجعل صاحبه سعيداً لا يكترث بشىءٍ ؟

فيدريكو : لا شىء يستحق ذلك . إنَّها حقيقة . إذا كان الشخص أنانيًا ، و كثيرٌ منًّا أنانيون . كيف يمكننا أن نكون سعداء إذا كان حُبنا لا يمكن أنْ يُسعد من نُحبُّهم ؟

بالنتينا : حتى إذا كان حبنا كبيراً جداً ! لكن ألا تعتقد أنَّ الأحزان المشتركة هى التى توثِّق حبَّنا ؟

فيدريكو : الأحزان الروحية ، ربما ، لكن الحزن الذى ينتج عن التعاسة لا شبيه له على الإطلاق .

بالنتينا : ما بالك بالحزن الذى يسبِّبه الحب ، الحبُّ من أعماق القلب ، و النتيجة أنَّ هذا الحبُّ لا يُصدَّق ؛ لأنَّ هذا الحبَّ يبدو حبًا ذا منفعةٍ أو مصلحةٍ ، لذلك لا ينقصنا شىءٌ فى الظاهر لكى نُصبح سعداء ؟

فيدريكو : تقولين فى الظاهر ؟ هذا ممكن ، ربما أنتِ سعيدة فى الظاهر .

بالنتينا : لا ، لست سعيدة ، و لا يمكننى أن أكون سعيدة . خيرمان لا يصدقنى .

فيدريكو : لأنَّه يرى أنّه لا ينقصكِ شيءٌ إلى جواره .

بالنتينا : لكن يجب أن يصدِّقنى ، يجب أنْ يصدِّقنى ... عندما يُصدِّق حبِّى ! إنَّه يرى أنَّ الفقر لا يرعبنى ، أنا أعرف الفقر جيداً ، أنت تعرف ذلك ، أنت لم تصدِّق أيضاً أنَّنى قادرة على تحمله .

فيدريكو : نعم ، يا بالنتينا ، أصدِّقك ، أصدِّقك ، فقلبك طيبٌ للغاية . رأيتك فى بيتك ، وأنت تعانين من الحرمان ، دون أن تظهرى أنَّك تعانين ، رأيتكِ سعيدة فى أيام حزينة ، رأيتكِ متحمسة عندما كان كل من حولك قانطون ويائسون؛ لذلك أحببتك ، لذلك تمنيت لك حظًا أفضل . فليس لأنَّك قادرة على تحمل الحرمان فى هذه الحياة يكون ذلك مبرراً إلى أنْ أحكم عليك بأن تعيشى طوال حياتك تعانين من شظف العيش، ولأنَّك تعرفين الفقر فأنتِ لا تستحقين أن تكونى كذلك . إنَّنى أصدِّقك . أصدِّق كثيرًا أنَّ ...

بالنتينا : هل مازلت تنتظر ؟

فيدريكو : نعم ، أنتظر حتى الآن ؛ لأنَّه لو جاء يومٌ ما ولم يحبك خيرمان ... لكن لا . حتى وإن كان لن يحبك ، فأنت ستحبينه دائماً . إنَّ قسوة الخديعة هى فقط التى قد تأتى

بك إليَّ ، و ستكونين حزينة جداً . لا أريد حبكِ على سبيل تعاستك ، لم أكن أريد لكِ من قبل ... ، و الآن لا أريده لكِ مطلقًا . سامحيني يا بالنتينا . فلتردِّي المال إلى خيرمان ولا تكلميه مرَّة أُخرى عنِّي . ولسوء الحظ فإنَّ أمي لن تعيش كثيرًا ، و بدونها ما الذى يعنينى ؟ وداعًا يا بالنتينا .

بالنتينا : فيدريكو ، إذا اضطررت إلى الخروج من هذا المنزل ...

فيدريكو : ماذا تقولين ؟ تخرجين من هذا المنزل ؟ هل خيرمان ... ؟

بالنتينا : بسببه ، لا بسببى أنا . أيوجد مكانٌ لى فى بيتك ؟ هل ستقبلنى أمُّك إلى جوارك ؟ سأعتنى بها كابنتها .

فيدريكو : بالنتينا ، أنتِ فى بيتنا ؟ هل تعرفين كنه بيتنا ؟

بالنتينا : نعم ، إنَّه الفقر الذى يخيف . إذا كان علىَّ أن أخرج من هذا البيت ... ، سأذهب هناك لكى أخلِّص نفسى . وداعًا فيدريكو . (يخرج فيدريكو)

المشهد التاسع

بالنتينا وخيرمان

خيرمـــان : إنَّه ليونتيو ، دائمًا ما يكون مسليًا .

بالنتينــا : هل سلاَّك ؟

خيرمـــان : لا ، الآن لا تتحدثى بسوءٍ عنه ؛ لأنَّنى ألاحظك وأنتِ ليس لك نصير أكثر فصاحة منه .

بالنتينــا : أشكر له ذلك . هل لأنَّنى أحتــاج إلى من يدافــع عنِّى أمامك ؟

خيرمـــان : يدافع عنكِ أمامى ؟ يا لها من هراءات تتفوَّهين بها !

بالنتينــا : إذنْ ، إذا لم يكن ضدَّك . ما الذى يهمنى ؟ أتعتقد أنَّنى قد أهتم بأحدٍ غيرك ؟ لا يمكن أنْ يكون لدىَّ خصم غيرك ... لذلك ، لأنَّك تريد ذلك .

خيرمـــان : اسمعى يا بالنتينا : ما هذه العبارات الغامضة التى تستخدمينها هذه الأيَّام ؟

بالنتينــا : هل قال لك ليونتيو ؟

خيرمان : نعم ، قال لى . لقد رآكِ قلقة ... قال لى ذلك . كان يجب عليك أنْ تقولى لى أولاً .

بالنتينا : نعم ، كان يجب علىَّ أنْ أقوله لك.

خيرمان : إذنْ ، لماذا كنتِ صامتة ؟ ماذا كنتِ تخافين ؟

بالنتينا : هل تعتقد أنَّنى يمكننى أنْ أخاف منه ؟ لماذا تعتقد أنى كنت صامتة من الخوف ؟ أحقًا ذلك ؟

خيرمان : ماذا أدرى ؟

بالنتينا : ألم تعرف ذلك ؟

خيرمان : لا ، لم أعرف ذلك ؟ كيف لى أنْ أعرف ما يمكنك التفكير فيه ؟

بالنتينا : نعم أنا أعرف ما فكرت فيه عنِّى ، سترى كيف أعرف ذلك ، أنت سترى ... فليفسِّر كلٌّ منا للآخر كصديقين حميمين . أأدهشتك الكلمة ؟ كصديقين ! أتمنى أنْ نستمر كذلك بعد مصارحتنا ! قبل أىِّ شىء أريد أنْ أقول لك إنَّ فيدريكو كان هنا ، قال لى إنَّك ذهبت إلى منزله ، و تركت لأمه مبلغًا من المال ، قد ردَّه إليك .

خيرمان : هل أُهين من جرَّاء ذلك ؟

بالنتينا : لا ، لم يهنه ذلك ؛ لأنَّه لم يقبل هذه الصدقة .

خيرمان : كنت سأعتبرها سلفة ... إنَّها حساسية مُبالغٌ فيها .

بالنتينا : لن نناقش سبب هذه الحساسية ... المُبالغ فيها كما تقول .

خيرمان : أعرف أنَّه قد قبل المال من أشخاص آخرين ، من إخوتك ، أصدقاء آخرين ... هذا ما أخبرتني به والدته .

بالنتينا : لا يوجد أىُّ صداقة بينك وبينه .

خيرمان : آه ، إذنْ ! لا يريد أنْ يكون مدينًا لى حتى لا يصغر فى عينيك ؛ لأنَّ فيدريكو يُحبكِ ، كان يُحبُّكِ دائمًا . حتى ولو أنكرتِ ذلك الآن ؛ فقد كنتما مخطوبين . كان إخوتك يعلمون ذلك وآخرون أيضاً ...

بالنتينا : أقالت أديلا لك ذلك ؟

خيرمان : إذا كانت هذه طريقتكِ لتسألى عمًّا إذا كنت قد عدت لرؤيتها ، فلن أُنكر ذلك . لقد حان الوقت الذى تسألينى فيه ، إذا كنتِ تشكٍّ فى ذلك .

بالنتينا : لم أشكُّ فى ذلك ، بل أعرفه ، استطعت أنْ أعرف ذلك من قبل .

خيرمان : وكما أرى لم يهمكِ كثيراً .

بالنتينا : أهذا ما تريد أنْ تعرفه ؟ إنْ كان قد أهمَّنى كثيرًا ؟ ألم يأتِ بك إلى هنا إلا الفضول ؟ إذن إذا كان كذلك ، فكيف تصدِّق أنَّنى أحبُّك ؟ وعندما عدت فإذا كان قلبك هو الذى أتى بك إلى هنا؛ فما الذى يجبرنى على أنْ أصدِّق حُبك ؟ لا يا خيرمان ، لا تخدع نفسك وتخدعنى . لقد عدت إليها لأنَّك لست سعيداً معى ؛ لأنَّك لا تصدِّقنى ،

لأنَّك تشكُّ فيَّ دائمًا ، وبعذاب الشكِّ يمكنك فقط أن تصدِّق الحقيقة ، الحقيقة التي تخشاها ، وهي نفس التي تنتظرها ، الوحيدة التي يمكن أنْ ترضيك ؛ لأنَّك كنت تحبُّها، كما يصل الأمر بالمريض إلى أنَّه يتعايش مع معاناته . فالحقيقة بالنسبة لك ، أنَّنا لنْ نظل نعشق بعضنا البعض إلى الأبد ، و أنَّه سيأتي يومٌ ما ... هذا اليوم ، لن يستطيع واحدٌ منا أنْ يكذب أكثر من ذلك . يجب أن يكون هو أنا ... وقد تأخرت قليلاً ؛ فقلقك وجزعك ، لكي تصل إلى النِّهاية ، أردت أن تعرف الحقيقة بأكذوبة ، الحقيقة ! بالنسبة لي ما هي إلا واحدة ، إنَّك لست سعيداً معي ، إنَّك لا تصدِّقني ... بالإضافة إلى ذلك ، ما الذي يهمني ؟ إذا كنت سعيداً مع المرأة التي كنت تعرفها ، والتي لن تستطيع أن تخدعك ، أمَّا معي ، فأنا أُمثِّل لك القلق المستمر ، الخوف من الشر الذي تتوجَّسه ولا تستطيع أنْ تراه ، على الرغم من أنَّك تراه دائمًا ؛ لأنَّه الأذى الذي فعلته أخريات معك ، و أنت الآن تفعله معي ، رغمًا عنك ... فمن الأفضل ألا يعذب بعضنا البعض . لن أستطيع أنْ أظهر الحب أكثر من ذلك ، لن أحسن الكذب . لن أستطيع أنْ أخبئ كلمات لا تذكرك بكلمات أُخرى ، لن أعرف القيام بمداعبات

ومـلاطفات دون أنْ تذكـرك بمداعـبات أُخـرى ، لن أعرف كيف أقسم لك بأيمان لم تسمـعها من قبل . وبما أنَّ كلَّ شئٍ كـان كذبًا ، فـهو كذب الآن . كذب ، كذب ! كنت دائمًا أخدعك ، كنت أبحث فى حبك عن الهدوء الذى كان ينقصنى فى بيتى ، الرّفاهية التى لم أستمتع بها أبدًا . لم أستطع أنْ أحبك ، لم أحبك ولن أحبك ، أنت تعرف . هذه هى الحقيقة ، الحقيقة . حقيقتك . هل أنت الآن راضٍ ، أتشعر بالهدوء الآن ؟

خيرمـــان : سامحينى يا بالنتينا ، سامحينى ! فلترأفى بحالى ! أرى حقيقة حبكِ ، و لم يدعنى جنونى أن أكتفى برؤيتها ، أشعر بها فى قلبى ، أريد أن أظهرها ، أتفهمها ، والحقيقة التى لا يمكن تفسيرها ، هى كونى أتعذَّب من خديعة ما . اسمعى يا بالنتينا ، أنتِ تعرفين ذلك ، إنَّ لدىَّ الحق فى عدم الثقة فى كلِّ شئ حتى فى نفسى ؛ لأنَّه بما أنَّ الخطأ كان خطأى فى تلك الخيانة ، فى تلك الأكذوبة التى حطمت حياتى . أحببت امرأة ، امرأتى ... ، لشخصيتها ، بالطريقة التى تربَّت عليها ؛ لأنَّها بمنتهى الحرية تهيئ قلبها ؛ لأنِّى لم أكن أرتاب فى أىِّ مصلحة كانت تجبرها على أنْ تزعم أو تتظاهر بالحب ، لم أكن أستطيع أنْ أحلم بحب أكثر مصداقية ، لكن يمكنك أنْ

تتخلى عن الحب لتكونى أفضل دائمًا ، بهذا الاتصال الرائع بين حياتين كانا يتحدثان عن قدسية الزواج ... وتلك المرأة التى كانت تخجل بحياء من مداعباتى ، تلك المرأة ، التى لم أكن أقبلها أبداً إلا واعتذرت على جرأتى ، إنَّها المرأة التى كانت دائمًا فى عينى، كأنَّها محاطة بالبنُّور فى عيد البشارة ،هى ... أنتِ تعرفينها ... ، الخيانة الفظيعة ! ... الصَّديق ، الأخ ،دون أنْ نبرر العشق ولا الرذيلة ،وبكل اللامبالاة من الجريمة المرتكبة بكل الخبث ، و كأنَّها كانت تقتص منِّى لخيانة أُخرى ، جريمة أخرى ... بعد ذلك جاءت امرأة أُخرى ، تعيسة جداً ، هى التى باقترابى منها اعتقدت أنْ عظمتها تساوى أكثر من حبها ، كانت أديلا ، التى تسبَّبت فى تعاستها ونكبة حياتها ، بشرور الرجال ... وأنا وثقت فى فضيلة كرمى ، وأردت التخَّلص منها ، كانت كأنَّها مخلوقة لى ، لقد علَّمتها ، اعتقدت أنِّى أيقظت فى قلبها مشاعر لم تكن تعرفها ، كأنَّها كانت طفلة سلسة الانقياد ... وأنا لم أطلب منها الحب فى المقابل ، كانت حرة كى تحبنى دون كذب ... وأنت تعرفين ذلك ، نعم ، كذبت ، كانت تكذب دائمًا ،وأنت تعرفين أين ذهب حبها ، دون أن يمكنها أن تبرر الفاجعة كما كانت تقول ... فنكبتها كانت هى ،

فقلبها الضَّال ، الذى لم يكن يستمتع إلا بالخديعة والكذب غير المفيد ، والتى كانت لعبة مسلية بالنسبة لها . إذن ، أفهمت أنَّ الحب لا يعرف العرفان بالجميل ، لا يعرف أىَّ شعور إلا الشعور به وحده ... ربَّما يكون ذلك كل عظمته ... وأيضًا كل تعاسته . يعطى الرَّجل منا حياته وشرفه ، مهما كان ثمنه لحبٍّ امرأة ، وعندما يعتقد أنَّها تستحق ذلك ، يرى منها بمنتهى الرعب ، أنَّ أى وغدٍ قد يكون مطمئنًا لحبه أكثر منه بدلاً من السِّباب والاحتقار والضَّرب ، يمكن أن يكون متأكداً من حبه . إنَّه حب المرأة ! دائمًا غير مفهوم ، و عندما يكون حقيقيًا يكون أكثر ريبة من كل الأكاذيب .

بالنتينا : وكأنَّ حبِّى أيضًا غير مفهوم بالنسبة لك ... ألم تصدَّق أنَّه كان حبًا ، ألم تُرد أنْ يكن عرفانًا بالجميل . ألم تعرف أن تتفهمه فى قلبى ؛ لأنَّ قلبك لم يستطع أنْ يصدِّق كونه حقيقيًا ... لقد عذبتنى من جرَّاء كل الأذى اللائى ألحقته بك ، و بكلِّ الأذى الذى فعلته ، الأكثر قسوة ، و الذى لن أستطع أن أسامحك عليه ؛ لأنِّى أيضًا بدأت أشكُ فى نفسى ... شعرت لأوَّل مرَّة أنَّ قلبى قد ابتعد عنك بكل الشَّوق للتصديق ؛ لأنَّه قد ينقصك تصديقى ، إذا لم تستطع أنْ تكون سعيداً ، ما جدوى حبِّى ؟ دعنى أثق فى نفسى عندما تشكُّ فىَّ . عندما تستطيع أنْ تقول : " إنَّك

لم تعد تحبُّني ! " حينئذٍ أعرف أنَّه كان عليك أن تقول :
"كما كنت أحبُّها ! " .

خيرمـــان : نعم يا بالنتينا ، نعم ، من الأفضل أنْ ننفصل ، قبل أنْ تأتي النِّهـاية المرَّة لـهـذا الحب . الآن أعـرف أنَّ الذنب ذنبـى ، نـعم ، إنَّه ذنبى ؛ لأنَّه كان كذلك ، فتصديقى لكِ ، كنت أشعر دائمًا بالرغبة المريضة فى تعذيبك ، إلى جوارى كنت أشعـر بذلك ، إنَّهـا رغبـة أقـوى منِّى ... ولا أحب ، لا أحب ... اهربى منِّى ؛ لأنِّى أعرف أين سينتهى بى الجنون ... وحتى تمنى موتك لكى أصدِّق حبكِ .

بالنتينـــا : يجب أنْ تصدِّق ، يجب أنْ تصدِّق ! ... (تسقط مغشيًا عليها ، يا إلهى ، يا إلهى !)

خيرمـــان : بالنتينا ! ، بالنتينا !

بالنتينـــا : لا ، ليـس الموت ... إنَّه أسـوأ من الموت ... إنَّه صـمت قلبى ، الذى أراد أنْ يقول لك كثيرًا ، كثيرًا ... لماذا ؟ كلمات ، دموع ... دون أنْ تعرف ما فعلته بىَّ من سوء ! ... من الأسوأ أنْ أستطيع أنْ أقوله لك ، دائمًا تشكُّ ، الصَّمت ، الصَّمت ، هو الأفضل ، الصمت ...

خيرمـــان : بالنتينا !

بالنتينـــا : لا ، لا تقتـرب منى ، أكـرهك ، أكرهك من كلِّ قلبى ، سترى ما أقدر عليه ، سترى انتقامى ... بكل ما بكيته ، الدموع تعرف كيف تنتقم ... سترى عندما تصدِّقنى وحتى

ساعة موتك ، تفكِّر فيما ألحقته بيَّ من أذى، وحينئذٍ ستعرف أنَّني كرهتك كثيراً مثلما كنت أحبُّك ... ، وسأكرهك دائمًا، ولن أسامحك أبدًا ... لا ، لن أستطيع الصَّفح عنك ، لا أستطيع ...

خيرمـــان : بالنتينا ، حبيبتى بالنتينا!

بالنتينـــا : آه ! إنَّنى أختنق ! الآن ، نعم ... إنَّه الصَّمت ... إنَّه الموت ... ! خيرمان يا حبيبى ! ... (تسقط منهارة)

ســـــــتار

الفصل الثَّالث

المشهد الأوَّل

لويسا وبيبى

بيبى : كيف حالك ؟ كيف قضيت الليلة ؟

لويسا : بلا نوم، ولكن أكثر هدوءاً .

بيبى : وأنت ، هل استرحت؟

لويسا : نعم استطعت النوم قليلاً ، لقد ظلَّ ليونثيو هنا حتى الفجر .

لويسا : ماذا قال الطبيب ليلة أمس ؟

بيبى : ما نعرفه جميعاً ... اضطرابٌ عصبىٌ شديدٌ، ليس له إلا علاج فعالٌ واحد ...

لويسا : عودة بالنتينا ...

بيبى : هكذا .

لويسا : مسكينة يا بالنتينا ! ... هو الذى تركها تخرج من المنزل بهذه الطريقة القاسية ...

بيبي : لا ، ليس كذلك . لقد بذل خيرمان ما فى وسعه ...

لويسا : إهانة جديدة ، إذا اعتقد أنَّ بالنتينا كانت ستقبلها . لا ، لا يوجد مبرر لخيرمان ، كان يمكن أنْ يقتنع أنَّ بالنتينا لم تحبه لأجل المصلحة ... فهى الآن أكثر سعادة بفقرها .

بيبي : أتعتقدين أنَّها أكثر سعادة ؟

لويسا : نعم أعتقد ذلك . أستطيع أن أحكم بنفسى . لقد كنت فى حالتها .

بيبي : حينئذٍ ... لم تكن تحبُّ خيرمان كثيراً؛ لأنَّها استطاعت أن تنساه بهذه السرعة . سعادتها مع حبٍ آخر ...

لويسا : لا أعرف هل استطاعت أن تنساه ؟ ربما مازالت تحبه ...

بيبي : خيرمان لا يفكر إلا فيها ...

لويسا : إنَّه وخز الضمير .

بيبي : وبالنتينا ، ماذا تقول ؟ أتحدثت معها ؟ أتعرف أنَّ خيرمان مريضٌ جداً ؟

لويسا : نعم تعرف ذلك ...

بيبي : هل ستأتى لتراه ؟

لويسا : أعتقد ذلك ؟ ستقول لى ذلك اليوم ؛ لأنَّها لن تأتى إلا بعد علم فيدريكو .

بيبي : إذنْ لن تأتى ...

لويسا : لِمَ لا ؟

المشهد الثانى

السابقون وخيرمان

لويسا : آخ ! خيرمان ... كيف حالك ؟ أعتقد أنك أردت فقط أنْ تقلقنا عليك .

خيرمان : بل أنتما من أثارا قلقى على نفسى . حقًا لقد جعلتمانى أعتقد أنَّ خطر الموت يداهمنى بالأمس .

لويسا : نعم ، لقد أقلقتنا .

بيبى : لقد أخطأت لاستيقاظك .

خيرمان : لأنّنى لم أستطع النوم ولا الراحة ؛ فالقلق والصّمت أثارا أعصابى بدلاً من أن يهدئها . إنّنى أحتاج إلى التحدّث، التحدُّث كثيراً .

بيبى : أنت تعرف ما قاله لك الطبيب .

خيرمان : آه ! ... يعرف الأطباء الأمراض، ولكنهم يعرفون قليلاً عن المرضى .

لويسا : خاصة إذا كان القلب هو المريض، وإذا كان غريبًا مثل قلبك .

خيرمان : لديك كل الحق ، غريب جداً ، لأنَّه كذلك ، فقدت أعز ما أحبُّ ، ما أحبَّه من كلِّ قلبى .

لويسا : والآن أترى ذلك ؟

خيرمان : اراه دائمًا ، لكن لم أرد أنْ أصدقه ، يفزعنى تصديقه . مسكينة يا بالنتينا ! فى كلماتها ونظراتها، وكنت أترقب الخديعة التى دائمًا أخشاها وأتوقعها دائمًا ، لقد قتلت كل التلقائية فى قلبها ، وبدا لى كلُّ شىءٍ وكأنه محسوبُ لا محسوس . كان يوجد صمتٌ مقلق ، وفكرت : " لماذا تسكت ، وأنا أعرف أنَّها ترغب فى أنْ تقول لى الكثير ؟ " وقد تفكِّر هى :" ماذا يمكن أنْ أقوله له ، إذا كنت أعرف أنَّه لا يصدقنى ؟ " نعم ، أعرف أنَّنى كنت قاسيًا ، لكن ما استطعت أنْ أعذبها به لم يكن كالذى عذَّبتنى به ؛ فكلما بدت لى الحقيقة مشكوك فيها فى لحظة ما ، كنت أتمنَّى أنْ تكون الأخيرة فى حياتنا . لم أعرف إن كنت أحبها أم أكرهها ... لم أفكِّر إلا فيها ، هى دائمًا ...

لويسا : ولأنَّ أفكارك كانت سيئة للغاية اعتقدت أنَّ الذَّنب ذنبها . هناك ما يقوله لنا الكتاب المقدَّس ، مباركة الجبهة هى الأساس ، كى يخلِّصنا الله من الأفكار السَّيئة ؛ لأنه إذا فكَّر أحدٌ بسوء فإنَّه آجلاً أو عاجلاً يُقدم عليه . إنَّ هناك من يخرج مع من يحبها ؛ فعلى الرَّغم من أن ذلك ليس فى

صالحنا ، فإنّنا نحبُّ أن نكون على صواب دائمًا .
يحدث ذلك كثيراً ... يعرف بيبى ذلك ، عندما أنتظره ، ويتأخر فى الوصول ، أفقد صبرى ، وأبدأ فى التفكير فى أشياء سيئة قد تؤخره ، سيكون مع أصدقاء السُّوء ، أو يتسلى مع امرأة ، أو قد نسى موعدنا ، وربما لكونه ليس متلهفًا على رؤيتى ... وفى النهاية ، يصل ، وأوّل ما يفعله هو أن يُفسِّر لى كل شىءٍ ؛ فالحقيقة سريعًا ما تجعلنى مقتنعة ، مسكين ! ... لم يكن الذنب ذنبه ، ما كان لى أنْ أفكر بسوءٍ ، لكن إذا أردت ، فقد فكّرت بالسُّوء ، وبدون أن تعرف كيف ، لم تمر لحظة إلا ويكون قد أفضى إلىّ بكلّ شىءٍ . نعم ، نعم ، وأصدِّقك ، لكن كما فى كلّ المسرات التى تأخرت عليك فيها لذلك السبب ، أو لغيره ، إذًا بما أنَّك لست هكذا ، بما أنَّك عندما تكون مرحًا فأنت لا تتذكّر أنَّنى موجودة ، وكأنَّك لا تحبــــنى كما أحبك ... وهكذا ، فإنَّ كلمة فى كلمة ، يحدث الاستياء الفظيع ... وبما أنَّ الواحدة منَّا قد جهزت وابلاً من الكلمات ، تكون الواحدة معجبة ببعض العبارات التى كانت قد فكرت فيها جيداً ... ولم يكن هناك حلٌّ إلا أن تتفوّه بتلك العبارات ، بسبب أو بدون سبب ، إذن حدث لك شىءٌ مماثل مع بالنتينا . فكرت أن تنتهيا بطريقة سيئة ،

وفى النهـاية فـزت بمرادك، وها أنت ترى أنَّك تعـيس وبالنتينا ...

خـيرمـان : ليست سعيدة ، أنتِ تعرفين ذلك . أحقًا ليست سعيدة ؟ لا يمكن أن تكون هكذا .

لـويـسـا : ستكون سـعيـداً إذا كـانت كذلك ، إذن فلن أسـتطيع أنْ أؤكـد لك ذلك ؛ لأنَّ الظَّاهر ، مـا يقـوله الظَّاهر إنَّهـا سعيدة. من المؤكد أنَّك إذا أخذت بالظاهر؛ فأنتما أيضًا تبدوان سعداء . يمكن أن تكون كذلك . ستعرف !

خـيرمـان : لا ، لم تُخف عليك بالنتـينا أىَّ شىء ؛ فـأنت تعلمـين مـا حياتها ... ستعيش فى منتهى الفقر ! ...

لـويـسـا : بتواضع .

خـيرمـان : لقد سلَّمت نفسـها بقيم كنت أعتبرها مـقترنة باسمـها ، إنَّها قيم خاصة بها .

لـويـسـا : فيمَ سنفكر إذا كانت بالنتينا مستعدة لكل هذا ؟ أنت رجل عديم الثقة .

خـيرمـان : وفيمَ يمكننى أن أثق ؟ وبالنِّسـبة لها لست لطيفًا . عندما كنت أظـهر لهـا الصَّمت ، كـانت ترد بسـخرية ، شكَّاك وغيـور دائمًا . أمـا كـان يجب علىَّ أنْ أتسـاءل : " كيف يمكنها أن تحبنى كثيرًا ؟ "

لـويـسـا : إذنْ فقد اقتنعت أنَّ بالنتينا لن يخيفها الفقر .

خيرمـــان : هل تحبه كثيراً ؟ هل كانت تحبه ؟ أخبريني هل تحدثت بالنتينا معك عنِّي ؟ ما الذى تفكر فيه ، ماذا تقول ؟

لـويـســـا : مـاذا تريدنى أنْ أقـول ؟ البـارحـة ، عندمـا علمـت أنَّك مريضٌ ، وأنَّنا قد أُزعجنا أن نراك فى هذه الحالة ، كانت شاردة جداً ... وتنتظرنى اليوم لأوافيها بالأخبار .

خيـرمـــان : لقد كنت أحمقَ وتعيساً . بالنتينا ، حبيبتى بالنتينا ! لا ، لن أستطيع أن أعيش بدونها ، لن أستطيع ، لن أستطيع ... سأُجنُّ ، سأنتحر ... بالنتينا ، بالنتينا حبيبتى ! ...

بـيـبـــى : كفى يا خيرمان ! ...

خيـرمـــان : كانت لى وقد فقدتها للأبد ، و ستكون ذكراى كريهة فى قلبـهـا . على الرغم من أنَّ كلَّ شيءٍ كـان كـذبًا ، مـاذا أهمنى ؟ بماذا تفيد الحقيقة ؟ فأية أكذوبة هى شيءٍ جميلٌ إذا صدقناها . أنتِ تعرفين أنَّنا نحبُّ الذى يعرف كيف يخدعنا ، إنَّها مُلحة قيمـة فى حيـاتنا ، إنَّها صدقة الوهم .

المشهد الثّالث

السابقون وليونشيو

ليونشيو : أيُّها السَّادة ، صباح الخير . كيف حاله ؟

بيبى : ها هو أمامك .

ليونشيو : استيقظ ؟ أنا قلت ... لا يوجد شىءٌ خطيرٌ ، أعصاب ، أعصاب ، كما يقولون الآن ، الألم النفسى ، أمراض أخلاقية ، كما أقول ، أعرفها جيدًا ، أعرفها ... كيف حالك يا عزيزى خيرمان ؟ أكثر هدوءًا ؟ هذا وجه آخر . الحقيقة ، أنَّك أفزعتنا ليلة الأمس . لم تعمل حساب أىِّ شىءٍ ... تكلَّمت ، تكلَّمت ... يا لها من أشياء التى قلتها لى : سبابٌ ، سبابٌ حقيقى . لو لم أكن أعلم أنَّك كنت تهذى ... !

خيرمان : هل أنت متأكدٌ ؟

ليونشيو : عجبًا ، إنَّها دعابة لذيذة ! إشارة جديدة ، لقد طمأنتنى وأسعدتنى ، إنَّما تحتاجه هو الذِّهاب إلى الريف لبعض

الوقت . يمكننى أن أرافقك إذا أردت ؛ فبالنِّسبة لى هى ليست تضحية . أنا أيضًا أحتاج أنْ أنسى ... أنسى ...

بـيـبـى : لقد نمت قليلاً ، عندما انصرفت كانت تقترب من الرابعة .

ليـونـثـيـو : لم أنم نهائيًا ... كنت أتجوَّل ... كان الشروق فى منتهى الرَّوعة ... دخـلت إلى مقـهى صـغير . يا لها من لوحات هذه ، يا سيدى ، يا لها من أحوال ! ستفـزع وتهدأ فى الوقت نفسه ، مواساة أنانية ، سلوى العالم ، عندما ترى من هو أكثر تعاسـة . لن يكون لأحد الحق فى أنْ يشكو ، لا يا خيرمان ، ليس لنا الحق فى الشكوى . من المؤكد أنَّ هؤلاء الناس المساكين يشعرون بما نشعر به ... ، لكن نسيجهم الرُّوحى مختلف تمامًا ...

لـويـسـا : بما أنَّ السيد ليونثيو قد جاء ، سأصطحب بيبى . أنت تعـرف أين سـاذهب ، إنَّهم ينتظروننى على أحـرٍّ مـن الجمر .

خـيـرمـان : نعم فلتذهبى ، اذهبى .

لـويـسـا : ماذا تقول إذا جاءت بالنتينا لتراك ؟

خـيـرمـان : لا أعتقد .

لـويـسـا : فلتشكّ ، على الأقل أنت دائمًا تشكّ .

خـيـرمـان : أعتقد أنَّنى سأموت ...

لـويـسـا : نبالغ قليلاً ... إذا استطعت أنْ أتكلم معها ، أنت تشعر بالندم ...

خـيـرمـــان : نعم ، نعم ، أحتاج إلى عفوها ... أحتاج أن تقبل كل ما لها ، وأنْ تكون سعيدة ، سعيدة جداً ...

لـويـســـــا : إذن على اللقــاء ، فلتـشك، و لتنتظر . (تخــرج لويســا وبيبى)

المشهد الرابع

خيرمان وليونثيو

ليونثيو : اعتنِ بنفسك يا خيرمان ، اعتنِ بنفسك ، لا تكترث بمصير أىٍّ أحدٍ ، يعرف كلٌّ منَّا كيف يعيش بطريقته ، وأنت تريد أن تعرف إن كانت بالنتينا ستعيش بدونك ، وها هى تعيش ... أمَّا بالنسبة للامبالاتها برفضها ما عرضته عليها ... ، سنرى . على الأقل قد سمعت أنَّها تفكِّر أنْ تعود لتراك ، اتفاقية ، هذا طبيعى . إنَّها النزوة بهذا الفيدريكو ، لا يمكن أن يكون شيئًا آخر ، نزوة ، غيرة ، هذا ما نقوله فى أرجانزويلا . نعم إنَّها ستعتاد على العمل ! ... لقد قلت لك إنَّك لن تفهم النساء أبداً ...

خيرمان : ألا تريد أن تصمت ؟ ألا تفهم أنِّى أتحملك منذ سنوات كثيرة ؟

ليونثيو : عفواً ، يا عزيزى خيرمان ، اعذرنى . لم أعتقد أنَّك ستفهم كلامى هكذا . أنت تعرف قصدى . أسليك وأجعلك تنسى ... عفواً .

خيرمان : لا تعاود الحديث معى عن بالنتينا .

ليونثيو : أنت الذى لا تعرف الحديث عن شىءٍ آخر غيرها .

خيرمان : لكن معك لا ، معك لا . لقد استطعت أنْ أفكِّر فيها بما كنت تقوله لى ، لذلك بالذات لا أريد أنْ أسمعك ، حتى لا أخجل مما كنت أفكِّر فيه .

ليونثيو : حسنًا ، حسنًا . هذا هو أنت !

خيرمان : لكن ألا تفهم أنَّنى أكرهك ، أكرهك ، حتى إن كنت أسمعك فقط ... كان من أجل ذلك ؛ لأنَّك تكشف كرهى واحتقارى . فأنت تجعلنى أشمئز من نفاقك ودناءتك وأكاذيبك ، التى كانت من أجلى فقط ... ملخصًا الإنسانية ، كلُّ ما كان فيها من تعاسة ، كلُّ ما كان يبرر عدم ثقتى ، شكِّى ، قسوتى ، باستطاعتى الشك فى كل شىءٍ وافتقادى للطيبة ، عدم معرفتى بها واستقصائى لكلِّ الأسباب المهمة فى كل الأفعال واستمتاعي بالأحداث غير اللائقة ! ... كلُّ هذا أنت بالنسبة لى . ألا يجب علىَّ أنْ أكرهك من كل قلبى كأسوأ ما فى نفسى ، مثل كلِّ السوء الذى فعلوه بى وكل السوء الذى فعلته ؟

ليونثيو : لو لم أعلم أنَّك لست من يتكلم فى هذه اللحظة ... أنت غير مسئول . سبنى ، اقتلنى إذا كان ذلك هو ما يريح

أعصابك ، أنا أسامحك . من المعروف أنَّك تحتاج دائمًا لضحية . من الجيِّد أنْ تردَّ الشر الذى فعلوه بك ، لكن هذا ليس عدلاً ...

خيرمــــان : إنَّها حقيقة . ما ذنبك ؟ ما ذنب أىِّ أحدٍ ؟ لا ذنب لأحدٍ ، كلنا تعساء ، كلنا يجب أنْ يسامح بعضنا البعض ... إنَّها الحياة ... إنَّها الحياة ... سامحنى يا ليونثيو ، سامحنى ... وحدثنى عن بالنتينا ، حدثنى عنها ... ، مثلما كنت تحدثنى عنها كثيراً ، لكى تدافع عنها ضدِّى عندما كنت أشكُّ ... كانت بالنتينا طيبة معك كثيراً ، أؤكد لك .

ليــونــثــيو : أعرف ذلك ، أعرف ذلك ، ولن أكون نادمًا أبداً لكونى كنت أمزِّق خطابات أديلا ... أديلا ، التى كانت دائمًا . أرادت لحبِّها لنفسها ، وشعورها بالرضا باسترجاعك لبيتها مرَّة أُخرى ، فاتها الوقت لكى تكتب متناقضات، وعندما تحصل على ما تريد ، تضحك عليك من جديد .

خيرمــــان : ما الذى يهمنى ؟ أتعتقد أنَّ تلك المرأة يمكن أن تهتم بى ؟ قل لى : أنت تعرف بالنتينا ؟ كيف تعيش ؟ أتعتقد أنَّها يمكن أن تكون سعيدة ، إنَّها تحب ذلك الرجل ؟ ... وإذا كانت تحبه ، إذا كانت تحبه من قبل ، إذنْ كلُّ شىءٍ كان كذبًا ... لكن لا ، كان الذنب ذنبى ... كنت أنا ... أتعتقد

أنَّها ستأتى ؟ وإذا جاءت سيكون إلى الأبد ؟ ... فالآن لا
إهانة لكلينا ، يجب أن يسامح بعضنا البعض ... إذا
عرفت كم أرغب أنْ تسامحنى ! هى ، نعم ، هى ، نعم ،
حبيبتى بالنتينا ! كيف استطعت أنْ أشك فى حبِّها ؟ ألم
أعرف ما هو الحبُّ الكاذب ؟ كيف اعتقدت أنَّها كانت
تكذب علىَّ ؟ هاتان العينان ، بكلِّ وضوحهما ، عندما لم
تكن تكلمنى ، كانت عيناها تحكى لى كلَّ حزنها فى نظرة
واحدة ! ... وسعادتها عندما أتظاهر أنِّى سعيد ! ... ،
ستأتى ... بالأمس اعتقد الجميع أنَّنى سأموت ... لقد
قالت لها لويسا كلَّ شىء ، ماذا تعتقد ؟ ستأتى ؟ ألا
تعتقد ذلك ؟ أنت ، دائمًا لا تعرف النُّطق بالأكذوبة
اللطيفة ، لا تكذب الآن ...

ليونثيو : ماذا تريد ؟ أنا مثل الشاب المعاقب ، و لا أجرؤ ... لكن
انتظرها لويسيتا ، هى ستعرف .

المشهد الخامس

السَّابقون ولويسا

خيرمان : ماذا؟ ألنْ تقولي لي شيئًا ؟

لويسا : أريدك أنْ تيأس قليلاً حتى تعرف من وجهك أنَّك مريضٌ جداً . لقد بالغت قليلاً !

خيرمان : إذنْ ... ؟

لويسا : أنا والسَّيد ليونتثيو نزعجك منذ أن جئنا .

خيرمان : لأنَّ ...

لويسا : نعم إنَّها هنا ، جاءت معي .

خيرمان : لويسا .

لويسا : هل تدخَّلت يا سيد ليونتثيو ؟

ليونتثيو : نعم لقد سمعت ذلك ، إنَّه ممنوع .

لويسا : نمنعه يا سيد ليونتثيو ، نمنعه يا سيد خيرمان ...

خيرمان : لا تخافوا شيئًا ، أنا هادئٌ لا أعرف ما يمكن أنْ نقوله .

من الأفضل ألا نقول شيئًا ، ننظر إلى بعضنا البعض فى
صمت ... دون أنْ نقول أىً شىءٍ سنقول أشياء كثيرة ...
(تخرج لويسا وليونثيو)

المشهد السَّادس

خيرمان وبالنتينا

خيرمــــان : بالنتينا ! حقًا ، حقًا !

بالنتينــــا : كيف حالك ؟ لقد أفزعوني ... ماذا حدث لك ؟ ماذا حدث ؟

خيرمــــان : لا شيء ، لا شيء . أترين ، لم يحدث أيُّ شيء . تعالى هنا ، لا تجذبى يدك ، لا تنظرى حولك لترى إنْ تغيَّر شيء ، انظرى إلىَّ ، انظرى إلىَّ ... لن نتحدث عمَّا جرى ، لم يحدث شيء . إنَّه الاستيقاظ من الكابوس . مثلما كان يحدث ، أتتذكرى ؟ عندما كنت تستيقظين كالطفلة المفزوعة وتضمينى وتقولين لى : " كان كابوسًا بشعًا ! كنت أحلم أنَّك مت ، أو أنِّى مت وأنت بعيد جدًا عنِّى ، أو حلمت أنَّنا انفصلنا إلى الأبد ... " إذن هذا ما كان ، كابوس ، لن نتذكره ، لن نسأل عن أىِّ شىءٍ . أنت هنا ، أنت هنا ... لا تنظرى إلىَّ بعينيك الحزينتين، تكلمى ،

حدثيني عما تريدين ، و أنَّنى أعود لسماع صوتك وكأنَّه
مداعبة ... لماذا تصمتين ؟ لا تريدين أنْ تنظرى لى ؟
سامحينى ، سامحينى ...

بالنتينا : لقد سامحتك ، ها أنت ترى، وإلا لما جئت .

خيرمان : لكنك اعتقدت أنَّنى متُّ . كنت سأموت من الحزن .

بالنتينا : لا أحد يموت من الحزن . أنا الآن من يشكُّ فى كل شيءٍ ، لقد تعلمت منك . لكن لن أفعل أىَّ سوءٍ مثلك ؛ لأنَّ ما فعلته بى ، بالعكس ، أشعر بالرغبة فى عمل الخير ، ينبض فى قلبى صوت جميل ... يبدو لى أنَّنى أعرفه ! كأنِّى قد متُّ ومن عالم آخر أفضل ، أشعر أنَّ أمور هذا العالم بعيدة جداً ....

خيرمان : وأنا بعيدٌ جدًا أيضًا ، حقًا ؟

بالنتينا : نعم ، بعيدٌ جداً ، إن لم أكن بعيدة ، فأنا لست قريبة منك الآن . لقد جئت لأنِّى أعرف أنَّك حزينٌ جداً . أسوأ أنواع الحزن . حزن وخز الضمير ؛ فالشر الذى فعلناه أكثر حزنًا من الذى فعلوه بنا .

خيرمان : أكثر حزنًا ، إن لم تسامحينى ، فلن أستطيع أن أسامح نفسى .

بالنتينا : يجب أنْ تعيش ، يجب أن تعيش . اعتنِ بنفسك كثيراً . أليس لك من يهتم بك ؟ اعتقدت أنَّك لن تظل وحيداً ....

خيـرمـــان : ألم تتأكَّدى أنَّ حبك هو آخر حبٍّ فى حياتى ؟

بالنـتـيـنـــا : قد اعتنيت قليلاً بحب حياتك الأخير . أمَّا حبك فكان الأوَّل بالنِّسبة لى ، ربَّما لهذا السبب لم أعرف الاعتناء به . كان حيلة ؛ لأنَّ الحقيقة بدت أكذوبة ، لا يمكن أنْ أحبَّ هكذا بكلِّ هذه البساطة .

خيـرمـــان : كيف تحببين الآن ؟

بالنـتـيـنـــا : من السهل جدًا أنْ نحبَّ من يحبنا ... من السَّهل أنْ نتركه يصل إلى الحياة دون أن نسرع للقاء الساعات قاطعين طريقه : " أتخدعونني اليوم ؟ ما السعادة أو الحزن الذى جاء معكم ؟ " الآن مرَّت الساعات ، الأيَّام ولم أسألهم عن أىِّ شىء ؛ لأنَّنى لا أطلب منهم شيئًا . كما أنَّ يدى لم تكن ملوثة لذلك ، لم يلُوِّث فكرى ، وها قد عرفت أنَّ الأيَّام بساعاتها ، الحياة بأكملها ، لن تأتى بنا إلا إلى ما هو موجود أمامنا ، نسيجها يُنسج بخيوط من قلبينا ؛ فالخيوط كالنسيج ، فكما نحن تكون حياتنا ، وعندما عملت ، عملت بحب . سترى كيف يمكن أن تُنسج حياة سعيدة من نسيج فقير جداً .

خيـرمـــان : تعملين ، أعرف ذلك ، وأعرف أنَّك لن تكونى حزينة لهذا السبب ، لكن ... كم ، كم من الأهداف ، كم من الحرمان ! ... وهذا ، لا ، هذا ما لا أريده أنْ يكون ... انظرى إلى هذا القفَّاز البالى ! ...

بالنتينـــا : لا تكترث ، لا تكترث . أتعتقد أنّى لا أملك قفازًا جديدًا؟
لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟

خيرمـــان : الحذاء يختبئ من الخجل .

بالنتينـــا : خرجت من المنزل كما كنت ... وإذا ظللت هكذا دائمًا ...
فالآن لا أحد يفكّر أنّنى أبيع نفسى .

خيرمـــان : هذا ، لا يا بالنتينا ، هذا ، أبدًا !

بالنتينـــا : تفكّر فىّ هكذا ، و ستفكر هكذا . أىّ سبب آخر جعلك
تشكُّ فىّ ؟ إذا كنت ترانى حزينة عندما ابتعدت عن الشكّ
فىّ ، كان حزنى خوفًا من أن أفقد الحياة المرفهة ، عندما
كنت أتظاهر بالسعادة حتى لا أعذبك بحزنى ، كنت أمثّل
السعادة غير المبالية ، كنت أتجنب المضايقات لأتجنّب
الأخطار ... وهذا كلّ شىء ، هكذا دائمًا . وفى النهاية ،
كما أنّ كلّ ما فىّ زيفٌ وكذبٌ ، مقصود، وبدون شك، أن
يفاجئك شعورى بأنّه مخلص أو غير صابر على الانتهاء ،
و كان ذلك حقيقة ، ألم تستطيع أنْ تجد شيئًا أكثر قسوة
لتعذّبنى به من الإهانة عندما عرفت أنّك رجعت إلى بيت
أديلا ، المرأة التى أقسمت أن تنتقم منى ، المرأة التى من
أجلها كنت ... أنت تعلم ذلك ، كخادمة ، المرأة التى
أرادت فقط أن تفصلنى عنك، وعرفت جيدًا الطريقة التى
تتوصل بها إلى ذلك ... ،وإذا لم تكن أنت من يعلم ذلك ،

لماذا كان عليك أن تفكِّر أنَّ حبِّى حقيقة أم كذبٌ ، أنا كنت امرأة أيضًا ، وإذا كنت أحبك ، كنت سأغفر أىَّ شىءٍ ، أمَّا إذا كنت أتظاهر بحبك ، كنت سأتحمَّل أىَّ شىءٍ إلا أنت ، أنت من سلمتنى إلى الاحتقار ، إلى الإهانة أمام تلك المرأة ... استطعت أن تفكِّر إنْ كان بإمكانى أن أغفر ذلك ، و لن أنساه أبدًا بمقدار ما كنت أحبك ... وأنت لا تعرف كم كنت أحبك ... وإذا فكَّرت وعرفت ذلك ... ، عرفته ، نعم ولم تذهب لتهيننى مع امرأة أُخرى . كان يجب أن تكون هى ، هى ، لا يوجد أخرى ! الوحيدة التى عندما تعرف خروجي من هذا المنزل ، هذا ما كانت تريده ، طردى من هذا البيت ، كما طردتنى هى من بيتها . كيف ستضحك علىَّ ، عليك ، علينا وكأنَّها لم تضحك عليك بما يكفى ! ... وما زالت تحتاج أن تجعلك شريكها وتستعيرك لذلك ... ضدى ، أنا كان كلُّ ذنبى أنِّى استسلمت لك بكل روحى طوال عمرى .

خيرمان : حبيبتى بالنتينا ! تحدَّثى معى هكذا ؛ فعندما اكتشفت ذنبى أحسست بألمك، والآن أشعر أنَّ قلبك اقترب أكثر منِّى ، قلبك الذى أدماه كلُّ ما فعلته بك من سوء ... لكن ستكون حياتى بأكملها كأنَّها صلاة حتى تغفرى لى ، سأعرف كيف أجعلك سعيدة . لن تبقى أيَّة ذكرى سيئة بيننا . حياتى كلها لحبِّك ! لأصدِّقك !

بالنتينـا : لتصـدقنى نعم ، للنسـيـان ، لا . لن أنسـاك أبداً ،
سأتذكرك دائمًا ، هذا هو فخرى ، حتى أنْ تموت عليك،
أنْ تفكّر " كم كانت تحبُّنى ! لا أحد يحبُّنى مثلما أحبتنى
هى ! . "

خيرمـان : لا أحد ، لا أحد يحبُّنى مثلك ! لا أحد يحبُّنى ! حقًا ؟
تحبيننى ، تحبيننى !

بالنتينـا : إلى أنْ أموت ، سأفكِّر أيضًا : " لم أحب أحداً مثلما
أحببتك طوال حياتى ، لا أحد ! ... " أتعرف ذلك ... ، لم
ترد أنْ تعرفه ، مع السلامة يا خيرمان .

خيرمـان : لا تخرجى ، لا تخرجى ... سندمر حياتنا ؟

بالنتينـا : سندمر حياة أُخرى ؟ تريدنى أيضًا أنْ أفعل كل الشر
الذى فعلوه بك وفعلته بى ؟ لا ، لا يمكن أنْ أكون ملكك ،
لأنِّى لست ملك نفسى أيضًا . إنَّه يعرف أنَّنى هنا ، و ما
كان لى أن أجىء إلا بعلمه . عندما ودَّعنى قال لى : " لا
تعـودى ، لا تعـودى ! ... " يجب أنْ أرجع . ينتظرنى
الحزين الذى أملكه . لا يستطيع أن يعيش بدونى ...
ذهبت إليه وقد أصابتنى الغيرة والألم بالجنون ، جمعنا
الحزن والموت . حضرنا إلى أمه معًا وكأنَّنا أخوان ،
يمكننى أنْ أقسم لك بذلك ... حتى الموت ، كانت أمُّه هى
التى ضمت أيدينا ... كأنَّها تباركنا ، وكأنَّه سرٌ مقدَّس .

الحزن ، الدموع المشتركة ، الألم الذى يمكن أن يصل بين قلبين ببعضهما ، جمعنا إلى الأبد أكثر من أية سعادة . الحزن ، الدموع التى يجب أنْ تختبئ ممن سبَّبها ... ، كما كان يجب عليَّ أن أخفى عنك حزنى ودموعى ... ، هذه الدموع قد أبعدت قلبنا عمَّن تسبَّب فيها ، هذه الدموع تستطيع أن تنتقم ... دموعى قد انتقمت . الآن أعرف أنَّك تحبُّنى كما أنَّك لم تحبُّنى أبداً ... أتصدقنى ، أتصدق ! لا جدوى لهذا التصديق أكثر منِّى أنا نفسى ؟ الآن ســـأكون بعيدة عنك ، أنت الآن ملكى كما لم تكن أبداً .

خيرمـــان : لكن أنت ... لن تكونى أبداً ملكى ؟ أبداً ، أبداً !

بالنتينـــا : لم يحبك أحدٌ فى هذه الدنيا مثلما أحببتك ؛ ألم أكن بذلك ملكك إلى الأبد ؟

نهاية
ثـــورة الشَّـــك

ثانيًا - مسرحية "الأميرة المتغطرسة"

مقدمة المراجع

تعتبر مسرحية "الأميرة المتغطرسة" العمل الدِّرامى الأخير فى ثلاثية كتبها خاثينتو بينابينتى عن الأوساط الرِّيفية بدأها بمسرحية "سيدةٌ مالكةٌ" ١٩٠٨، ثم "الحبيبة البغيضة" فى ١٩١٣ .

كتب بينابينتى أوَّل أعمال هذه الثُّلاثية فى "ألدينكابو"، وهى قرية فى محافظة طليطلة . ولم يضطر الكاتب إلى اختراع شخصياتها؛ حيث اكتفى بأخذها من الواقع فى تلك القرية المشار إليها ثمَّ أدرجها فى أحداث عمله الدِّرامى تلك الأحداث التى كانت "دومينيكا" بطلتها، وهى امرأةٌ كانت تعيش فى تلك القرية .

وجدير بالذِّكر أنَّ سيِّدةً جاءت إلى فيلا الكاتب فى ألدينكابو، وبكت أمامه خروج زوجها عن النَّص نظرًا لكثرة علاقاته النِّسائية غير المشروعة مع بنات القرية اللائى يعملن فى منزله أو فى حقوله . وهنا ظهرت لمحة سريعة للزِّنا بالمحارم فى أعمال الكاتب؛ حيث اعترفت ماريا خوانا، وهى شقيقة البطلة، بأنَّها منذ أنْ كانت طفلة وهى متيِّمةٌ بفيليثيانو زوج شقيقتها . ومع ذلك وضع الكاتب نهاية سعيدةً وهادئة لهذه المسرحية . وهنا يُرى بجلاء أن الكاتب ترك فى "سيدةٍ مالكةٍ" البذرة لمسرحيته الثَّانية

فى هذه الثُّلاثية وهى "الحبيبة البغيضة" التى تدور أحداثها حول وقوع زوجٍ فى غرام ربيبته من زوجته التى يعيش معها؛ حيث كان هذا الزَّوج الفاسق يُبعد عنها كلَّ من يتقدَّم لخطبتها إما بالتَّهديد والتَّرويع وإمَّا بالتَّصفية الجسدية .

ثمَّ وصل بينابينتى بهذا الموضوع إلى ذروته فى العمل الثَّالث (١٩٤٥) "La infanzona" (الأميرة المتغطرسة)، وقد لعبت الظُّلة أو الأرض الظَّليلة دورًا بارزًا فى أحداث المسرحيات الثَّلاث بدءًا من "سيدةٍ مالكةٍ" ومرورًا "بالحبيبة البغيضة" وانتهاءً "بالأميرة المتغطرسة" وإنْ كانت تفصل بينها ظروف الزَّمان والمكان؛ لأنَّ بين الأولى والثَّانية خمس سنواتٍ، وبين الثَّانية والثَّالثة اثنان وثلاثون عامًا، وبين الأولى والثَّالثة سبعة وثلاثون عامًا .

وقد عُرِضت "الأميرة المتغطرسة" فى ٦ ديسمبر ١٩٤٥ فى بوينوس أيرس، وفى ١٠ يناير ١٩٤٧ بمدريد .

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ مؤلِّفنا بلغ الذِّروة فى هذا العمل نظرًا لخبرته الطويلة ، ونضج ذكاؤه إلى أقصى درجةٍ ، وطول عمره الذى امتدَّ لثمانية وثمانين عامًا، وملاحظة الأحداث والنَّاس، فضلاً عن نظرته الفاحصة للحياة والنَّاس .

أجاد بينابينتى فى إعداد بنية "الأميرة المتغطرسة" وكذلك فى تقديم شخصياتها فضلاً عن تصويره الرَّائع لبيئة الأحداث . وعلى غرار

التِّراجيديا الإغريقية نجد أنَّ المسرحية منذ بدايتها كانت واضحة المعالم والأحداث، كما أشار المؤلف فى نقده الذَّاتى لهذا العمل؛ فالقدر المحتوم هو الذى يهيمن على فصول المسرحية وشخصياتها فى تلك القرية التى ينعم فلاَّحوها برغدٍ من العيش . فى تلك الأرض الُظليلة التى انقشعت ظلمتها وظلالها فى نهاية "سيدةٍ مالكةٍ" بأغنية وصلوات ، وفى "الحبيبة البغيضة" بنوع من الجوقة الغنائية تخفِّف من حدة الظَّلام والظِّلال .

وتعتبر مسرحية "الحبيبة البغيضة" هى العمل الدرامى الذى استفاد منه جارثيا لوركا فى رائعته La casa de Bernarda alba (بيت بيرناردا ألبا) التى كتبها فى ١٩٣٦ قبيل بضعة أسابيع من اغتياله .

وتبلغ الذِّروة فى "الأميرة المتغطرسة" عندما قامت السَّيدة إيسابيل المتكبِّرة بعد أنْ انتهت أحداث المسرحية بغرس السكِّين فى قلب شقيقها ليونثيو بإطلاق صرخةٍ مروِّعةٍ تكشف بلا خجلٍ عن علاقتها الآثمة مع شقيقها المذكور، وتظهر يدها للجمهور وهى ملطَّخةٌ بدم أخيها .

تبدأ أحداث هذه المسرحية فى منزلٍ فاخر بإحدى قرى الأقاليم . تعيش فيه إيسابيل سيدة المنزل الثَّرية المنعَّمة إلى جانب خادمين هما مارتين وزوجته مارثيانا وأولادهما إلى جانب خوسيه ماريا الذى أحضرته السَّيدة أمبارو وأقنعت كلاً من مارتين ومارثيانا بأنَّ خوسيه ماريا هو نجل السَّيدة إيسابيل من شقيق الخادمة مارثيانا.

نشأ خوسيه ماريا وترعرع فى هذا المنزل، وتمتَّع بحبِّ الجميع، لكنَّه عندما أصبح شابًا يافعًا علم حقيقة قتل والده، وأنَّ اللذين قتلاه هما شقيقا والدته السَّيدة إيسابيل عندما اكتشفا علاقته الآثمة مع شقيقتهما .

قرَّر خوسيه ماريا الانتقام لمقتل والده . وذات يومٍ جاء شقيقا السَّيدة إيسابيل وهما ليونثيو ورفائيل ليصطحباها معهما حيث يعيشان بعد أنْ يبيعا كلَّ ممتلكاتهما فى القرية، وكذلك كلَّ ما يتعلق بإيسابيل حتى لا يعود الشقيقان إلى القرية مرَّةً أخرى .

رفضت السَّيدة إيسابيل رفضًا قاطعًا الذِّهاب معهما، وفضَّلت البقاء مع ابنها خوسيه ماريا بعيداً عن شقيقيها ليونثو ورفائيل، وخاصةً بعد أنْ علمت بأنَّ نجلها يريد القصاص منهما . اقترح ليونثيو ورفائيل أيضًا أنْ تصطحب معها ابنها لكى يتربَّى فى مكانٍ أفضلٍ من القرية، ولا سيما أنَّه الوارث الوحيد لكلِّ ثروتهم، لكنَّها رفضت ذلك أيضًا لعلمها أنَّ نجلها يستحيل عليه أنْ يعيش مع قاتلى والده .

علم ليونثيو ممَّا يتردد على ألسنة أهل القرية بأنَّ خوسيه ماريا يريد القصاص منه ، فهمَّ بمقابلته . لكنَّ السَّيدة إيسابيل رفضت الفكرة من الأساس ، إلا أنَّ شقيقها أصرَّ على ذلك . تقابل ليونثيو وخوسيه ماريا، واحتدَّ الحوار بينهما حيث استفزَّ ليونثيو الشَّاب كثيرًا لدرجة أنَّه أراد أنْ يعتدى عليه بالضرب فاستلَّ خوسيه ماريا سكينًا ليقتل ليونثيو، لكن السَّيدة إيسابيل والدته هرولت مسرعةً خوفًا على نجلها، وانتزعت

السكّين من يده وغرستها فى قلب شقيقها فأردته قتيلاً فى الحال . ولم تكتف بذلك فقط، بل أعلنت -بكل صلفٍ ووقاحةٍ وتبجحٍ ودون حياءٍ- أنّ شقيقها ليونثيو هو الوالد الحقيقى لنجلها خوسيه ماريا وليس شقيق ماريثانا كما كان أهالى القرية يعتقدون .

وفى نهاية هذا التّقديم يروق لنا أنْ نقول إنّ بينابينتى قدّم لجمهور المسرح الإسبانى والنّاطق بالإسبانية فى كلّ بقاع الأرض والمسرح العالمى أيضًا إنتاجًا مسرحيًا غزيرًا تعدّدت موضوعاته وشخصياته، لكن حواره البديع ولغته الرّائعة ظلاً يحتفظان ببريقهما وجودتهما منذ بداية كتابته للمسرح حتى شيخوخته رغم إصابته بالصّمم فى أواخر سنّى حياته، وإن كانت بعض مسرحياته الأخيرة قد فقدت القوة الدّرامية التى كانت سمةً بارزةً من سمات إنتاجه المسرحى .

والآن نترك القارئ الكريم يصافح بعينيه ترجمة هاتين المسرحيتين، راجين المولى عزّ وجل أنْ تحظى باستحسانه، خاصة إنها التّجربة الأولى التى خاضتها تحت إشرافى ومراجعتى السّيدة / آية ربيع شفيق والله ولى التّوفيق .

د. صبرى محمّدى التّهامى

الشخصيات

السيِّدة أمبارو	DOÑA AMPARO
السيِّدة إيسابيل	DOÑA ISABEL
مارثيانا	MARCIANA
بيلار	PILAR
ليونثيو	LEONCIO
رفائيل	RAFAEL
خوسيه ماريًّا	JOSÉ MARÍA
مارتين	MARÍN
السيِّد بابليتو	DON PABLITO
السيِّد بوكيتين	DON POQUITÍN
	MELCHOR

تجرى الأحداث فى قرية بقشتالة

كلمة المؤلِّف

هل هو نقد ذاتى ؟ لا . بعض الاعتبارات المتعلِّقة أو غير المتعلِّقة بالأميرة المتغطرسة ، يفترض أنَّها أكثر روحانيةً من فرويد المشهور بشهوانيته . وحب السَّيطرة كمهيمن على السلوكيات الإنسانية ، وأيضاً العزيزة ، على الرغم من أنَّها أكثر روحانية .

و بعقلانية أكثر من فلسفة " أكون أو لا أكون " ، استطاع هاملت أنْ يقول " أحبُّ أو لا أحبُّ " . هذه هى كلُّ حياتنا . تنشأ الحياة من رغبة : إنَّها خطيئتها الأصلية . ربما تكون الحياة انطلاقة لقوة عمياء : إرادة تريد أنْ تفرض نفسها ، إنَّه حبُّ السيطرة ، هذه هى الحياة كلها ، إما أن نسيطر أو نتحكَّم فى أنفسنا . إنه أمر الإرادة المطلقة أو الإرادة المقيَّدة بالذَّكاء ، بالشر أو الخير .

من الممكن أنْ يُعنون لمسرحيتي بالغازى ؛ فغزاة الهيمنات المادية أو الهيمنات الرُّوحانية دائمًا ما يُسبِّب المآسى . فالغازى فى هذا العمل يسبِّب مأساة عائلية ، حادثة ، حكاية طريفة . ويمكن لغزاة آخرين بطموحهم الكبير أن يسبِّبوا مأساة لشعب وربما للعالم بأسره . ربما أكون قد رأيت المأساة صغيرة ، وانتابنى الهلع عندما رأيتها كبيرة .

الفصل الأول

صالة سفلية فى منزل فاخر فى قرية

المشهد الأوَّل

بيلار وخوسيه ماريًا

بيـــــــلار: وبالنسبة لك، فما الذى يعنيك من يتكلم معى ومن لا يتكلم ؟

خوسيه ماريًا: في هذه الأوقـات وفى هذا المكان ، يعنينى ، لأنَّه لا يوجد أىُّ شخص محترم . وإذا عرف والدك ووالدتك ، سترى ماذا يحدث .

بيـــــــلار: ستقول ذلك لهما ، وستكون غاضبًا لكى تقول لهما ذلك حتى يتشاجرا معى .

خوسيه ماريًا: إذن قولى لى مع من كنت تتحدثين ؟ أكان شابًا ؟ قولى لأنِّى لم أستطع رؤيتـه ؛ فقد خرج كالطلقة بمجرد أن رآنى ، هذا ما جعلنى أعتقد أكثر أنَّه لم يرد أن يعرفه أحد ، وأنَّ اللقاء لم يكن على سبيل الصُّدفة ...

بيـــــــلار: كانت صدفة عندما جئت من عند النَّافورة .

خوسيه ماريًا: إذا كنت قد ذهبت فى هذا الوقت إلى النَّافورة ؛ فماذا عسايا أن أقول لك ؟ لماذا ذهبت إلى النَّافورة ؟ ألا يوجد مياه هنا

أكثر من اللازم ؟ كثيراً ما كنت أراك فى القرية فى ذلك الوقت ! هذا ليس ذنبك ، لكنّه ذنب والدتك ، التى لم تقترب منك . وها أنت دائمًا ما تسيرين خالعة العذار ....

بيـــــلار: أنا أسير خالعة العذار ؟

خوسيه ماريًا: نعم ، بالفعل ، وأكثر من ذلك ! فالنساء لا يجب أن يعرفن أبدًا ما يملكن من جمال ؛ فإذا كانت العيون جميلة ، فهنّ غبيات إذا لعبن بها ، وإذا كان الفم جميلاً ، يضحكن بلا سبب ، أما أجسادهنّ البيضاء والسمراء يحببنها عارية بلا داعٍ .

بيـــــلار: آه لوسمعك أى شخص !

خوسيه ماريًا: هل يحبك أحدٌ أكثر منّى ؟

بيـــــلار: إنْ لم أقل لك، ألا تفكّر فىّ كما تفكر فىّ الآن ، كأخ ، لكن ذلك ليس سببًا فى ألا تقبل أنْ أتكلم مع أحد ؛ فأنا أعرف جيدًا مع من ينبغى أن أتكلم ، فلست سفيهًا .

خوسيه ماريًا: لا ينقصك سوى الإقدام على ذلك .

بيـــــلار: يقول الجميع إنّنى كان يجب علىّ أنْ أتزوج ، وهم يقولون عنى إنّنى حتى الآن ما جاءنى حتى ولو خطيب سيئ ... ، وذلك لأنّ الكل يخشاك.

خوسيه ماريًا: لأنّنى لم أرد أنْ تثقى فى أىّ رجلٍ ؛ لأنّه سيحدث لك مثلما حدث للأخريات ...

بيـــــــلار: ماذا كان سيحدث لي ، وماذا حدث للأخريات ؟ إنهنَّ تزوجنَّ في هدوء وأمان .

خوسيه ماريًا: أولم يتزوجن ؟ وها هوالعار طوال الحياة ، ولماذا تريدين أنْ تتزوجي ؟ وأين يمكنك أنْ تكوني أفضل مما أنتِ عليه الآن ، مع والديك ، في هذا البيت ، كأنَّه بيتنا ؛ لأنَّ السَّيدة لا تأتي أبدًا ، وعندما تأتي ، مثل الآن ، لا تُرى ولا يُشعر بها ؟ مضى لها شهرٌ هنا ، ولم أرها سوى مرتين كالطيف .

بيـــــــلار: لماذا تنظر إليَّ هكذا ؟

خوسيه ماريًا: لأنِّي أريد أن أقرأ أفكارك على وجهك .

بيـــــــلار: اتركني!

خوسيه ماريًا: أحبُّك ! ...

بيـــــــلار: هيًا يا خوسيه ماريًا ، اتركني .

خوسيه ماريًا: لا أريد ! " يدخل مارتين ومارثيانا "

المشهد الثانى

نفس الشخصيات ومارتين ومارثيانا

مـــارتيـــــن : ما هذا ؟

خوسيه ماريًّا : لا شىء.

بـيـــــــلار: لقد رأيت حضرتك : خوسيه ماريًّا .

مـــارتيـــــن : لقد رأيت ، رأيت ؛ ألم أقل لكِ أنِّى لا أحبُّ اللعب والتهريج غير اللائق بين الإخوة ؟ إنَّه شـغف زائدٌ عن الحد ، كأنِّى لم أقل لك شيئًا !

بـيـــــــلار: لا تتشاجر معه يا أبى ، أنت تعلم كنهه وطبيعته .

مـــارتيـــــن : إذنْ هذا مـا لا أحبـه . (ينظر إلى مــارثيانا) مــاذا قلت لكِ ، ولِم تريدى تصديقه ؟

مـارثيــانـا : اخرج يا بنى ، حتى لا يتشاجر معك والدك .

خوسيه ماريًّا : حسنًا ، أنا لا أعرف أىَّ ذنب اقترفته . (يخرج)

مـــارتيـــــن : (ينظر إلى بيلار) لن تكون كل التبعة عليك .

بيـــــــلار: بالفعل ، فلتتشاجر معى أيضًا .

مارثيـانـا : هيا أنتِ أيضًا ، هيا . ألا ترين أنَّ والدك متقلب المزاج اليوم ؟

بيـــــــلار: وأنا ما ذنبى ؟ (تخرج)

المشهد الثالث

مارثيانا ومارتين

مـــارتيــــن : ألم أقل لكِ إنَّ خوسيه ماريًا متعلِّقٌ لدرجة كبيرة ببيلار ، وبالنسبة له هى أخته ؟

مـارثيـــانـا : وكيف لا يكون كذلك ! ... لا أعرف لماذا تبدو هكذا .

مـــارتيــــن : بالنِّسبة له ، كما لو كانت . هو لا يعرف ذلك ، فيجب أنْ يفكر فيها كأخته .

مـارثيـــانـا : ماذا تريد ! دون أن يعـــرف ذلك ، فقلبه يقول له شيئًا آخر .

مـــارتيــــن : فقط هوالذى يعرف أنَّه أخوها ، فما استطاع أحدٌ أنْ يحكى له شيئًا آخر ؛ فلولا وجودنا وبسببى ما عرف ذلك، ولن يعرفه أبداً .

مـارثيـــانـا : لن أقول أىّ شيءٍ ؛ فبالنسبة لى أنا أعرف متى يجب أنْ يعرف ذلك .

مـــارتيــــن : احذرى يا مارثيانا ، احفظى لسانك ! فالنِّساء لا يعرفن الكتمان . حتى لوقتلنكم ، ونحن نعرف جيداً أنَّه لكى لا

تتكلّم ، هناك منْ يُقتل ، وسيكون ذلك بسبب إفشاء السرِّ .

مارثيانا : وليس من الحق أيضًا ألا يُعاقب منْ قتلوا ، وخاصة لأنَّهم يريدون أنْ يأخذوا ما ليس من حقهم ، ما يجب أنْ يكون من قبيل الإنصاف ، لمن يكون ... ، الذى يجب أنْ يكون بالنِّسبة لها أقرب من أشقائها ، وأولاد أشقائها، وكلِّ أقاربها .

مارتين : مارثيانا !

مارثيانا : لماذا جاء أشقَّاء السَّيدة ؟ هل جاءوا لكى يأخذوها معهم ، ولئلا يفرِّطوا فى حقهم ، فليس من العقل ولا من الإنصاف أنْ يحدث لهم ذلك طالما أنَّ هناك ابنًا .

مارتين : مارثيانا .

مارثيانا : سأصمت ، نعم . لكن ألا تعتقد أنِّى صَمَتُّ بالقدر الكافى طيلة هذه الأعوام ؟ فمقتل شقيقى ، مازال حتى الآن يطالب بالقصاص ، وتعرف كما نعرف جميعًا من قتله ، وكيف قتلوه ، ويجب علينا أنْ نصمت ...

مارتين : لم يكن الصمت ضارًا بنا ...

مارثيانا : حتى الآن ، لكنَّك سترى أنَّه سيصل بهم الأمر إلى أنهم سيطردوننا من هنا .

مارتين : هذا ما سنراه .

مارثيانا : لديه سلطةٌ كبيرةٌ ؛ فكما تخلصوا من شقيقى ، سيتخلصوا منَّا ، وبعد ذلك الابن ؛ لأنَّهم ما استطاعوا أنْ يقتلوه عندما وُلد .

مارتين : لن يجرؤوا ...

مارثيانا : إذنْ فهم لم يأتوا لخير ؛ فالسَّيدة تعرف ذلك ، إنَّها مذعورةٌ شاردةٌ منذ أنْ علمت بمجيئهم .

مارتين : إنَّها مذعورةٌ شاردةٌ ، بطبيعتها تلك دائمًا، كأنَّها ملكة مهانة .

مارثيانا : الأميرة المتغطرسة ، كما يطلقون عليها دائمًا هنا ، منذ أنْ أطلق عليها ذلك السيد الأسقف الذى كان يعظ هنا ذات يوم ، عندما جاء ليعمِّد الفتيان .إنَّها كانت هكذا فى ريعان شبابها .... ، ولكن ماذا بعد مرور كلِّ هذه السنين ؟ إنَّها أكثر تكبرًا وصلفًا ممَّا كانت وإن كان ينبغى عليها أنْ تكون ذليلة عندما تفكِّر فيما يثقل كاهلها وضميرها .

مارتين : لكنَّنى لم أعتقد أبدًا أنَّها متورطة فى قتل شقيقك .

مارثيانا : فى قتله لا ، لم أقل ذلك ، لكن لو أنَّها عندما أحسَّت بالضياع ، اعترفت بالحقيقة ، لو أنَّها لم تقنع أشقاءها بأنَّ أخى قد اغتصبها عنوةً ، إنَّنا نعرف جميعًا كيف تم ذلك ، إنَّ شقيقى لم يكن ليجرؤ أبدًا طوال حياته على مغازلتها ، اللهم إلا إذا كانت قد غازلته أو لا ، كما كنَّا نرى ...

مـارتيـــن : هذا بالفعل . وقد أفضـى لى شـقيقك بذلك السِّر أربع مرَّات : " لكن أنت ترين ... السَّيدة إيسابيل ؟ أليس من المعتقد أنَّها قد تُيمت بى ؟ " ، وأنا كنت أرى ذلك مثله ، كنت دائمًا أقول له : " لا تثق فى ذلك ، لا تثق فى ذلك ، لأنك لو تجاوزت حدودك سيؤخذ فى الحسبان أنَّها الأميرة وأنت خادمٌ تعيس ... " ، ونحن نعرف جميعًا حكاية الحجر والإبريق ، كما حدث فى النهاية وما آل إليه الأمر هكذا . وهذا ما يجعلنا نصمت حتى الآن ، ولنحاول الاستفادة من ذلك .

مـارثيـانـا : لو كان فى مكاننا آخرون لاستفادوا أكثر منا . مازال ينبغى علينا الاستفادة أكثر إذا سارت الأمور على ما يرام .

مـارتيـــن : لا أدرى ماذا تريدين أنْ تقولى ...

مـارثيـانـا : هل يبدو لك ، أنَّ خوسيه ماريًّا يغار على شقيقته كثيرًا؟

مـارتيـــن : لأننى أرى ذلك ...

مـارثيـانـا : وإذا عرف الفتى أنَّها ليست شقيقته ؟

مـارتيـــن : لا أعرف كيف يمكن أنْ يعرف ذلك ، لكن لا يمكن أنْ يعرف ذلك منَّا ولا من أحدٍ ممَّن هم هنا .

مـارثيـانـا : فالكثيرون هنا يتخيلون شيئًا ما لما حدث ؛ فبالنسبة لى فقد جاءنى أكثر من أربعة أشخاص لكى أفضى لهم

بالسِّر ... فإذا عرفوا ... ، أو إذا قيل لهم ... أضف إلى ذلك ، أنَّ الحقيقة فى ذاتها لها قوة ، دون أنْ ندرى كيف ، ستُعرف . ألم نر أكثر من أربع مرات كيف حدث شيءٌ بعيدًا عن هنا ، إنَّه شبَّ هناك حريق ، أو سقطت عاصفة ثلجية ، أو حدثت وفاة ، أو أى واقعة أُخرى ، ودون أنْ يرى أحد أو يتعقل ويتدبر الأمر ، يعرف الأمر ، ويدور الحديث عنه ، كما كانوا يقولونه . وبتلك الطريقة يمكن أن يعرف الشاب الحقيقة ، دون أن يخبره أحد بشيء . ولذلك فهو ينظر إلى بيلار ، كما ينبغى أنْ يكون ، ويُصبح سيِّدًا لهذا البيت وكل ما ينتمى إليه ويتزوَّج بيلار ...

مارتين : أنتن النِّساء دائمًا تفكِّرن بإفراطٍ ؛ فخوسيه ماريًا هو ابننا ، وهومسجل فى سجل لا يمكن طمسه ، ورغمًا عنه سيكون شقيقًا لبيلار . ناهيك عن أنَّنا يجب ألا نفكر فى أنَّ السَّيدة إيسابيل، وبعد كل هذه السنوات الطويلة ، تريد أنْ تتذكَّر أىَّ شيءٍ ، وإذا هى تذكرت فإنَّ شقيقيها لن يدعاها تفعل ذلك .

مارثيانا : ذلك ، بالفعل ، ولكن ... ، يوجد شيء ؛ لأنَّ مجيء السيدة هنا ، وهى التى لم تأت إلا مرَّة واحدة منذ أن حدث ما حدث، وكانت على سبيل الصدفة فى طريقها إلى ربليدال وأومبريا ، دون أن تبيت ولو حتى ليلة واحدة ، وهى الآن

هنا منذ أكثر من شهر، وأن يأتي شقيقاها للبحث عنها ، فيجب أنْ يكون هناك أمرٌ ما ، وأمرٌ يخشيانه . لا يمكن أن تكون السَّيدة إيسابيل مرتاحة الضمير ، إذا كانت مؤمنة حقًا كما تُظهر ذلك ، وإن كانت لأى سبب مهما كان السبَّب تحب والد ابنها، ولم تستطع أن تنساه وخاصة وفاته التى كانت بسببها . وكل ذلك يمثل عبئًا على ضميرها ، ولوكنت مكانها وهو ما لا أتمناه ، لما استطعت النوم هادئة ولوليلة واحدة ...

مـارتيـــن : سنرى . هل تم تجهيز غرف السَّادة ؟

مـارثيـانـا : كلُّ شىءٍ جاهز ، يمكنهم المجىء وقتما يشاءون .

مـارتيـــن : اليوم ، السَّيدة تنتظرهم .

مـارثيـانـا : هل تحدثت معها ؟

مـارتيـــن : فى إطار ما يمكن التَّحدث فيه معها .

مـارثيـانـا : ألم تسألك عن شىءٍ ما ؟

مـارتيـــن : لم تذكر الولد ولوبكلمة ، وكأنَّه غير موجود ، وكأنَّها لم تعرف أىَّ شىءٍ .

مـارثيـانـا : إذن فهى تعرف جيداً ؛ لأنَّ السَّيدة أمباروهى التى أتت لنا به . والسَّيدة أمبارو هى أكثر من يحظى بثقتها وهى تعرف جيداً أين هو ، ومن يكون ؟

مـارتيـــن : قد يعتقد الأشقاء أنَّه مات أو لا يعرف أحدٌ أين يوجد .

مارثيانا : ربما جاءوا لهذا السبب ، ليخمِّنوا ذلك . ومن يعرف ما فى استطاعتهم القيام به ! ...

مارتين : ولذلك ، نحن ...

مارثيانا : بالنِّسبة لنا فلنْ يستطيع أحدٌ أنْ يقول إنَّنا قد فرقنا بينه وبين أبنائنا ؛ فعلى العكس تمامًا ، أحببناه أكثر؛ لأنَّهم قتلوا والده، ولم نعرف عمًّا كان سيعرف شيئًا عن والدته أم لا . ألم يحدث ذلك ؟ أنا ، من جانبى ...

مارتين : وأنا ، من جانبى أيضًا . لن يستطيع أحدٌ أن يصدِّق أنَّه لم يكن ابننًا، وذلك من معاملتنا له .

مارثيانا : بالله عليك ، فى رعاية الله ، ها هم هنا .

مارتين : السَّادة ؟

مارثيانا : يا لهم من سادة ! ... فالسَّيد بابليتو والسَّيد ميلشور والسَّيد بوكيتين ما هم إلا مجموعة من المتشرِّدين .

مارتين : ألم يذهبوا للصَّيد ؟

مارثيانا : يا للصيد من أمرٍ عجيب ! ... آهـ سيصطادون ... إنَّهم سيتناولون وجبة العصر الشَّهية ، وسيشربون فوق طاقتهم ؛ فليس معهم أيَّةُ بندقية ... والآن ، فهم هنا ، ليأكلوا ويشربوا أيضًا ... ويدنِّسون كلَّ شىءٍ ، ولذلك كنَّا ننظف المنزل طوال النهار ... ولست أدرى ما سبب إعجاب السَّيدة بمجىء هذا السَّيد بابليتو إلى هنا .

مــارتيـــن : إنَّه قريبٌ أو صديق حميمٌ للعائلة ، ليس له مأوى ، وقد سمحت له السَّيدة أنْ يعيش هنا .

مارثيــانـا : حسنًا فليكن الأمر كذلك ، لكنَّه كان كافيًا لنا ، أمَّا أنْ يأتونا بالأصدقاء الثلاثة : زوج المعلِّمة . هذا السِّيد بوكيتين ... ، وميلشور السكِّير ، الذى لم يعرف معنى كلمة عمل فى حياته .

مــارتيـــن : السيِّد بوكيتين ... ، يناسبه جيدًا هذا الاسم . " اسم على مُسمَّى ".

مارثيــانـا : يقولون ذلك لأنَّه دائمًا ما يتسوَّل طلبًا للصَّدقة من منزل إلى آخر ... : " هل يمكن حضرتك أن تعطينى قليلاً من هذا ؟ ... "، " وأن تعطينى قليلاً من ذلك ... ". إنَّه بعبارة أعطنى قليلاً من هذا، وذلك يحصل على كلِّ شيءٍ من الجميع . وهومن جانبه أيضًا رجلٌ ناقص ... ماذا يفعلون عند الباب ؟ سأرى . إنَّهم يشربون (تخرج مارثيانا وتعود بعد ذلك مع السَّيد بابليتو والسَّيد بوكيتين وميلشور)

المشهد الرابع

مارتين ، مارثيانا ، السِّيد بابليتو، السِّيد بوكيتين ، ميلشور

مارتين : صباح الخير أيُّها السَّادة ، السَّيد بابليتو والصُّحبة .

السَّيد بابليتو: صباح الخير يا مارتين .

مارتين : كيف حال الصَّيد معكم ؟

ميلشور: لم نذهب اليوم إلى الصَّيد .

السَّيد بوكيتين: ذهبنا لنتناول وجبة العصارى .

السَّيد بابليتو: قالت لى السَّيدة أمبارو، إنَّنا يجب أنْ نذهب إلى مكان بعيد بقدر الإمكان عند الخروج للصَّيد ، لابد أن نسير كثيراً؛ لأنَّ السَّيدة إيسابيل تنزعج من دوى الطَّلقات .

مارثيانا : آهه !

السَّيد بابليتو: وهذا لأنَّه كى نذهب بعيداً لابد أن نمشى كثيراً ، ولكى نمشى كثيراً لابد أنْ يكون معنا وجبة عصارى جيدة ...

مارثيانا : لم يكن الطَّعام الذى أخذتموه سيئًا يا سادة .

السَّيد بابليتو: لم أقل ذلك عن الأكل ، لكنَّ الشَّراب ... النُّزر اليسير .

مارثيانا : قليلاً ، حقًا ، يا سيد ... ؟ فأنا لا أتذكَّر اسمك أبدًا .

السَّيد بوكيتين: لقد نطقتيه يا امرأة : السَّيد بوكيتين . إنَّنى لا أشعر بالإهانة .

مارثيانا : لم يكن من أجل إهانتك . يطلق على آخرين أفظع من ذلك .

ميلشور: ولا يضايقنى أيضًا .

مارتين : الجميع ينادونك باسمك .

السَّيد بابليتو: إذنْ فيما بعد ، ينادون جميع السُّكارى فى القرية بأسمائهم : " هذا هو ميلشور " ، "ذاك ميلشور الذى يأتى " ، يا له من ميلشور ، طيب ذلك الآخر .

ميلشور: ليس لدى عيب سوى ذلك ؛ لأنَّه لا يضر أحدًا ، ولا يتهمنى أحد بضرب الزوجة ، مثل آخرين ؛ فالأمر بالنِّسبة لى أنَّها هى التى تضربنى .

مارثيانا : حضرتك لا تتمنَّى أنْ تكون قريبًا لكى تساعدها .

ميلشور: ليس بالضرورى ؛ فهى وحدها تكفى .

السَّيد بابليتو: اذهبى يا مارثيانا، وأحضرى أىَّ شىء وبعض الأكواب .

مارثيانا : لماذا تقول حضرتك أىَّ شىء ؟

السَّيد بابليتو: لأنَّنا سنلعب مباراة هنا ، وبدون أنْ نتناول شيئًا ، تتدهور معنويات الشَّخص . أحضرى بعض الشرائح من لحم الخنزير والسُّجق والأكواب .

مـارتيــــن : هل يعرف حضراتكم أنَّ شقيقى السَّيدة سيأتيان اليوم ؟ وقد نُظِّف البيت كله وأنتم ستدنسون وتبصقون وتتركون كلَّ شيءٍ مبعثرًا ...

السَّيد بوكيتين: سيأتى شقيقا السَّيدة ؟ السَّيد ليونثيو والسَّيد رفائيل ؟

مارثيـانـا : هما بالفعل .

السَّيد بوكيتين: لم يأتيا هنا منذ وقت طويل .

مارثيـانـا : منذ وقت طويل : منذ أن حلَّت عليهم لعنة شقيقى ، وهما يرافقانه فى رحلة صيد .

مـارتيــــن : مارثيانا ، دعك من ذكرياتك هذه .

ميلشـــور: لم يتضح حتى الآن ما حدث ؛ فقد قتل شقيقك صيادين مجهولين .

مارثيـانـا : هذا ما حدث .

ميلشـــور: لابد أنَّهم من مكان بعيد، وينبغى أنْ يكونوا قادمين من مكان بعيد ؛ لأن الأرض ابتلعتهم . فلا يمكن أن يكونوا من هنا ، فأخوكِ رحمه الله لم يكن يكرهه أحدٌ في هذه القرية وفى جميع القرى المحيطة ؛ لأنَّه كان طيبًا للغاية مع الناس جميعهم ، وخاصة مع الذين يذهبون للصَّيد ؛ لأنَّه كان يعرف جيداً كيف يغض الطرف حتى لا يسبب إزعاجًا لأحدٍ . من الواضح أنَّ السَّادة كانوا يذهبون معه وهما وحدهما يعرفان ما حدث .

مـارتيــــن : وهمـا فـقط اللذان يعـرفـان ذلك . لذلك ، فـمن الأفـضـل ألا نتكلم فيما هو معروف .

مـارثيــانـا : ها هو لديكم لحم الخنزير ، والسُّجق، والأقداح .

السَّيد بابليتو: الأكواب فقط ؟

مـارثيــانـا : هذا ما طلبتموه حضراتكم .

السَّيد بابليتو: نعم ، نعم . لكن سـتـفـهـمين أنَّ الأقـداح تتطلب بـعض الزُّجاجات أو دورق من النَّبيذ بجوار الأقداح ,

مـارثيــانـا : لقد فكَّرت في ذلك ، لكن من الأحرى أن تقول ذلك .

السَّيد بابليتو: الموضوع أنَّه قد يتغاضى الواحد منَّا عن الشيء خجلاً من طلبه .

مـارثيــانـا : ومـا فـائدة الخـجل إذن ، ألا لكي يجـعلنا نتـغـاضى وإلى الأبد ؟

السَّيد بابليتو: آه يا مارثيانا ، يا لسوء تصرفك رغم أنَّني أحبك ! ...

مـارثيــانـا : كـان يمكن لحـضـرتك ألا تـحـبني . وأنا أيضـًا لا أكـرهك . وإذا كنت تسير بمفردك بلا رفقة في هذه الدُّنيا ، لأحببتك أكثر .

السَّيد بابليتو: ستشفقين عليَّ عندما ترينني وحيدًا .

مـارثيــانـا : بالفعل ، لكنِّي أشفق عليك عندمـا أراك مع هذه الصُّحبة السَّيئة .

السَّيد بوكيتين: إنَّه تلميح يا مارثيانا ؟

ميلشـــور: لا ، ليس تلميحًا ، إنَّها تقصدنا .

السَّيد بوكيتين: إذنْ هذا ما أسمِّيه تلميحًا ... ، إنَّه تلميحٌ ...

ميلشـــور: حينئذ ، أترى أنَّه من الأفضل ألا نكترث بذلك ؟

السَّيد بوكيتين: إطلاقًا ، دائمًا يكون التلميح تلطيفًا للكلام ، وتلطيف الكلام ما هو إلا صيغة بلاغية ، وبما أنَّ مارثيانا كانت تجهلها عندما استخدمتها !!!!!! فكلاهما لا أهمية له ، وبالتَّالى لن يمسَّنا فى شىء .

مارثيانا : لم أكن أريد أنْ أجرحكما بأىٍّ شكل من الأشكال .

السَّيد بابليتو: بالطَّبع يا مارثيانا بالطبع . هذا الخمر الجديد ليس كخمر العام الماضى ، إلا إذا لم يتبقَّ من الخمر المعتَّق ؟

مارثيانا : حتَّى الجديد لم يتبق منه شيئًا .

السَّيد بابليتو: لم أعتقد أنَّ المحصول كان سيئًا إلى هذه الدرجة .

ميلشـــور: نعم ؛ لأنَّ كلَّ عامٍ يقلُّ الإهتمام بالعنب . لا يوجد من يعمل؛ فليمر حضراتكم بالميدان فى أىِّ يومٍ وفى أيَّة ساعة. سترون رجال القرية واقفين وقد شبَّكوا أيديهم ، إنَّه لعارٌ كبيرٌ .

السَّيد بوكيتين: فالمشكلة ليست فى العاطلين ، لكنَّها تكمن فيمن لا يتحرَّكون أبدًا .

مارثيانا : كلمة ظريفة .

السَّيد بوكيتين: من معه الكوتشينة ؟

ميلشور: (يخرج الكوتشينة) ها هى .

السّيد بابليتو: معى كوتشينة أخرى جديدة .

السّيد بوكيتين: وأنا معى أخرى أيضًا ، لكنّها أسوأ . (جلسوا وبدأوا اللعب)

السّيد بابليتو: سنرى . فلتبدأ يا سيد بوكيتين .

السّيد بوكيتين: ماذا سنلعب ؟ بالنّقود ، لا ، لأنّ هذه الأيام أنا ... لم نقبض حتى الآن هذا الشهر .

ميلشور: سنلعب على الخمر .

مارثيانا : إذنْ، لقد أخذتم حضراتكم كلّ شىء .

السّيد بوكيتين: سنلعب على ما تبقى وما ستأتينا به بعد ذلك .

مارثيانا : لا ، بالتّأكيد .

مارتين : لقد حدّدت لنا السّيدة ما يمكن أنْ نقدّمه ، ولهذا لم يتبقّ شىء هنا .

مارثيانا : واليوم ، فما بين ما تناولتموه مع الغداء، والذى أخذتموه معكم فى رحلة الصّيد، والآن فقد انتهت الحصّة المقررة لكم .

السّيد بابليتو: لقد سمعتم : ها هنا قيود . هيّا يا أصحابى ، يا للهوس ! لقد جعلتمونى أبدو تافهًا (عادوا إلى اللعب) انظروا حضراتكم .

ميلشور: إذنْ بالنّسبة لى ... ما بوسعى أنْ أفعل ؟ (يرمى الورق)

السَّيد بوكيتين: لا تعتقدوا أنِّى قد احتلت عليكم .

السَّيد بابليتو: هيَّا ، هيَّا . ارمِ حضرتك مرَّة أُخرى ؛ فهذا لا يمكن أنْ يحدث .

ميلشـــور: هذا لا يجدى شيئًا .

السَّيد بوكيتين: سيِّدى ، الحظ هوالحظ ؛ فاللعب هكذا .

السَّيد بابليتو: اللعب هواللعب ، وبدون ورق لا يستطيع أحدٌ أن يلعب .

السَّيد بوكيتين: تعال هنا ، سأوزع ، لكن يجب أنْ ترضوا . (عاد ليوزِّع مرَّة أخرى)

السَّيد بابليتو: هيَّا يا رجال ! فلتحافظ على هذه الأوراق ! (وعاد ليرميها)

السَّيد بوكيتين: لكن ، يا سيدى ...

ميلشـــور: الآن ، لست على صواب يا سيِّد بابليتو.

السَّيد بوكيتين: فالآن ، أنا الذى على صواب ، ولن أقول شيئًا . حسنًا ، سأوزِّع مرَّة أخرى .

ميلشـــور: لا يا سيدى ، لماذا ينبغى أنْ يوزِّع مرَّة أخرى ؟ فمن لا يجد لعبًا عليه أن يتحمل ، فاللعب هكذا .

السَّيد بابليتو: بالطبع ؛ لأنَّ حضرتك لديك الأربعين التى انتزعتماها منِّى ، فلتلعبا مع جدكما .

السَّيد بوكيتين: لكونك كسولاً ، لكى تلعب لابد أن تكون جادًا، وأنتما بالمناسبة قد شربتما كأسين .

السَّيد بابليتو: يا سلام ! ألم تشرب حضرتك ؟

ميلشـــور: أكثر منَّا .

السَّيد بابليتو: هو سيقول ... قليلاً

السَّيد بوكيتين: لقد نطق بالقليل ... لوعرفت كيف يسمونك فى القرية ...

السَّيد بابليتو: لوعرفت ما يقولونه عنك ... ، ولندع جانبًا لقب السَّيد بوكيتين (السَّيد شوية) . لا أحد يناديك إلا بزوج المعلمة .

ميلشـــور: بالفعل .

السَّيد بابليتو: فهذا أكثر إهانة بالنسبة لزوج ، ليس لديك شخصية .

السَّيد بوكيتين: إذا لم يأخذ الشخص فى الاعتبار المكان الذى يوجد فيه ... ، فليس المنزل منزلك ، فهذا المنزل ليس منزلك ...

السَّيد بابليتو: وأنت أيضًا يا سيدى .

مارتيـــن : وهكذا كل الأيام . ألا تريدان أن تصمتا ؟ (ينظر إلى خوسيه ماريًا الذى دخل منذ وقت قليل) ماذا لديك من أخبار يا بنى ؟

خوسيه ماريًا: لقد وصل السيدان توًا . تفضَّل حضرتك يا والدى .

مارتيـــن : وتعال أنت أيضًا . سيكون معهما حقائب السفر .

خوسيه ماريًا: لا ، لن أذهب . لا أريد أن أراهما .

مارتيـــن : لا تريد أن تراهما . لماذا ؟

خوسيه ماريًا: لا شىء . لا أريد رؤيتهما .

مارثيانا : (إلى مارتين) اذهب أنت .

مارتين : سأذهب .

مارثيانا : أسمعتم حضراتكم ؟ لقد جاء السيدان ، ليس من الأفضل أنْ تظلُّوا هنا .

السيد بابليتو: نعم ، نعم . سأذهب لأسلم عليهما . لم أرهما منذ وقت كبير ، وأنا أقدِّرهما ، وأجلهما كثيراً ، وهما أيضًا يقدِّراني ويجلاني .

ميلشور: سنذهب نحن ، وستقرر يا سيد بابليتو وقتما تريد أنْ نلتقي .

السيد بوكيتين: بالفعل .

السيد بابليتو: بينما يوجد السيدان هنا سنلتقي في القرية . في حانة التورديو.

ميلشور: من المؤكد أنَّهما أحضرا معهما نوعًا جيداً من خمر ماركة بيروأنسوريث .

السيد بوكيتين: ليس سيئًا ، لا .

ميلشور: الأسوأ هو أنَّ أناسًا يذهبون هناك ... أسوأ أناس في القرية .

مارثيانا : بدون ازدراء ...

السيد بابليتو: لبضعة أيام ... أعتقد أنَّ السيدين لن يمكثا هنا كثيراً . إنَّهما جاءا بحثًا عن شقيقتهما . وسيذهبان كلاهما

بسرعة . حسنًا ، سآذهب ، سأذهب . اعذرانى يا سيداى .

السيِّد بوكيتين: هيَّا بنا ، هيَّا بنا نحن أيضًا (يخرج السَّيد بابليتو مع السيِّد بوكيتين ومبلشور)

المشهد الخامس

مارثيانا وخوسيه ماريًّا

مارثيانا : ماذا حدث لك ؟

خوسيه ماريًا: لا شيء يا أمي . ماذا تريدين أن يحدث لي ؟ فشقيقا السيِّدة لم يأتيا إلى هنا منذ وقت طويل .

مارثيانا : نعم ، منذ وقتٍ طويل .

خوسيه ماريًا: منذ أن حدثت فاجعة أخيك ، عندما قتلاه وهو ذاهب معهما للصيِّد . أليس كذلك ؟

مارثيانا : نعم ، هكذا . ألم تعرف ذلك ؟

خوسيه ماريًا: هكذا يقولون ما حدث .

مارثيانا : هل قال لك أحدٌ شيئًا آخر ؟

خوسيه ماريًا: لا ، يا أمي . لو أنَّهم قالوا لي شيئًا آخر ... لكان من الأجدر ألا أصدقه .

مارثيانا : من الأفضل . (جاءت السيِّدة إيسابيل)

المشهد السادس

السَّابقون ، والسَّيدة إيسابيل، والسَّيدة أمبارو

مارثيانا : كيف حالك يا سيدتى إيسابيل ؟ وأنت يا سيدة أمبارو، عمت صباحًا .

السَّيدة أمبارو: (**إلى مارثيانا**) أهلاً يا مارثيانا !

السَّيدة إيسابيل: هل وصل شقيقاى ؟

مارثيانا : لابد أنَّهما على وصول . لقد ذهب مارتين لاستقبالهما . (إلى خوسيه ماريًا) فلتسلِّم أنت .

خوسيه ماريًا: أنا فى خدمتكم .

السَّيدة إيسابيل: هل هو ابنك أيضًا ؟

مارثيانا : نعم ، يا سيدتى ؛ فهو الثالث بين الذكور . والوحيد من الثَّلاثة الذى مكث معنا . خوسيه ماريًا فى خدمتكم . فلتقل أنت ذلك !

خوسيه ماريًا: أنا فى خدمتكم .

السَّيدة إيسابيل: كم يبلغ من العمر ؟

خوسيه ماريًا: أنا فى العام الواحد والعشرين ؛ أليس كذلك يا أمى ؟

مارثيانا : تمَّ الواحد والعشرين ببركة عذراء المسيحة.

السَّيدة إيسابيل: سأخرج لأنتظر شقيقىَّ . هيا يا أمبارو.

مارثيانا : فلتصاحب أنت السيدتين .

السَّيدة إيسابيل: ليس هناك داعٍ. من الأفضل أن نذهب بمفردنا .

(تخرج السَّيدة إيسابيل والسَّيدة أمبارو)

خوسيه ماريًا: أرأيت حضرتك كيف أنَّ السَّيدة لا تريد أنْ أرى شقيقيها ؟

مارثيانا : ولماذا لا تريد أنْ تريهما ؟

خوسيه ماريًا: نعم أنت تعلمين ذلك ، وأنا أعلمه ، ويعلمه الجميع ؛ لأنَّهما اللذان قتلا شقيقك ، أعنى والدى .

مارثيانا : يا إلهى ! من استطاع أن يخبرك بذلك ؟

خوسيه ماريًا: لا أحد ، لكن الجميع أوضحوا لى ذلك . والآن ، هذه المرأة ، دائمة الصمت .

مارثيانا : هذه المرأة ؟ ... لا تنعتها هكذا ، إنَّها السَّيدة إيسابيل ، هى ...

خوسيه ماريًا: أىُّ اسم ، إلا الذى كنتِ ستنطقين به . إنَّها ليست والدتى! وحتى لوكانت ، فأنا لا أريدها أمًا . هذه المرأة لا يمكن أن تكون والدتى . إنَّها الأميرة المتغطرسة ، بكل غرورها ، غرورها بأصلها . هذا الغرور الذى لم يعقها لتكون

امـرأة ، ولكنَّه عـاقـهـا فلم تتـمكن من أن تكون أمـًا، ولم تتذكَّر أنَّها سيِّدة ، وبسببها قتلوا والدى . يا لها من لعينة.

مـارثيـــانـا : لا يا بُنى ! هذا لا ! صـــهٍ يا بُنى ! لا يمكن أن تُلعن الأمُ أبدًا . مـاذا تعـرف أنت كم بكت من أجلك دون أن تدرى أنت ؟ مـاذا يعرف بعضنا عن الآخر ؟ تعال يا بُنى ، تعال مـعى . حـــتى لا يســـمـعوك ويروك هكذا . يا بُنى ، يا بُنى ! ...

خوسيه ماريًا: نعم أنا ابنك ! أنا ابنك ! نعم أنا ابنك ! أنت أمى ! أنا ليس ليس لدىَّ أم ، أنا لا أريدها أمًا لى !

ســــــــــــتار

الفصل الثانى

ديكور الفصل الأوَّل نفسه

المشهد الأوّل

السَّيدة أمبارو ، مارثيانا ، والسَّيد بابليتو

مارثيانا : **(إلى السَّيد بابليتو)** ألم تصدق يا سَّيدى أنِّى لا أعرف أىَّ شىء ؟!

السَّيدة أمبارو: حقًّا . لم أقل شيئًا أبدًا لمارثيانا أومارتين أو لأىٍّ أحدٍ فى هذا البيت ، لكن كثيرًا ما تُعرف الأشياء دون أنْ يرويها أحدٌ .

مارثيانا : هذه هى حالتى ؛ فالحقيقة تتحدث عن نفسها وبصوت عالٍ .

السَّيد بابليتو: حسنًا ، يا سيدتى أمبارو، لكنِّى لا أعلم أنَّ سلوكى به ما يُعاب عليه ؛ فأنا أحترم هذا البيت ، بيت سيدتى إيسابيل ؛ فلولا كرمها وقلبها الطَّيب لكنت ذهبت إلى أىٍّ ملجأ . كيف أستطيع أنْ أنسى ذلك ؟ أتعتقدين يا سيدة أمبارو، أنَّه بالنسبة لى لا أستطيع أن أفكِّر أنَّ السَّيدة إيسابيل يمكنها أنْ تصدِّق أنِّى لا أوافقها بكل تقدير على ترحابها الكريم ،إلا إذا قالوا لها شيئًا آخر ...

السيّدة أمبارو: لم يقل لها أحدٌ ايَّ شيءٍ . ولذلك فقد سمحت لنفسى أنْ أنبِّهك قبل أنْ تعرف السيِّدة إيسابيل وينتابها الغضب ، يكفيها ما لديها؛ فهؤلاء النَّاس الذين تصاحبهم ليسوا المناسبين لك .

السيِّد بابليتو: يا سيدتى أمبارو، فأنتِ تعرفين الحياة فى هذه القرى . فمَن مِن النَّاس يستطيع الإنسان معاشرته ؟

السيِّدة أمبارو: من المُمكن ألا يتعامل أحدٌ مع الناس ، لكن إذا تعامل كان بوسعه اختيار أصدقائه، وليس من بينهم السيِّد بوكيتين هذا ، زوج المدرِّسة ، والذى يعيش على حساب زوجته المسكينة ولا ميلشور هذا الذى يعيش بنفس الأسلوب .

مارثيانا : لكن على الأقل ؛ فالسيِّدة المدرِّسة سيِّدة طيبة ، لا يستطيع أحد أنْ يقول عنها شيئًا، ولكن زوجة ميلشور ، كما يُطلق عليها الجميع ، لا يستطيع أحد أن يقول عنها شيئًا ، فلا يوجد رجلٌ فى هذه الأماكن لا يستطيع تبرير عيوب وإهانات زوجة ميلشور . ويُسعدنى أنَّ السيِّدة أمبارو هى التى قالت لك ذلك ؛ لأنِّى لو كنت قلته ... ، على الرغم من أنِّى قلته لك أكثر من أربع مرَّات ... ، من الممكن أن تعتقد أنَّه يزعجنى أن يأتى أصدقاؤك ليأكلوا ويشربوا ، إطلاقًا . فالأسوأ من ذلك هو أنَّ الناس يلوكونهم بألسنتهم ، وبالتالى تكون سيرة هذا المنزل على كلِّ لسان ، فيكفينا ما يُقال عن أمورٍ أُخرى .

السَّيد بابليتو: حسنًا ، فمن اليــوم ستــكون حياتــى كحياة الزاهــد .

(ميلشور يطل عند الباب ويشير إلى السَّيد بابليتو.)

مــارثيــانــا : أقول ... ، بداية جيدة ... ، هناك ينادون عليك .

مــيلشــــور: لا ، لا شىء . بعد إذن السَّيدة .

السَّيدة أمبارو: ادخل ، ادخل حضرتك .

السَّيد بابليتو: ماذا بك ؟

مــيلشــــور: نحن ننتظرك فى حانة البارديو؛ فهناك مباراة .

السَّيد بابليتو: لن أستطيع الذهاب ، طالما أنَّ السَّيدين موجودان هنا ، فلن أخرج لأى أمر مهما كان .

مــيلشــــور: لقد نفد كل ما لدينا من مال ، والبارديو لن يثق فينا أكثر من ذلك ، وقد أقرضنا بما يكفى .

السَّيد بابليتو: سيــتم ســداد كلِّ شىءٍ ، لا تأتِ إلى هنا فى هذه الأيام . أرجو ألا تسبِّبوا لى إزعاجًا ، حسنًا فلتسترح زوجتك ، أرجو ألا يكون أمرًا جد خطير ، وذكِّرها بذلك .

مــيلشــــور: من طرفك . عمت مساءً . (يخرج)

السَّيد بابليتو: لقد أتى ...

مــارثيــانــا : نعم ، لقد سمعنا ؛ لأنَّ زوجته مريضة ، وهذا هوحالها دائمًا . لماذا لم تصاحب طبيبًا أو قسيسًا ، فهما الشخصان الوحيدان كاملا المروءة ؟

السَّيد بابليتو: لأنَّ الطبيب أوالسَّيد القسيس بالذات ، لن يريدا التعامل مع أحدٍ من هذا البيت .

مـارثيــانـا : لن يريدا التعامل مع هذا البيت ؟

السَّيد بابليتو: بالفعل ! فكل شيءٍ يجب أن يُقال ؛ فالسَّيد القسيس يقول إنَّه لم يكن بهذا المنزل تدين أوتقوى على الإطلاق .

السَّيدة أمبارو: ماذا يعرف هو؟ ... ألا يعرف السَّيدة إيسابيل ؟

السَّيد بابليتو: يقول إنَّه منذ أن جاءت هنا مع والدها وأخويها بعد ذلك ، لم يرهم قط فى الكنيسة ولو مرة واحدة ، على الرغم من ثروتهم ، لم يقدموا شيئًا لتزيين الكنيسة، ولم يساعدوا فى إقامة شعائرها . وهو يعرف أنَّهم لم يتصدقوا على الفقراء أبدًا . ويقولون أشياء أُخرى أخجل من ذكرها ، لكنِّى لا أستطيع سماعها ؛ لأنى لا أتحمل أن يُتكلم عن السَّيدة إيسابيل ولا عن هذا البيت أمامى كما يدور الحديث من حولنا فى هذه القرية . ولذلك ، فأنا أتعامل مع أسوأ الناس ، كما تقولوا حضراتكم ، لكن هؤلاء الذين تقولون إنَّهم الأسوأ فهم أقل الناس الذين يخوضون فى هذه الأمور ، ربما لأنَّهم مضطرون للصمت ، عمومًا فهم صامتون .

السَّيدة أمبارو: فى نهاية الأمر ستكون محقًا ...

السَّيد بابليتو: إذن فلتأذنى لى حضرتك ... لأنَّكما لا تأتيان إلى هنا ... فأنتما تتحملان النتيجة ...

السَّيدة أمبارو: تفضل حضرتك يا سيد بابليتو، تفضَّل . (يخرج السَّيد بابليتو)

المشـهد الثـانى

السَّـيدة أمبـارو و مـارثيـانـا

السَّيدة أمبارو: لديه كل الحق ...

مـارثيــانـا : حدثت أشياء كثيرة كى لا يتحدث الناس ؛ فلا أحد سوانا يعرف ما حدث ، لكن خوسيه ماريًّا الذى كنّا نعتقد أنَّه لا

السَّيدة أمبارو: هو يعرف .. ؟

مـارثيــانـا : نعم ، يا سـيِّدتى ، يعـرف ذلك ،ويعـرف من هى والدته ، ويعرف من هم الذين قتلوا والده . لم يعرف منًّا ، أقسم لك بالصَّليب ، لم يعرف عن طريقنا .

السَّيدة أمبارو: لا يمكن أن أصـدِّق أبدًا أنَّ أخـوىَّ إيسـابيل لهـمـا يد فى هذا الموت.

مـارثيــانـا : إذن مَنْ ؟ عندمـا علمـا أنَّ أختـهـمـا كانت غيـر شـريفـة ، وعندمـا أُجبرت على الاعتراف ، فقد اعترفت بكلِّ شىءٍ . جاء الاثنان إلى هنا ، وكـأنَّ أحدًا لا يعلم شـيئًـا ، لم يكن أخى على علمٍ بأىِّ شـىءٍ . لم يعلم بما حـدث ... ، وربما

أسأت معرفته . خرج معهما من المنزل مثل المرأت السَّابقة . سمعوا بعض الطلقات عن بُعد مسافة من هنا ، كان السَّيد ليونتيو دائمًا ما يخرج ليصطاد مع أخي ؛ لأنَّه كان يقول إنَّه على علاقة ببعض الصيادين الهاربين ، الذى كان يتتبعهم ولم يبلغ عنهم . " اذهب الآن حتى تعرف من أطلق هذه الطلقات ... " تقدَّمهم أخي كما أمره السَّيد . سمعوا طلقات أُخرى . ولم يعد أخي . يقول السَّيدان إنهما ذهبا بحثًا عنه ووجداه ميتًا . لم يكن ميتًا فقط بالطلقات، لكنَّهم قطَّعا رأسه إلى أجزاء ، حتى إنَّنا لم نكن نعرفه عندما وجدوه . هذا كل ما أعرفه ، لكن عند أمر الصَّيادين لم يستطع أحد أنْ يذكر شيئًا ، لم يعرف أحد أبدًا من أين جاءوا . العدالة ، نحن نعرف كيف كانت العدالة وقتذاك ... الآن أصبحت شيئًا آخر ... فالسَّيدان لهما سُلطة كبيرة ، لا يجرؤ أحدٌ أن يقول شيئًا ضدهما . يتكلمون إذا تكلموا ومازالوا يتكلمون ... وبعد ذلك بوقت قليل جئت حضرتك بهذا المخلوق ، قلت لنا من هو. وحينئذ اتضح لنا السبَّب الذى جعلهما يقتلان أخي . أمَّا هذا المخلوق فقد أخفيناه عن كلِّ الناس حتى أنِّي قد صدَّقت أنَّه ابني ، ابن آخر ! هناك من صدَّق ذلك ، وآخرون لم يصدقوه أبدًا . أنا لا أعرف إن كان أخواها يعرفان ذلك أم لا .

السَّيدة أمبارو: يشكَّان في ذلك . يعرفان أنَّه لوعاش هذا الابن ... ، لقد أخبرتهما إيسابيل أنَّه مات ، لكنَّه كان في بيتك ، مع شقيقة أبيه . سيفعلان ما في وسعهما ليتأكدا من ذلك .

مارثيانا : وهما قادران على أن يفعلا مع الابن ما فعلاه مع والده ! ...

السَّيدة أمبارو: لا ، هذا ، لا !

مارثيانا : أنتِ تفكرين بطيبة زائدة عن اللازم يا سيدة أمبارو. فحضرتك لا تعرفيهما ، كما نعرفهما نحن جميعًا، وخاصة السَّيد ليونثيو... هذا فلأنه يفعل كلَّ شيءٍ لأخويه، فهو قادر على أن يقتلهما جميعًا . لم يعش أبدًا إلا لجمع المال والأراضي بأيِّ وسيلة . لا يوجد في كلِّ هذه الأماكن من لم يكن مدينًا له بأى كمبيالة أو وصل أمانة . كان طيبًا مع الكل ! لسوء طالعه أنَّ الخصوم لم تكن لهم سطوة وإلا لعرفه كنه المعرفة، ولما استطاع أن يحزن على ذلك ! لكن الحظ كان معه في ذلك . لقد خرج من كلِّ هذا سالمًا غانمًا بمزيد من الأموال أكثر من ذي قبل . الآن يريد أن يؤمِّن على ممتلكات أخويه : ممتلكات رفائيل ، الذي يشبه الملاك ، ولا ينقصه إلا أنْ يسيطر على أخيه وما تملكه السَّيدة إيسابيل ... وحضرتك تعرفين من يجب أن يكون أمام العدالة غدًا ، فلو أنَّ السَّيدة إيسابيل كانت ذات ضمير حيٍّ ، لكنها كانت مذعورة من شقيقها .

السّيدة أمبارو: مسكينة يا إيسابيل ! أنا فقط التى أعرف كنه حياتها . إنّها جديرة بالشفقة .

مـارثيــانـا : لن أقول شيئًا آخر ، لكن لماذا لا تتذكر أنّها أمٌ ، وهو أوّل ما يجب أنْ تكون عليه المرأة فى هذا العالم ؟ ولِمَ كلُّ هذا الكبرياء ، إذا لم يكن هذا لكونها أمًا مهما كان الأمر ؟ ونحن نعرف جميعًا ، كيف حدث ذلك ، وإنْ كانت قد أرادت أن تقول شيئًا آخر ، وقد صدّقه شقيقاها ؛ فهى التى كانت متيمةً بشقيقى ... وهذه هى الحقيقة ... ، فلم يكن هناك شاب أفضل منه فى العالم بأسره ، كان مؤدبًا للغاية ، ورجلاً بمعنى الكلمة ، وفى الوقت نفسه له تلك العينان وتلك الابتسامة التى تجعله يبدو كأنه طفل صغيرٌ ، يكفى النّظر إلى عينيه وترينه يضحك ، تتيقنين من أنّه لا يضمر شرًا لأحدٍ .

السّيدة أمبارو: نعم ، كانت إيسابيل تحبّه ، كانت تحبّه . ودون أن تفكر فى الفوارق بين الطبقات ، ولولا شقيقاها لتزوجته . لقد قالت لى ذلك . كانت ستتزوجه .

مـارثيــانـا : أفهمت حضرتك ؟ وتفكِّرى أنَّ هؤلاء الرجال ! ... لا ينبغى أن ننتظر شيئًا من العدالة فى الدنيا ، لكنِّى أنتظر دائمًا عدالة الله ، حتى إن تأخرت .

السّيدة أمبارو: فكمــا يُقــال دائمًــا" إنَّ طواحين الله تطحن ببطء ، لكن دقيقها أبيض ناصع ؛ فعندما تعدِّين العجين منه تجدين خبزًا ناصع البياض ،ليس كخبز الأرض، لكنَّه كخبز القربان المقدَّس في الجنَّة ".

المشهد الثالث

السَّابقون و السَّيدة إيسابيل

السَّيدة إيسابيل: الم يأتِ شقيقاى قط؟

مارثيانا : ذهب السَّيد رفائيل إلى القرية . وخرج السَّيد ليونثيو مع مارتين إلى روبيلداليس .

السَّيدة إيسابيل: هل حلَّ المساء أم السماء غائمة ؟ فهنا قليل من الضَّوء .

مارثيانا : أتريدين أن أوقد النور لحضرتك ؟

السَّيدة إيسابيل: لا ، هذا جيدٌ . (إلى السيدة أمبارو) هل كنت تتحدثين مع مارثيانا ؟

السَّيدة أمبارو: نعم ،كنا نتحدَّث ، لم نر بعضنا منذ وقتٍ طويلٍ ؛ فدائمًا يجب أنْ نتكلَّم .

مارثيانا : هل ستبقى السَّيدة هنا ؟

السَّيدة إيسابيل: نعم

السَّيدة أمبارو: ماذا يقول شقيقاكِ ؟

السيِّدة إيسابيل: لم أستطع الحديث معهما . أعلم أنَّهما جاءا ليأخذاني معهما ، لكنِّي لن أذهب ، لن أذهب ! لقد حان الوقت لكي يكون للإنسان إرادة .

مارثيانا : حقًا يا سيِّدتي .

السيِّدة إيسابيل: أحقًا أنَّ ابنك خوسيه ماريًا يحب أخته بطريقة مبالغ فيها ؟ ... وقد اضطر زوجك لانتهاره على ذلك ؟ ...

مارثيانا : هذا ما حدث ، لكن ليس من العدل أن ينتهره ؛ لأنَّه يعرف أنَّها ليست أخته ...

السيِّدة إيسابيل: هل يعرف ذلك ؟ ...

مارثيانا : نعم ، يا سيِّدتي . يعرف كلَّ شيءٍ . آجلاً أو عاجلاً كان سيعرف ، لكنَّه لم يعرف منَّا ... ويجب على السيِّدة أنْ تتحدث معه ...

السيِّدة إيسابيل: لا ، أنا لا أعرف أيَّ شيءٍ ، لن أستطيع أنْ أعرف شيئًا ، لا أريد أن أعرف شيئًا .

مارثيانا : عندما جاءت السيِّدة إلى هنا ، جميعنا اعتقد أنَّ ...

السيِّدة إيسابيل: أنا التي تعرف لماذا جئت إلى هنا ! سأذهب إلى مكان لم أذهب إليه قط ! سأهرب !

مارثيانا : لن تستطيعي أنْ تنسي أيَّ شيءٍ ؛ فكلُّ شيءٍ هنا موجود يذكِّرك .

السيِّدة إيسابيل: قضيت حياتي دائمًا لا أتذكر ، أهرب من بعض الذكريات إلى ذكريات أُخرى حتى تختلط عليَّ الذكريات ،

حتى لا أعرف هل كانت حقيقة فى حياتى أو أنَّها كانت كابوساً ...

مـارثيـــانـا : وهذا الابن ... !

السَّيدة إيسابيل: يجب أن يكون هذا هو الكابوس . وهو أفظع حـقـيـقـة فى حياتى .

مـارثيـــانـا : مـعـذرة يا سـيدتى ، لكننى لن أستطيع أن أقـول لكِ على الأقل كنه إحساسى ، وما تفعلينه ليس شرعًا . هذا الابن هو نجل رجل كنت تحبينه ، وكـان يحبك . لا تنكرى أنَّك كنت متـيـمـــة به . لم يكن الأمـر بالنســبـة لك ســواءً بسواء ... فـحضـرتك لم تكتـرثى بحبه قط . وكنتِ تعلمين جيداً أنَّه على الرغم من حبِّك له ، كنت ستعتبرينه خادمًا على الدوام؛ فالخفير الذى كان يرافقك وكنت تخرجين معه وتضـحكين تبثين الثقة فيه ، وتستمتعين برؤيته مذهولاً ، دون أن تفكرى فى كونك معه السَّيدة بالنسبة له . لا يمكن التلاعب هكذا بمشـاعر رجل ، ولا يمكن لامرأة أن تتلاعب بعواطفها .

السَّيدة إيسابيل: كفى يا مـارثيانا ! كفى ! ماذا تعرفين عنِّى ؟ ومن أنتِ كى تحكمى علىَّ ؟ فلا أنتِ ولا أحـدٌ غـيـرك فى هذا العـالم . فـالله وحده برحمته الواسعة هو بيده أن يحاسبنى . فـأنا مسيحية مؤمنة ، نعم أنا مسيحية مؤمنة ، وأنا مذنبة حقًا؛

لأنِّى لا أجرؤ على دخول الكنيسة ، ولن أستطيع أن أعترف بخطاياى ؛ لأنى عندما أسمع بكلمات أفكارى أمام القسيس ، سأموت من الرعب والخجل .

مارثيانا : وما هذا ؟ ولتسامحينى مرَّة أُخرى . وهل هذا إلا كبرياء ؟ الله وحده الذى يستطيع أن يحاسبك ؟ هذه حقيقة ... ، كالنِّدِّ للنِّدِّ ! ... ، ما الذى يخجلك من الاعتراف ؟ إنَّه الكبرياء ليس إلا ! ...

السَّيدة إيسابيل: أسمعتى يا أمبارو؟ ... الكبرياء ! كبريائى ! ... هذا ما كان يظنه بى النَّاس منذ أنْ كنت طفلة ... أتتذكرى فى المدرسة ؟ أنتِ فقط من بين الأساتذة وكل الأطفال وأصدقائه ، عرفتى حقيقة أمرى ، ولذلك ذهبت بحثًا عنك . لذلك السبب جئت بك معى ، ولذلك أنتِ صديقتى ، صديقتى الوحيدة . فاسمك على مُسمَّى ! يا أمبارو! فأنتِ سلواى فى حياتى الحزينة !

مارثيانا : نعم ، منذ أن كنت طفلة ، وتأتين مع أخويك ، كنت لا تتحدثين مع أحدٍ ولا تردى على أحدٍ أيًّا كان و... ، وعندما كبرت ... ، عندما مات السَّيد ، والدك ، رحمه الله ، تزايدت غطرستك ، تعرفين ماذا كان يُقال عنك : الأميرة المتغطرسة ، فأنتِ كنت تسمعين ذلك دون أن تعرفى لماذا يُقال ذلك . على الرغم من أنَّه كان يُقال من خلال كلمةٍ هى

تدل على مزيد من التفخـيم . ولذلك كنَّا نندهش وخاصة أنا ، عندما نراكِ وحدك مع أخى تتكلمى معه وتضحكين .
يا ليـتك كنتِ تلتـزمين مـعـه بنفس الكبـرياء الذى كنتِ تظهرينه لكل النَّاس !

السَّيدة إيسابيل: كبرياء ! أنَّى لى أنْ أكون متكبـرة ؟ فعندما وُلدت توفيت أمى . يا له من نذير مشـئوم لما ستكون عليه حـياتى . وعندما بدأت أشعر بوجودى كانت تضغط علىَّ هذه النكبة. ظلت تطاردنى طوال حياتى ؛ فـفى كلِّ خطوة كنت أسمع ذلك مـمَّن يحيطون بى : " هذه الطفلة عندمـا وُلدت أودت بحياة أمها ، عندما وُلدت الطفلة توفيت أمـها . " ولكثرة ما سمعت ذلك ، كدت أعتقد أنَّنى التى قتلت والدتى. جريمة عند الولادة ! بسبب ولادتى؛ فأنا أشعر طوال حياتى بوخز الضـمـيـر ! ... حـتى عندمـا كنت طفلة صـغـيرة جداً ! أدخلنى أبى المدرسة وكان يأخذنى إلى بيته مرَّة أومرَّتين كل عـام، وبذلك كنت أمـثل عـائقًـا وخللاً فى حـيـاة أبى وشقيقىَّ فى الوقت البسيط الذى كنت أقضيه معهم . أمَّا فى المدرسـة فلم يكن لى صـديقـات . ولم تكن المدرسـات تحببننى . كنت أبدو لهنَّ جميعًا متغطرسة ، لم تكن هناك سوى مدرسة واحدة ، أنت يا أمبارو! لقد جرؤت على أن تقـول ذات يوم: " هـذه الطفلة ليـست مـتـغطرسـة ، كـمـا

تعتقدون حضراتكم ، فكلٌ ما يبدو منها من غطرسة بالعكس ما هو إلا الخوف . هذه الطفلة مذعورة . عندها عفة القلب الذى لم يُعرف حتى الآن ؛ لأنَّه لن يستطيع أحد أن يعرف قلبها حتى يتكلم معه قلب آخر ،وهذه الطفلة لم يناج قلبها أحدٌ . " لقد سمعتك ،ولأنَّ الكل كان ضدكِّ ظاهريًا ، لكنك كنتِ على حقٍ أكثر منهم . وبدلاً من أن أبكى عندما كنت أستمع إليك ، لأنى كنت أحب البكاء ، وبدلاً من أن أرتمى فى أحضانك شاكرة لك وقائلة من كل قلبى : " إنَّها حقيقة ، إنَّها حقيقة ! هذا هو! تنكَّر حيائى فى كبرياءٍ وغطرسة . " بدأت أركض مثل وحش مذعور ، وذهبت لأختفى ،وقد احمرَّ وجهى خجلاً ، وأعتقد الجميع أنَّه الغضب، وظلوا يجهلوننى ... ،وسخروا منك ؛ لأنَّك كنت تعتقدين أنَّك تعرفيننى جيداً .

السَّيدة أمبارو: كيف لا يجب علىَّ أن أعرفك ؟ لقد كنت مثلك ، فأنا أيضًا لم أعرف أمى ، لكن كانت لى زوجة أبٍ طيبة ، على عكس ما يحكيه الأطفال فى حكاياتهم ؛ فهى التى أيقظت قلبى . أنتِ حتى ذلك الحين لم تتعرفى على قلبك ، لم تستطيعى التعرف عليه ... أمَّا أنا فقد تعرفت عليه .

السَّيدة إيسابيل: صديقتى أمبارو! يا معلمتى الفاضلة ! يا صديقتى الوحيدة التى هى أجمل ما فى حياتى !

السّيدة أمبارو: أفهمت يا مارثيانا ؟ لا يوجد أروع من التخاطب مع القلب .

مارثيانا : سيّدتي ! ولما لم تجرؤي على الذّهاب إلى الكنيسة وتدعى إلى العذراء المقدّسة ، فهى أم الناس جميعًا ... ؟ ولمَ لا تريدين أن تعترفي بخطاياك مع كثرتها ؟ سترين حضرتك أنّ جميع الأفكار السّيئة كأنّها ذهبت بعيداً جداً .

السّيدة إيسابيل: أيّة امرأة يمكن أن تكون مسكينة ومتواضعة مثلك ؟ فأمامك أشعر بالفزع أكثر من حياتى . لا تصدّقى أنّى متغطرسة ، يا مارثيانا . أين هى غطرستى إن صح ذلك ؟ لا ، فأنتِ لا تعرفين مدى كونى مخلوقة تعيسة ،وكم عندى من الخطايا البغيضة فى حياتى ! ... ليس من الممكن أن تنجو روحى من الخطايا . نعم أريد الاعتراف . أريد الاعتراف .

مارثيانا : وهذا الابن ؟ ... تقولين حضرتك إنّك لا تريدين أن تعرفى عنه شيئًا ؟ ... تقولين إنّك لا تعرفين لماذا أتى إلى هنا ؟ ... لماذا يجب أن يكون ؟ ... لأنّه عنّ لضميرك ، لأنّك تعرفين أنّ هذا الابن يجب أن يكون ابنك وليس لأحدٍ سواك . فحضرتك لا يمكن أن تحرميه من حقه . نعم أعرف أنّ أخاكِ الشرير ... ،سيكون قادراً على فعل أيّ شيءٍ إذا علم بذلك .

السَّيدة إيسابيل: لا ، لا .

مـارثيــانــا : إذن فلتفكرى فى أنَّك الوحيدة التى من الممكن أنْ تمنعيه من أن يقتص بنفسه ممن قتلوا والده .

السَّيدة إيسابيل: هذا ، لا .

مـارثيــانــا : فلتـعلمى حضـرتك أنَّه قـال ذلك مـرارًا وتكرارًا ! ولتـعلمى أيضًا ، أنَّه منذ أن جاء شقيقاكِ على هنا، ولم يأتِ هو إلى هنا ،ولم يرد رؤيتهما .

السَّيدة إيسابيل: لا ، ينبغي عليه أن يصفح ، لا ينبغى عليه أن يعاقب أحدًا! الله وحده ، الله وحده !

المشهد الرابع

السَّابقون ورفائيل

السَّيدة أمبارو: شقيقك رفائيل ...

السَّيدة إيسابيل: هل أتيت من القرية ؟

رفــائيــــــل: نعم ، ألم يأتِ ليونثيو؟

السَّيدة إيسابيل: لا ، لقد خرج مع مارتين . أعتقد أنَّهم ذهبوا إلى لوس روبيلداليس .

رفــائيــــــل: يمكنني أنْ أقول لكِ الآن إنَّني لم أرد المجيء .

السَّيدة إيسابيل: أعرف ذلك .

رفــائيــــــل: إنَّه ليونثيو.

السَّيدة أمبارو: لا ينبغي أنْ تقول لي ذلك . هو دائمًا !

رفــائيــــــل: يريد أن تعودي معنا .

السَّيدة إيسابيل: بالقوة ؟ بجبروته ؟

رفــائيــــــل: لم أكن أرغب في المجيء .

مــارثيــانــا : إنَّ ذلك لا يحمل لحضراتكم ذكرى طيبة ...

رفـائيـــــل: أنا ، لا ، يا مارثيانا ، أنا لا ! لن أسامح أحداً ، لكنّنى لم أكن أنا . أردت أنْ أمنعه ، أمّا شقيقى فقد أراد الانتقام لشرفه .

مـارثيـانـا : إنّ أقل ما يمكنه القيام به هو القتل وجهًا لوجه ، لكن كان يجب عليه معرفة السّبب . فالشىء الوحيد الذى كان يمكنه القيام به هوالتحدُّث مع شقيقى فى البداية ، وأن يستمع إليه ... كان من الممكن أن يتأكد من كونه على صواب ... وإن كان لم يكن لديه سبيل آخر ... سوى أنّ مال شقيقته سيسلب منه . وهذا هو السبب نفسه الذى أتى به لكى يأخذك الآن . حتى يبعدك عمّن يحبونك وتحبينهم بالفعل ، على الرغم من أى شىءٍ ؛ لأننا نشفق عليها ، ولأنّها خاضعة لرجل معدوم الضمير ، الذى لا يعرف سوى طموحه الخاص ... ، أن يكون مالكًا ومهيمنًا على كلّ شىءٍ ... على الأراضى ، والأموال ، والأشخاص . لكن ألم يُفكِّر هذا الرجل أنّه سيموت مثل جميع البشر ، وأنّهم لن يضعوا فى قبره كلّ ما يملك من أراضٍ ومال وكل عقود الملكية ، وعلى العكس من ذلك ، ففى الدار الآخرة ، وسيكون شياطين النّار كلهم مجتمعين لكى يضعوا فوق روحه كلّ الدماء والدُّموع واللعنات التى تسبّب فيها خلال حياته ؟

السيّدة إيسابيل: إنّه شقيقي يا مارثيانا ! ...

مارثيانا : لكونه شقيقًا لكِ ، فأنتِ تعرفينه أكثر منّي ؛ كما يعرفه شقيقه جيداً ؛ فحضرتكما خاضعان له ، وحتى الآن لم تتخلصا من ذلك ، فهو لن يدعكما تعيشان حتى يستولي على كل ما تملكانه . فلن تستطيع أن تتزوج بامرأة على هواك ، كما أنّ شقيقتك لم تستطع الزواج ، ولم تستطع أن تكون أمًا لابنها . ولا تقل إنّ ذلك بسبب شرف المنزل واللقب العائلي الذي يريده ، ولذلك فعل ما في وسعه ليلطخ شرف أخته حتى لا يمكنها الزواج أبداً ، حتى لا تخرج عن إذعانها له ، حتى تكون أكثر خضوعًا . بلا إرادة ، تشعر بالخجل أمامه دائمًا . (قبل لحظات دخل ليونثيو ومارتين . لقد سمع مارتين الكلمات الأخيرة لمارثيانا ، وقال : ...)

مارتين : مارثيانا ! ...

المشهد الخامس

السَّابقون و ليونثيو و مارتين

ليـــونـثـيـــو: حسنًا ، كلكم مجتمعون للحديث عنِّى .

مـارثيــانــا : لا ، بالتأكيد . كنا نتحدث ...

ليـــونـثـيـــو: لأنَّ شقيقاى تركاكِ تتكلمين واستمعا لكِ ...

مــارتيـــــن : عجبًا لذلك ، يا مارثيانا ، فأنتِ يجب أن تكونى ... (يخرج مارتين ومارثيانا .)

ليـــونـثـيـــو: أما حضرتك يا سيدة أمبارو، لقد عرفنا ما نريده .

السَّيدة أمبارو: نعم ، فـالاسـتلطاف وثقل الظل همـا دائمًـا شـعـوران متبادلان ، كما يقولون : افترض أنَّك تعطينى التقدير الذى تكنه لى ، لكن بما أنَّك لست الشـخص الذى يهـمنى تقديره، فلن يقلقنى ذلك إطلاقًا .

ليـــونـثـيـــو: تعرف إيسابيل أنِّى لا يعجبنى انتقاد أحد فيما يفعله . هل هذا يتفق مع رأيك ؟ ... حسنًا . أنا أعلم ما تظنين بى ، ولكنَّنى لن أكترث به ... رفـائيل ، أعـرف أنَّ هذه آخـر

الأخبار التى وصلت إلى هنا ، طبقًا لما سُمِعَ أخيرًا ... ألم تقل لإيسابيل إنَّنا سنرحل غدًا ؟ ... لقد أنهيت كل الأمور التى جئت من أجلها هنا ... فليس لدينا ما نفعله .

السَّيدة إيسابيل: لم يقل رفائيل شيئًا لى .

ليـونـثـيـو: بالطَّبع . إنَّه يخاف منك ... حتى لا يسمعك ...

رفـائـيـل: إنَّنى لا أكترث ببقاء إيسابيل هنا ما تشاء من الوقت .

ليـونـثـيـو: أمَّا أنا ، فإنَّه يهمنى ؛ لأنَّى أعرف ما يُقال هنا ، وما يدور الحديث بشأنه هنا ؛ فإيسابيل لا ينبغى أن تبقى هنا . فهذا ليس مكانها . أقوم بإجراءات بيع هذا المنزل وجميع أراضينا هنا . هذه الطريقة الوحيدة للتخلص من هذه الجحود ...

السَّيدة إيسابيل: اتركينى يا أمبارو! اخرج أنتَ يا رفائيل . أريد التحدث مع ليونثيو على انفراد .

ليـونـثـيـو: هذه أفضل طريقة لكى نتفاهم ... على انفراد ... (تخرج السَّيدة أمبارو ورفائيل) .

المشهد السادس

ليونثيو و إيسابيل

ليـونـثـيـو: ماذا تريدين أنْ تقولى لى ؟

السَّيدة إيسابيل: الآن لم أعد لأعرف شيئًا ... لا شىء ... ماذا سأقول لك ؟

ليـونـثـيـو: هناك أمرٌ ما ...

السَّيدة إيسابيل: سمعتك تقول إنَّك تفكر فى بيع هذا المنزل ... هل تعلم أنَّ هذا المنزل هويتى . إنَّه يخصَّنى ، إنَّه ملكى ...

ليـونـثـيـو: لا أحد يدَّعى أنَّه ليس ملكك ، أعرف جيداً ما يملكه كل واحد ، لكن أنت ورفائيل قد تركتما لى كامل السُّلطة فى ممتلكاتنا جميعًا ، وأنتما تعلمان جيداً أنها قد نمت منذ أن توفى والدنا . لا أعـتـقـد أنَّه يمكنكما الشكوى من إدارتى لممتلكاتنا ...

السَّيدة إيسابيل: لا أريد أن أبيع هذا المنزل ...

ليـونـثـيـو: حسنًا ، ألا تريدين أن يُباع ؟ لن يُباع ... قلت ذلك كمجرَّد كلام ... يقول الشخص منَّا أشياءً كثيرة ... هل تريدين

أن يكون هذا المنزل لابنك ؟ حسنًا ... لكن ليكن لابنك ، لا لهؤلاء الناس الذين يريدون أن يرثوك ... ويرثونا متخذين ابنك ذريعة لذلك ، في حياتنا ، إذا أمكن هذا ، لن يحدث ... ، لذلك لا أريد أن تظلِّي هنا ... أعرف لماذا جئت ... من أجل ابنك ... إنَّ هذا لا يهمني ! ... يمكنك أن تأخذيه معك ... ، إلى منزلنا ... يبدو لي ذلك جيدًا حتى يُربى كما ينبغي ... لكي يكون واحدًا منَّا ... ، لا ريفيًا كوالده ... سأتكلم مع أعمامه ... ، سأتكلم معه .

السَّيدة إيساليل: معه ؟

ليونثيو: نعم ، معه ... فليس لدينا ورثة غيره سوانا ... فرفائيل لا ينبغي أن يتزوج ... فهو دائمًا عليلٌ ... وأنتِ ، أيضًا ، لا تفكري في ذلك ... فلن تستطيعي أن تحبِّي أحدًا ... وأنا لم أفكر أبدًا في الزواج . يجب أنْ نفكِّر فيمن يرثنا ، فلابد أن نترك ممتلكاتنا في هذه الدنيا ... الولد سيكون وريثنا، لكن يجب أن يتعلم ، بالطبع . يجب أن نعلمه ، سنرسله إلى مدريد ، أوسنحضر له مدرسين ليعلموه في المنزل إذا كنت لا تريدين فراقه ، لكنَّه لا بد أن يبتعد عن أسرة أبيه، ما رأيك ؟ ... ألا يسعدك ذلك ؟ ... فأنا لم أعش إلا من أجلكما : من أجلك ومن أجل رفائيل ، فلولاي لبدَّدتم كلَّ ما تركه والدنا في غضون أربعة أيام عقب وفاته . هل كنت شريرًا معكما ؟ هل كنت شريرًا معك ؟

السّيدة إيسابيل: صه ، فأنت ترعبنى ؟

ليـــونـثـيـــو: لا شيء غير الرُّعب ؟ ... أستطيع أن أفعل المزيد من أجلك ومن أجل ابنك ، على الأقل فأنت تعتقدين أنِّى جئت لأقتله ... بداية كنت أفكر فى ذلك . أمَّا الآن ، فلا . ذلك الرجل كان نزوة فى حياتك . كان شاباً طيباً ... فما ذنب الفتى ؟ ... لدرجة أنَّنى أحببته ... سترين ... علىَّ أن أُحبَّه ، على الرغم من أنَّه تكلَّم ذات مرة عن قتلى ... ، انتقاماً لوالده ... هذا ما يسمعه من أقاربه ، كلام الناس هنا . ثأر وانتقام هذه القرى ... فمن الأفضل أن يظل معنا ، وعندما يعرف أنَّه سيكون وريثك ووريثنا ... لن أترك كل ذلك أفضل من نجلك ؟ من الممكن أن يتبناه رفائيل ، وبذلك سيحمل لقبنا ولن يفكر فى الانتقام أبداً . هل أنا شرير جداً كما تظنين بى ؟ هل تخافين منِّى حتى الآن ؟ لماذا تخافين يا امرأة ؟

السّيدة إيسابيل: أكثر خوفًا من ذى قبل !

ليـــونـثـيـــو: هيَّا ... فلتقبلينى يا امرأة .

السّيدة إيسابيل: لا تقترب ! أبدًا ! أبدًا !

ليـــونـثـيـــو: أما زلت تحبين ذلك الرَّجل، الذى لم تصفحى عنِّى حتى الآن من أجله ؟

السّيدة إيسابيل: كان بوسعى أن أحبه ... كان باستطاعتى أن أحبه ... وهذا هوالسبب فى أنَّنى لن أصفح عنك .

ليونشيو: النتائج لم تكن لأنكِ كنت تحبينه ؛ لأنك لم تكترثي به ، على الأقل ...

السيدة إيسابيل: كان يهمني ... ، كان يهمني الهروب منك ... كان يهمني الاستسلام له ... لأنه كان والد ابني ، وعندما عرف الجميع ، لم يفهمني أحدٌ ، ولا أنت نفسك ... ، أتفهم ؟ ولا أنت نفسك كان بوسعك أن تشك أن يكون هذا الولد من رجل آخر .

ليونشيو: ماذا تقولين ؟ من ذلك الآخر الذي يمكن أن يكون والده ؟

السيدة إيسابيل: ألم تفكر في ذلك من قبل أبدًا ؟ ألم تفكر من يمكن أن يكون والد هذا الابن ؟

ليونشيو: أنا أصدق فقط ما كنت تقولينه دائمًا ... لا تريدين التملص الآن ... أنتِ تعرفين الحقيقة .

السيدة إيسابيل: الله وأنا نعرف ذلك !

ليونشيو: هكذا سيكون سرًا محفوظًا بينك وبين الله .

السيدة إيسابيل: وإذا عُرفت هذه الحقيقة في يومٍ ما ... فلن أكون أنا التي أفصح عنها ... لكن الله هوالذي سيُفصح عنها .

ستار

الفصل الثالث

الديكـــور نفســه

المشهد الأوَّل

خوسيه ماريًّا و مارتين و مارثيانا و بيلار

مارتين : لقد عرفت ما قاله السيِّدان ... نحن ... ، ماذا سنقول لك ؟ ... من الأفضل لك ، هذا ما نتمنَّاه لك . أنت تعرف قدرك لدينا ، نحن نعرف ذلك ، وأنت خير من يعلم عمَّا فعلناه من أجلك ، ينبغي عليك أنْ ترحل بعيداً عنا ، وهذا ما سنأسف عليه كثيراً ، لكن بُعد الأبناء عن الآباء ... ، هذا ... ، حتى إنْ لم نفكِّر في الموت ، الذى لابد أن يوافينا جميعًا ، وسيفرق بيننا جميعًا ، آجلاً أو عاجلاً ، وليس دومًا أنَّ الموت يأتى للكبار أولاً ... ؛ فالحياة نفسها هى التى تفرِّق بيننا ، كما ترى . فلم يتبق لدينا من الخمسة أبناء سوى هذه الفتاة وأنت ، إنَّه لحزن أنْ نفترق ، ولكن إن كان هذا سيحدث ذات يوم نتمنى أن يكون ذلك لصالحك ، وينبغى أنْ يكون برضى الأشقاء الثلاثة ، فأنا فى الحقيقة ، لم أصدقه أبداً .

مارثيانا : ولا أنا ... وإنْ أقسموا لي !

مارتين : ماذا تقول في ذلك ؟ فلا يبدو أنَّك ستذهب في سعادة تامة . هل لأنَّك ستترك بيلار ؟ ... هذا رأى غير صائب ، فقانونًا ستظلُّ شقيقتك دائمًا ، ولن تتمكنا من الزواج ، فلا ينبغي أن تفكرا في شيءٍ آخر .

مارثيانا : بالطَّبع ، سيبرئ الله ساحتنا ...

مارتين : إذا كنتما على صواب ، ينبغي على السَّيدين إيجاد تبريراً لذلك ... ، فهما على علم بالقوانين أكثر منَّا ... ، وبالطبع، إذا ذهبت معهما وجعلاك سيداً مثلهما ، سترثهما ، ولن يروق لهما أن تتزوج بيلار ، حتى لو كان ذلك ممكنًا . فلا تبك ، ولا أنتِ يا بيلار ! فالنساء دائمًا ما يجعلن الإنسان جبانًا ...

خوسيه ماريًا: لا ، لن أجبن . لقد تم التفكير جيداً في كلِّ شيءٍ . سأذهب هذا العام لأداء الخدمة العسكرية .

مارتين : هذا ما كنَّا نضعه في الاعتبار ، لكن الخدمة العسكرية لن تظل إلى الأبد ، ويمكنك الدِّراسة أثناء الخدمة العسكرية، وهذا سيجعلك تنسى الجيش .

خوسيه ماريًا: فأنا عندما أذهب إلى الخدمة العسكرية ، لن أفكر في العودة أبدًا ؛ لأنِّي كنت أعلم أنَّ حبنا لن يستمر كما هو الآن ؛ فهي لن تستطيع أن تحب شخصًا آخر ، ولن

أستطيع أنا أن أطلب منها التضحية من أجلى . ولذلك فذهابى سيكون للأبد وبلا رجعة .

بيـــــــلار: هل تريد ألا أبكى ... ؟ لقد بكيت فقط عندما كنت أفكر فى ذهابك إلى الخدمة العسكرية هذا العام ، وأنا أعلم أنَّك ستعود ... ، ألا ينبغى علىَّ أن أبكى الآن خاصة، وأنَّك تتحدث عن عدم العودة ؟

مارثيـانـا : إذا ذهب مع السَّادة سيكون ذلك بلا رجعة ، إلى الأبد .

بيـــــــلار: بلا رجعة ! ...

مارثيـانـا : للأبد ! ...

بيـــــــلار: للأبد ! ...

مـارتيـــن : بدون رجعة ! ... للأبد ! ... لا تتكلما هكذا ، فإنَّ رنين كلماتكما وبكائكما كضربات الفأس عندما تضرب الأرض لكى تهيل التراب على القبر .

خوسيه ماريًّا: لا ، لن أذهب مع السيِّدين . لن أذهب ، لكن كيف يُعتقد أنِّى من الممكن أنْ أعيش مع هذين السيِّدين ، اللذين قتلا والدى شر قتلة ؟ ... ماذا سيقول الناس عنِّى ؟ ... هل أثَّر فىَّ المال أكثر من الجميع ؟ ... أنتم رأيتم أنِّى لم أرد البقاء هنا هذه الأيام ، حتى لا ألتقى بهما ، حتى لا أراهما . كنت أسير فى القرية ، وأنتم لا تعلمون ما كنت أسمعه من كلِّ النَّاس فى كل مكان ، بعضهم كأنَّه يتكلم

فيما بينه ، وآخرون كانوا يقولون كأنَّهم يكلمونَّنى .
وحلقات من النساء : " لكن ألا يوجد رجال فى هذه القرية ؟ " حتى الفتيان وهم يسيرون : " خوسيه ماريًّا ، ألا تعلم من جاء هنا ؟ إذا كانا قتلا والدى مثلما فعلا معك ، وكنت رجلاً مثلك ... ! ".

مارتيـن : هل ستصغى لهم ؟

خوسيه ماريًّا: أصغى لهم؛ لأنَّنى قلت ذلك لنفسى من قبل ، ولا زلت أكرره دائمًا .

مارتيـن : وإنْ لم يكن أحدٌ على صواب ؟ ... وإنْ لم يكونا هما القاتلين ؟ لم يتم إثبات ذلك أبداً . فدائمًا كان يوجد هناك صيَّادون متنكرون فى تلك الجبال .

خوسيه ماريًّا: لكنك تعرف أنَّ الكل يعرفهما ودائمًا ما يُعرف من منهما قد سار هنا وهناك ، فى أىِّ يوم ، وفى أىِّ ساعة ... ، ولم يعرف أحدٌ أىَّ شىءٍ عنهما . أنت تعرف الحقيقة ، كما نعرفها جميعًا . لقد قتلا والدى لأنَّهما عرفا أنَّ شقيقتهما كانت ستتزوجه ، وإن كان ذلك لم يكن ليحدث إلا للتخلُّص من هيمنة وسطوة شقيقها ... على الرغم من أنَّ أبى لم يكن مثلهما ... ، أنتم تقولون ذلك ويقول الجميع ذلك أيضًا ، والذين عرفوا والدى جيداً ، كان رجلاً ذا سلوك طيب ، عذب اللسان ، ويقولون إنَّه لوخرج من هذا

المكان ، لكان سيداً أكثر من غيره . وهذا ما أرادا ألا يحدث . وأنا الذى سيصفح عنهما ؟ وأنتم أيضًا يجب ألا تصفحوا عنهما ، فهما من جعلوكم مضغة يلوكونها بألسنتهم ؛ لأنَّهم تمكنوا من تكميم أفواهكم بالمال ...

مارتين : هذه ليست الحقيقة ! هذا ما يقولونه الحاسدون ، الذين يريدون أن يحرضوك ؛ لأنَّهم يكرهون السيِّدان ، فقط لأنَّهما سيِّدان ، وأرادوا أن تفعل ما لم يجرؤ على فعله أبدًا ، كى تسعدهم ، وبعد ذلك سيكونون أوَّل من يندِّدون بك ويقفون ضدك عندما تفعل ذلك .

مارثيانا : أسأت القول فى ذلك ، فبالنسبة لنا ، لقد صمتنا من أجلك ؛ لأنَّك ابن أخى ، ولأنَّ أمَّك بثت ثقتها فينا ، لأنَّها عرفت أنَّنا سنعتبرك ابنًا آخر لنا ... والآن تقول لنا إنَّنا صمتنا، لأنَّهم ساومونا بالمال الكثير ؟ ... الكلُّ يعرف ذلك ، الكلُّ رأى ذلك ، وأنت قبلهم ، تعرف كيف كنَّا نعيش . كان هذا البيت حقًّا كأنَّه بيتنا ؛ لأنَّ السَّادة لم يأتوا هنا أبدًا ، كان دائمًا هذا البيت مجهزًا بكل شىء ، وهذا من أجلك ، وليس من أجلنا ، إذن أين هى الرفاهية التى استطاع أحدٌ أن يراها هنا ؟ من الذى توقف هنا أبدًا عن العمل ؟ ألم يضطر أبنائى الذهاب للعمل ليكسبوا قوتهم ؟ ما الثروات التى نخفيها هنا ؟

مـارتيـــن : فلولا ذهابك إلى القرية هذه الأيام حتى تقابل السَّيدين ، لما قـام الجميع بتحريضك لكى تسبب لنا الهلاك . وبكل تأكيد لم يحفظوا سرك كما لم يحفظوه للسيِّدين ! هؤلاء هم الذين يعتقدون أنَّهم يعرفون كلَّ شئٍ جيداً . وإن كانوا قد رأوا ذلك أوعرفوه ، فلماذا لم يتكلموا حينئذ ؟ ... وإذا لم يكونوا قد رأوا شيئًا، وإذا لم يتمكنوا من معرفة أى شئٍ ، فلماذا يتحدثون كثيراً الآن على وجه التحديد ؟

خوسيه ماريًا: بالنسبة للسيَّد ليونثيو فقد كنت أعرف أنَّه يذهب إلى القرية ... أمَّا الآخر ، السيِّد رفائيل ، فقد رأيته ، منحطًا للغاية وحقيراً، ولذلك فقد عفوت عنه .

مـارتيـــن : لابد أن تفكِّر أنَّهما شقيقان لوالدتك مهما حدث .

خوسيه ماريًا: لن أتذكَّرأىَّ شـــئٍ عن أمى أبداً ... مثلما لم تتذكرنى هى !

مـارتيـــن : لو أنَّها أرادت ألا تتذكرك ، لما تعذَّر عليها أن تعود لتعرف عنك كلَّ شئٍ ، لكنَّها كانت تريد أن تعرف عنك دائمًا كلَّ شئٍ ، ولذلك تركتك معنا ، ولذلك ها هى الآن هنا . ومن تعتقد أنَّه استطاع أن يقنع شقيقها لكى يذهب معها إلى بيتها ، إن لم تكن هى ؟ ومن غيرها قد فكَّر فى كونك ابنها ، الذى لابد من أن يكون مالكًا لكلِّ شئٍ ؟ يجب ألا نضع الماضى فى الحسبان . فطالما أنَّ الخير يخرج من الشر ، لماذا نصرُّ على أنَّه سيكون شراً للأبد ؟ ولو كنت

مكانك لفكَّرت كثيراً في ذلك، ولن أرفض بهذا الشكل ما يعرضانه عليَّ ...

خوسيه ماريًا: بالفعل ، ألا يكون هناك عقاب لهذين الرَّجلين ؟

مارثيانا : لنترك العقاب جانبًا . هل تعرف أين سيكون العقاب ؟ عندما نعتقد أنَّ شيئًا سيئًا قد حدث في هذا العالم وقد مر بلا عقاب ، أتعتقد أنَّ العقاب هو الموت أوالسِّجن فقط ؟ فمن يقترف خطيئة في هذه الدنيا ، سيرى عقابه هائلاً في هذا العالم ؛ لأنَّه لا ينبغي أن يكون مثل الذين لم يقترفوا خطيئة أبدًا . فعندما يكونوا بمفردهم ، مع أنفسهم ، عندما لا نراهم ، فهذا هوالوقت المناسب الذى يجب أن نراهم فيه ، لنعرف ما بداخلهم . لا يمكننى أن أصدِّق أنَّ واحداً من هؤلاء الأشرار يجرؤ على النظر إلى السماء ، ليلاً ، وهو في وسط الحقول بمفرده . فالواحد منا لم يرتكب خطأ في حياته ، ومع ذلك فعندما ينظر إلى السماء ، لا يجرؤ حتى على الصلاة إجلالاً لها! فبضمير سيئ لا أعتقد أنَّه يمكن النظر إلى السماء ، ليلاً ، وفي وسط الحقول ؛ حيث يخيِّم الصَّمت تمامًا ، لأنَّه في هذا الصمت ، ما الذى يمكن أن يقوله لهم ضميرهم الميت ؟ فلتضحكي يا أمي ؛ فالأشرار يبدأون بفقدان ضميرهم .

خوسيه ماريًا: وفي هذه الحالة ، وعندما يأتي الموت ، فخوفًا من الموت ، لذلك من الأفضل أن نعجِّل لهم هذه الساعة، وهذا الخوف من الموت .

بيـــــــلار: لا تتكلم عن الموت ولا عن الخوف ؛ فلدىَّ ما يكفينى، ويكاد ينهار علىَّ هذا البيت منذ أن جاء هذان السيِّدان .

مـــارتيـــــن : إنَّهـمـا يريدان الرحـيل غـداً ، وقـبل أن يرحـلا يـريدا أن يعـرفـا رأيك . أرادا أن تذهب بعدهمـا ببضـعة أيَّام لكى يعداً لك مكان إقامتك هناك . اتفقت مع السيِّد رفائيل على إخباره بما ستقرِّره .

خوسيه ماريًّا: الذى سمعته ...

مـــارتيـــــن : لوقلت كل ما سمعته منك ...

خوسيه ماريًّا: بالنسـبة للسـيِّد ليونـثيو فإنَه يحـاول ألا يقـابلنى . وأنا لا ينبغى علىَّ البحث عنه .

مـــارتيـــــن : والسيِّدة إيســـابيل ؟ ستـتركـهـا تذهب دون أن تتـحـدث معها ؟

خوسيه ماريًّا: لكن هل ينبغى أن أتحدث مع أحد ... ، إذا لم يستطيعوا إعطائى مـا أريد ؟ ... أخـتـــى ... ، سـيـجـب علىَّ أن أنظر إليـك هكذا ... ، سـيـجـب علىَّ أن أحـبك دائمًـا هكذا ! ...

بـيــــــلار: لا تقلع عن حـبي ، أيًا كـان الحب ، هذا مـا أريده ، ألا نفـتـرق . لا تقل إنَّك سـتـذهـب إلى الأبد ودعك من هذه الأفكار البـغـيـضـة . سـأظلُّ مـذعـورةً طالما أنَّ السـيِّـدين موجـودان هنا ، لكن إذا تأخرت فى العـودة سـأموت . لا

تخـرج اليـوم من هنا . لا تبـتـعـد عنًّا . فى هذا البيت الكبير ... ، بيتنا ، مع أمِّك ومعى ، حتى يرحلا .

مـارثيـانـا : نعم يا بُنى . استجب لأختك ، واستجب لى .

بـيــــلار: فلتسـتـجب لوالدتك ! ... أحـقًّـا لا تريد أن يكون لك والدة أخرى ؟

خوسيه ماريًّا: أنتِ تعلمين لماذا كنت أريد أنْ تكون لى أمًّـا أخـرى ... حـتى لا تكون والدتنا هـى نفس الأم ... لأنِّى أحـبك كمـا أحبك ، وكما سأظل أحبك على الأبد .

مـارثيـانـا : وأنا أيضًـا ، أنا أيضًـا . (يــخـرج الجـمـيــع مـا عـدا مارتين)

المشهد الثانى

مارتين ثم بعد ذلك السيِّد رفائيل

مـارتيـــــن : مساء الخير يا سيِّد رفائيل .

رفـائيــــــل: (لمارتين) لقد جئتُ من قبل ، لكن وجدتكم فى اجتماع عائلى ، فخرجت إلى البستان أنتظر حتى تكون بمفردك ... هل تحدثت مع الفتى ؟ ماذا قال ؟

مـارتيـــــن : إنَّه ثائر جداً . يسمع إلى هؤلاء وهؤلاء ...

رفـائيــــــل: أعرف ذلك ... يا للذاكرة القوية لأهل هذه القرية فى أمر لا ينبغى ألا يحظى باهتمامهم ! لو أنَّ لهم هذه الذاكرة القوية فيما يهمهم ! ... باختصار ، ماذا ؟

مـارتيـــــن : يجب أن تتحدث شقيقتك معه ؛ فهى التى يمكنها أن تقنعه . أخبرها بذلك .

رفـائيــــــل: لقد مللت من نقل كلام البعض للبعض الآخر . إذا كان أخى يريد شيئًا من شقيقتى؛ فأنا الذى يجب علىَّ القيام بالمهمة . وإذا أرادت شقيقتى شيئًا من أخى ، يحدث

الشيء نفسه ... لابد من أن أتحمل المسئولية ... لقد كانت شقيقتي هذه مصدراً للقلق والاضطراب دائمًا . منذ أن وُلدت ، فقد كانت سببًا في وفاة والدتنا . وعندما كانت طفلة ، لم يستطع أحدٌ منا أن يتحملها ... وعندما كانت في المدرسة كانوا يقولون إنَّهم ليسوا قادرين على شقاوتها ... وعندما أصبحت امرأة ، عندما مات والدي وأخرجناها من المدرسة ... ، كان الشجار مع الخطَّاب، وخاصة أنَّهم كانوا يعرفون أنَّ لديها ثروة ، كان لها خُطَّاب دائمًا . وكان شقيقي يُرعبهم جميعًا، وأيضًا كان عليَّ أنا دائمًا مسئولية ترويعهم . وهو ما جعلني أكذب دائمًا لتحقيق ذلك ! أحيانًا على الخطَّاب ، وأحيانًا أُخرى على شقيقتي . وكان هذا مسليًا لي أحيانًا ... ثم بعد ذلك جاءت الفضيحة مع صهرك ، ذلك الشَّاب ، غضب شقيقي ... وبعد ذلك ... ، من الأفضل ألا أتذكَّر . والآن سيأتي الفتى إلى البيت . وفضيحة أُخرى . وكل ذلك لابد من أن يكون بواسطتي . القضية أنَّهم لا يتركونني في هدوء . يا لها من حياة متعبة ! لو أنَّه ذات يوم ستكون هناك حمَّامات في الأديرة ، لذهبت إلى دير لأستريح حتى الموت . إنَّني لم أكن أريد المجيء ؛ فقد كنت أعرف أنَّ خللاً سيسبِّب إزعاجًا لي . حسنًا : ماذا يقول الفتى ؟

مـارتيـــن : يقول ، لقـد قلت لك ... السَّيدة إيسـابيل هى من يمكنـها إقناعه .

رفـائـيـــل: لن أقول شيئًا لشقيقتى ، سأخبر السَّيدة أمبارو لكى تبلغها ذلك ؛ فهى الشخص الوحيد الذى تكترث شقيقتى لكلامه .

مـارتيـــن : حينئذٍ ، أتريد حضرتك أن تتكلم مع السَّيدة أمبارو؟

رفـائـيـــل: أنا لن أقول شيئًا لشقيقتى . سأخبر السَّيدة أمبارو حتى لا يُقال إنِّى لا أهتم بشىءٍ ... هل شقيقى هنا ؟

مـارتيـــن : لا ، يا سيدى ، ليس هنا . لا ينبغى عليه أن يبتعد عن هنا ، على الأقل وهو بمفرده . لم أخبر الفتى بذلك . لكن قد يخبره أحدٌ ممن لا يريدون الخير له ، فيُعتقد بعد ذلك أنَّه كان خوسيه ماريًّا . أمَّا خوسيه ماريًّا ... ، فأنا أعرف جيدًا أنَّه لن يبحث عنه .

رفـائـيـــل: وأيضًا أخى لن يبحث عنه . لن يحدث شىءٌ . وإن حدث ، فعندما يحدث شىءٌ كبير ، يحدث بسرعة ؛ فالتفاهات هى التى تعرقل وتضايق . إذن ، فلتخبر السَّيدة أمبارو لتتكلم مع إيسابيل . وتتحدث إيسابيل مع الفتى ، حتى يتفاهمان، وعندما يتفاهمان أوحتى لم يتفاهما ، فليتكلما مع أخى ؛ حيث إنِّى لن أقول شيئًا لأخى .

مـارتيـــن : هل تخشاه ؟

رفـائـيـــل: أخشاه ، لا ، لكنِّى أخشى المضايقات . من الأفضل أن نعيش فى سلام دائم ،وذلك فى منتهى السهولة ! لكن لا ،

فعندما لا يحدث أى شىءٍ ، لابد أن نبحث عن شىءٍ ليُعقد
حياتنا . ولتفكِّر : فالعالم به كل ما نحتاج إليه لنعيش فى
خير ، لكننا نحن من نُصِرُّ على العيش فى الشر ! والآن
كنت أعتقد أنِّى أتجوَّل فى البستان ، فى هذا اليوم
اللطيف ، بين الأشجار المثمرة والأزهار الكثيرة ،
والأشجار المزهرة ، كل ذلك نعمة الله علينا ، والطقس
المعتدل الذى يشم الشمس بزهره . يا لروعة العالم بدون
بشر ! واحد فقط فى هذا العالم ! آدم الذى كان
روبنسون ..

مارتين : ماذا تفعل حضرتك ؟

رفائيل: أحقن نفسى بهذا ... فلولاه ، أين سأكون أنا ؟ أخبر
السَّيدة أمبارو ، قبل أن يدخل أخى ، إن أمكن ، وإن
جاء ، أخبرنى . كن حذراً .

مارتين : اطمئن حضرتك . (يخرج مارتين)

المشهد الثالث

رفائيل ، وبعد قليل السيِّدة أمبارو

رفائيل: صباح الخير يا سيِّدة أمبارو.

السيِّدة أمبارو: صباح الخير يا سيِّد رفائيل . قال لى مارتين إنَّك تريد التحدث معى ...

رفائيل: أنا ، لا .. ، عنى ... ، لكنْ حسنًا ، نعم . أريد أن أتكلم معك فى موضوع الفتى ، حتى ننتهى من هذا الموضوع الذى نحن فيه الآن ، وحتى لا ننسى أىَّ شىءٍ ... ، لكى تتكلمى مع إيسابيل ... حسنًا مع ابنها . لماذا نخفى ذلك ، ونحن نعرفه بكلِّ وضوح ؟ مع ابنها ، والذى يبدوا أنَّه غير موافق على الذهاب مع والدته . فلو كنت مكانه لفكَّرت بالطريقة نفسها ... وإذا عرفت ما هية بيتنا ! ... إنَّه مستوطنة لذيذة للغاية . يزعمون أنَّه سيحُبنا ... يجب ألا نفكر أنا وأخى فى ذلك . ولا حتى والدته . هذا صوت الدم وصوت القلب ما هما إلا أصوات . الحقيقة ، أنَّه لا يمكن

أن يوجد الحبُّ بدون تعارف وتعامل ، هذا عندما لا يُسيء التعارف والتعامل لهذا الحب الذى لن يوجد أبدًا .

السيِّدة أمبارو: من جانب إيسابيل ، هى لا تريد أن يذهب ابنها إلى هناك . بيت شقيقها وبيتك ؛ لأنَّ هذا البيت فى الواقع هو بيتها .

رفائيل: كلُّ شىءٍ ملكٌ له ، البيت ونحن .

السيِّدة أمبارو: السيِّدة إيسابيل تريد أن تبقى هنا ، وألا تعود للعيش مع شقيقها ، هذا ما فكرت فيه عند مجيئها . فحضرتك قد تحبه ، أمَّا شقيقها ليونثيو، فلن يحبه أبدًا ، وهى تعرف جيدًا أنَّ ابنها لا يمكن أن يعيش بجانب شقيقها .

رفائيل: بالنِّسبة لى ، فعندما قالوا لى ذلك ، لم أرجحه . لقد تربى الفتى وعاش مع أخت أبيه ، وسمع كلَّ ما قيل هنا عن مقتل أبيه . لن ينسى ذلك ؛ لأنَّه سيكون قريبًا ممن يفكروه بذلك . فهم بجواره . فى النهاية ، أنا متفق مع ما تريده إيسابيل . أما ليونثيو، فلا . لن يدعها هنا مع ابنها . فإمَّا أن يأتى الاثنان أو تأتى إيسابيل بمفردها ، لكنَّها لن تبقى هنا . فلتقنعيها بذلك . هى تعرف ميونثيو جيدًا . لن يتركها وجهًا لوجه مع ابنها . فليونثيو عنيف جدًا .

السيِّدة أمبارو: ألم يكن أنت من يدافع عن شقيقته ؟

رفائيل: لقد دافعت عنها دائمًا ، لكن دائمًا ما أنصحها أن تفعل ما يريده شقيقنا . هذه هى الطريقة الوحيدة للعيش فى

هدوء ، سأتركه يأتى بشقيقته معنا . وبعد ذلك من الأفضل أن لا يكون لها إرادة خاصة ، لا تريد أىَّ شىءٍ ! ...

السَّيدة أمبارو: ولا تحب أىَّ أحدٍ !

رفـائيـل: هذا هوالأفضل ...

المشهد الرابع

السَّابقون والسيِّدة إيسابيل

السيِّدة أمبارو: إيسابيل ، لقد قال لى شقيقك ...

السيِّدة إيسابيل: نعم ، أنْ أتكلم مع خوسيه ماريًّا ، وأقنعه بالمجيء معى لأتجنب أن يأخذنى ليونثيو بالقوة ، إذا كان ذلك أمراً ملحًا . لقد طلبت استدعاء خوسيه ماريًا . هذه أوَّل مرة أتكلم مع ابنى . وبعد الكلام ، سيظل كلانا غريبًا عن الآخر كما نحن الآن ؟ سأناديه يا بنى ، لأوَّل مرَّة . أعرف أنَّ قلبه لن يُجيبنى .

السيِّدة أمبارو: كيف لا يجيبك ! تكلمى بدون خوف ، دون خجل ، تذكرى ما حدث بالمدرسة ! فالخجل لا يخفى الغرور . تذمرى ما شئت فمعلمتك هى التى تفهمك جيداً ، وعرفت كيف تُكلم قلبك .

السيِّدة إيسابيل: إذا كان يمكننى اتِّباعك ! لما استطاعوا أن يبعدونى عنك أبداً ... لكنَّك تعرفين كيف مزَّقوا قلب هذه الطفلة التى استطعت وحدك أن تحادثيه ذات يوم .

السيِّدة أمبارو: لابد أن تفصلى بين قلبك كـأمٍ وكطفلة ؟ كنتُ أناديك حينئذ ، يا ابنتى ، لأنَّه لم يكن لكِ أم . وكنت تنادينى بأمِّك ، وهذا ما كنت أمثله لكِ حقًّا . الآن سيناديك ابنك ، يا أمى ، وعندما تسمعيه ستعيد لك الحياة قلب الطفلة الذى أصبح الآن قلب أمٍ . (يدخل خوسيه ماريًّا) هل ستأتى معى يا سيد رفائيل ؟

رفائيل: (**ينظر إلى خوسيه ماريًّا .**) آه ، بكل سرور .

السيِّدة أمبارو: (**على السيدة إيسابيل .**) ابنتى ! (**تقبلها .**)

السيِّدة إيسابيل: أمِّى !

السيدة أمبارو : دعك من التحدث لقلبك . (تخرج السيِّدة أمبارو ورفائيل)

المشهد الخامس

السيِّدة إيسابيل وخوسيه ماريًا

السيِّدة إيسابيل: اجلس .

خوسيه ماريًا: لا ، يا سيِّدتى .

السيِّدة إيسابيل: هل حدَّثوك كثيرًا عنِّى ؟

خوسيه ماريًا: نعم ، يا سيدتى . لقد كلمنى والداى عنك وأيضًا السيِّد بابليتو وآخرون كثيرون يعرفونك منذ طفولتك .

السيِّدة إيسابيل: ومن قال لك أولاً ، إنَّك .. ؟

خوسيه ماريًا: يمكنكى القول إنِّى خمَّنته ، أكثر من كونى عرفته ، مما كنت أسمعه من هذا وذاك . خمنته ... لأنِّى شعرت تجاه أختى بيلار ، بحب ليس كحبِّ الأخ ، فإن كانت هى أختى ، ما كان لى أن أشعر بهذا الشعور أبدًا . وقد كدت أجن . لم أتخيَّل أنِّى أشعر بهذا الإحساس تجاه أختى . فكرت ... ، وفكرت ... ، حتى جاء يوم ، كان كالنور الذى أُشعل فى مكان مظلم جداً ، فبعد كل ما

سمعته هنا وهناك ، اتضح لى من ضوء ذلك اليوم ، أنَّ
هذا الحب كان حقيقيًا ، فلماذا علىَّ أن أخجل ، فنحن
لسنا أخوين ، فأنا ، كما قالوا لى ، من والدين مختلفين ،
من امـرأة أخـرى ، ورجل آخـر . عـرفت أبى من قـبل ،
وعرفته لأعلم أنَّهم قتلوه . تأخرتُ كثيرًا فى معرفة أمى ،
وعرفتها لنفس السبب ؛ لأنَّهم قد قتلوا ابى بسببها .

السَّيدة إيسابيل: بسببى !

خوسيه ماريًا: لأنَّك أحببتيه ؛ لأنَّكِ كنتِ ستتزوجينه ، بكل غرورك .

السَّيدة إيسابيل: دعك من غرورى !

خوسيه ماريًا: لقد كنتِ السيِّدة ، أما هـو فـقـد كـان الخـادم ، حـارس
لبيتك ... كان طبيعيًا ... أنْ تشعرى تجاهه بما شعرتى ،
كنت مغرورة . لم تصدِّقى أبدًا أنَّه قد يأتى طفل من هذا
الرجل ومنك ، لكنَّه وُلد ، وأنا أعرف أنَّك كنت ستتزوجين
أبى؛ لأنَّك مع كلِّ غرورك ، لم تكونى سيئة؛ فلم تقدرى مثل
أخريات فى مكانك ، أن تقتلينى أوترمينى فى الملجأ ، ولا
تعرفى عنِّى أىَّ شىءٍ فى هذه الحياة .

السَّيدة إيسابيل: هذا ، أبدًا ! لا تقل أنَّ هذا أيضًا كان بسبب غرورى !

خوسيه ماريًا: كلُّ شىءٍ يمكن أن يكون غـرورًا . نعم ، أعـرف أنَّك لم
تكونى سيـئة ، لم يكن أنتِ من قـتل أبى ، بل أخـوكِ ،
أخـوكِ ، الذى لم يسـتطع أن يقـبل أن تتـزوجى

وتخرجي عن سيطرته . فهو يعتقد أنك ملكه . فبالنسبة
له ، ما أنتِ وشقيقك الآخر إلا أشخاص يعيشون من أجله
وبه . فحضراتكم المنزل والعائلة ، السلطة والأراضي
والمال الذي كان معكم دائمًا من الآباء إلى الأبناء ، في
كل هذه الأماكن ، كان ويجب أن يكون لكم دون أن يخرج
أبدًا من العائلة . وهذا ما لم يرده شقيقك ، ألا يهرب
أحدًا منه ، ولذلك قتل أبي . قتله وكأنّ من قتله هو مجرم
محترف ، فلا يشك أحدٌ أنّ من قتله كان سيّدًا . وبعد كل
ذلك ، تريدوني أن أذهب لأعيش مع هذا الرجل ... لكن
هل لأني من الممكن أن أعفو عمن قتل أبي ؟ كيف لا يجب
عليّ أن أنفذ العدالة في يومٍ ما ، العدالة التي لم يستطع
أحد أن ينفذها ؛ لأنّ الكلُّ جبناء ؟ وأنتِ أوّلهم !

السّيدة إيسابيل: اسكت ! ماذا تعرف أنت ؟ لم يقتل أخي أبيك . لا تفكر
في الانتقام ، لم يقتل أخي أبيك .

خوسيه ماريًا: إذن ، من ؟ الكل يعرف ذلك ، والكل يتكلم عنه !

السّيدة إيسابيل: لا أحد يعرف ! هذا الرجل لم يكن والدك ؛ فموته كان
بسببي أنا وحدي . اعتقد شقيقاي أن المولود الذي سيولد
هو ابنه ، فأنا من جعلتهم يفهمون ذلك ، لكن هذا الرجل
لم يكن والدك .

خوسيه ماريًا: أنت تكذبين لتنقذي شقيقك ... إن لم أبحث عنه ...
سيضعني الله في طريقه .

السَّيدة إيسابيل: لا يحب الله الانتقام ولا الجرائم ، وأنت لا يجب أن تفكر في قتل شقيقي . اسمع يا خوسيه ماريًّا ! ... يا بني ! ...

خوسيه ماريًّا: الآن تريدين أن أكون ابنك ؟ الآن ، تحاولى أن تتحججى لشقيقك ، الذى قتل أبى ؟

السَّيدة إيسابيل: اسمع يا بُنى ! سأقول لك ذلك مرة أُخرى : إنَّ الذى قُتل لم يكن هوأبيك .

خوسيه ماريًّا: إذن ، لماذا تركتمونى مع شقيقته ، إذا لم يكن لها أى علاقة بى ؟

السَّيدة إيسابيل: ما كان لى أنْ أثق فى أحدٍ غير أُخت هذا الرجل ، حتى تكون أمًّا لك . فقد كنت أُحبُّ أخيها ، وبذلك سيعتقد الجميع أنَّك ابنه ، وستكون بالنسبة لها ابنًا آخر . بالإضافة لذلك فقد كنت أعرف أخبارك عن طريقها دائمًا ، يومًا بيوم ، وإن لم تكن تعرف عنِّى أىَّ شىءٍ . فقد كان ذلك أفضل لك . وحدى أنا التى تعرف الحقيقة ، لا يمكن أن يعرفها أحدُ غيرى . لكن لا تفكر فى الانتقام ، لم يكن والدك هوالذى قتله أخى .

خوسيه ماريًّا: ولماذا قتله إذن ؟

السَّيدة إيسابيل: لأنَّ ... ، لقــد قلت لك أنتَ ذلك بنفســك ؛ لأنِّى كنت سأتزوجه ، إذا كان يحبنى ، لكنى كنت سأتزوجه لأخفى فضيحة ما ، فضيحة أُخرى لا يمكن أن أعترف بها

لأحد ... سواء لأخي أوأحدٍ غيره . لقد قلت لك إنَّ هذا الرجل الذى قتله أخى لم يكن والدك .

خوسيه ماريًّا: إذن ، من هو هذا الرجل الآخر ؟ ... لماذا لم يوجد ! لماذا تكذبى لتنقذى أخيك ؟

السَّيدة إيسابيل: وإن لم يكن كذلك ... ، الآن سأكون قادرة على اتهامه إذا عرف أنَّك ستعاقبه على هذا القتل ! أتريد أكثر ؟ تريد أن أكون أنا من أتهمه أمام الجميع ؟ نعم ، أستطيع أن أتهمه ، وليس فقط بجريمة واحدة . سأتهمه لأنَّه لم ينقذك من القيام بجريمة أبشع ، هى أنَّك لا تستطيع أن تغفر لى أبداً ، يا بُنى ، يا بُنى ! اقسم لى أنَّك لن تنتقم بيدك ! أىَّ أحدٍ سواك ! (يُسمع صوت ليونثيو بالداخل .)

ليونثيو: تفضلوا ، تفضلوا .

السَّيدة إيسابيل: لا تسمع ، لا تنتظر ! تعالَ معى ! (تخرج السيَّدة إيسابيل وخوسيه ماريًّا) .

المشهد السادس

ليونثيو، السيِّد بابليتو ، السيِّد بوكيتين ، وميلشور ، وبعد ذلك السيَّدة إيسابيل

ليونثيو: انتظروا ... يا إيسابيل ، يا إيسابيل ! (تدخل إيسابيل)

السيِّدة إيسابيل: ماذا تريد ؟

ليونثيو: كنتِ هنا مع خوسيه ماريًّا ، مع ابنك ، عندما جئتُ . مروه بالمجيء .

السيِّدة إيسابيل: لا

ليونثيو: اطلب منه المجيء . أعرف أنَّه لا يريد المجيء معنا ، أعرف ذلك ؛ لأنَّ الجميع يقولون ذلك ... ماذا قلتم لي ؟ فلتكرروا أمام تلك المرأة ما قاله نجلها .

السيِّدة إيسابيل: ستعير اهتمامًا لما يقوله هؤلاء الرجال ؟

السيِّد بابليتو: آه يا سيدتي إيسابيل ! فلتظني بي ما تشائين وبهؤلاء - الأصدقاء أيضًا . لم يكن مقصدنا إلا أنْ ننبه أخاك لما

يُقال فى كلٍّ القرية وما سمعناه ؛ فهناك من يريد تحريض خوسيه ماريًا ضد أخويكِ ، لدرجة أنَّ هناك من سبَّه .

السَّيد بوكيتين: هكذا ! كلمات بذيئة لا يمكن تكرارها وخاصة أمام سيدتى إيسابيل .

ميلشور: فدم أى شاب لا يحتاج كثيرًا لإثارته .

السَّيد بابليتو: ولذلك أعتقد أنَّه من الواجب أنْ نقابل السيِّد ليونثيوكى نحذره من ذلك .

السَّيدة إيسابيل: يمكن أن نتجنب كلَّ ذلك إذا لم يعد شقيقاى إلى هذا المنزل ، حيث سأظل هنا مع نجلى .

ليونثيو: هذا ما فكَّرت فيه ؟ بالإتفاق معه ؟

السَّيدة إيسابيل: طبقًا لما تمليه علىَّ إرادتى وضميرى .

ليونثيو: لا تكترثوا بما تقول . تفضلوا بالجلوس . مارتين ، يا مارتين . !

السَّيدة إيسابيل: ماذا تريد من مارتين ؟

ليونثيو: لا تخافى . (يدخل مارتين)

مارتين : ما الذى تأمرنى به يا سيِّدى .

ليونثيو: أحضر لنا دورقًا من الخمر الجيد المعتَّق ، وأحضر كلَّ ما تجده هناك ، كى نتناوله .

السَّيد بوكيتين: لا ، يا سيد ليونثيو. إذا كان ذلك من أجلنا فلا .

ميلشور: لا نريد أىَّ شىءٍ .

السَّيد بابليتو: اتركوه يا سادة ؛ فمن الأفضل ألا نذهب . فأنا أعرف السيِّد ليونثيو، يجب ألا نتركه هنا وحده .

السَّيدة إيساابيل: هل كنت تحتاج إلى شهود ؟

ليــونـثـيــو: نعم ، أحتاج إلى شهود ؛ لأنِّى لن أكون دائمًا خاضعًا لتهديد أىِّ أحد . اقترحت الأفضل للجميع . تقولين إنَّك ستظلين هنا مع ابنك ، وتطردينني ، تطردينني من هذا البيت ، بيتك ، وسيكون لابنك ، الذى يهددنى بالقتل .

السَّيدة إيساابيل: ليس حقيقيًا ! فما يريده هو ألا يراك .

مــارتيـــن : (يدخل ومعه دورق الخمر وطبق من الطعام .) لقد أعدُّ كلَّ شىءٍ .

ليــونـثـيــو: صُبْ لنا . أحضر كأسًا هنا وآخر للسيدة .

السَّيدة إيساابيل: كلا !

ليــونـثـيــو: والآن أخبرى ابنك بالمجىء .

السَّيدة إيساابيل: لا .

ليــونـثـيــو: يا مارتين ، أحضر خوسيه ماريًا

مــارتيـــن : يا سيد ليونثيو...

ليــونـثـيــو: قلت لك أحضره وإلا سأذهب لإحضاره .

السَّيدة إيساابيل: لا تذهب يا مارتين .

ليــونـثـيــو: لقد قلت لك أحضره.

مــارتيـــن : ماذا تريد أن أفعل ؟ فنحن جميعًا هنا . لن يحدث أىُّ شىءٍ . (يخرج مارتين .)

السيِّدة إيسابيل: يا ليونثيو، إذا كان هناك شيءٍ قد أحببته فى هذا العالم ، وبحبك لى ، أستحلفك ، الا يأتى خوسيه ماريًّا . الآن لا ، اليوم لا ! أنا أعرفك ، أجيد قراءة عينيك ، بهذه النظرة الباردة وهدوئك الشرس .

ليـونـثـيــو: هذا ... ، هدوئى ... سـترى ... إذا كنت أتسم بالهـدوء.

(يدخل خوسيه ماريًّا ومارتين)

السيِّدة إيسابيل: لا تطارد من يهرب منك . دعنا نهرب منك .

ليـونـثـيــو: سأكون أنا من يهرب ، وأنا لن أهرب .

خوسيه ماريًّا: ها أنذا !

السيِّدة إيسابيل: لا ! لماذا جئت ؟ ... (إلى مارتين) لماذا جئت به ؟ ...

خوسيه ماريًّا: لقد دعونى وها أنذا !

ليـونـثـيــو: لقـد قـالوا لى أنَّك تريد أنْ تقـتلنى . وها أنذا أمـامك . اقتلنى .

خوسيه ماريًّا: لا أقتل هكذا ، من لا يدافع عن نفسـه . وأنت تعرف ذلك جيداً . ولذلك فأنت تتشجع أمام الجميع .

ليـونـثـيــو: أنا أتشجع أمام الجميع ؟ لا تكن طفلاً يا خوسيه ماريًّا ، لا تكن طفلاً .اليوم قد كبرت . ولست من كان ، لقد تعبت من الشجار مع كلِّ شىءٍ فى هذا العالم الذى لا يستـحق أن نأسف عليه ، ولا حـتى لأجل الشـرف ، وخـاصـة إن كـان شـرف امـرأة ، وحـتى من أجل المال . مـا حـدث لا

يمكن أن يُنسى . ولوقالت لك والدتك : " سامحنى ! " ... ، هل ستسامحها ؟ ...

خوسيه ماريًا: لكن ماذا تريد حضرتك ؟ ماذا تُعدُّه حضرتك ؟ ما الذى يجعلنى أقول أمام الجميع أنَّ كلَّ شيءٍ قد نُسى ، ألأنك ستأخذنى معك إلى بيتك لأصبح سيدًا مثلكم ؟ أو لأنَّكم وعدتمونى أنَّ كلَّ ما تملكوه سيكون لى ذات يوم ؟ وأنَّه لم يقتل أبى أحدٌ ، وليس علىَّ أن أعرف ذلك ، ولا أفكر فيما كنتُ أفكر فيه حتى رأيته كأنَّه حدث أمامى ؟ ولما كنت أحلم طوال هذه الليالى منذ كنت طفلاً ، وقبل أن أعرف أنَّه كان والدى ، عندما كنتُ أعتقد أنَّه شقيقًا لوالدتى ؟ لقد سمعتُ حكاية قتله ، مثلها مثل أشياء أُخرى تُحكى للأطفال ، لا يمكن أن يتذكروها ، أمَّا هذه فكنت أتذكرها دائمًا ، وكأن هناك من أخبرنى بذلك : " لا تنس هذا أبدًا ، أنَّ هذه الحكاية هى حكاية قتل أبيك . " لا تقل لى يا سيدى أنَّه إذا قالت والدتى " سامحنى ! " يجب علىَّ أن أسامحها ؛ لأنَّه قبل أن أسامحك ينبغى علىَّ أن أصفح عن والدتى أولاً ، وعلى الرغم من كونها والدتى لم أصفح عنها .

السَّيدة إيسابيل: آهه !

ليونثيو: أحسنت صنعًا أنَّك لم تسامحها ؛ لأنَّك ابن سفاح .

السيِّدة إيسابيل: لا يجب عليك أن تقول ذلك له ، ابن سفاح .

خوسيه ماريًا: ابن سفاح ؟ بسبب من ؟ ليس بسبب والدى ! فدمه بداخلي يتحدث نيابة عنِّى لكى يلعن ما بى من دمائكم .

ليونثيو: وماذا لوهشمت وجهك ؟

السيِّدة إيسابيل: (تمسك خوسيه ماريًا .) اهدأ . ماذا ستفعل ؟

السيِّد بابليتو: يا سيد ليونثيو!

ميلشور: ماذا تفعل ؟

خوسيه ماريًا: تعال يا سيِّدى ، فلست أعزلاً . (يُخرج سكينًا)

السيِّدة إيسابيل: لا ، هذا السكين ، لا . أعطه لى ، اتركه ...

خوسيه ماريًا: دعينى ....

ليونثيو: دعيه ، دعيه ، فلتأت لى ، وأنا أيضًا لست أعزلاً .

السيِّدة إيسابيل: لا ، بالله عليك ! ... يا بُنى ! يا بُنى ! اترك هذا !

خوسيه ماريًا: دعينى يا سيدتى ، دعينى يا والدتى ! (لقد جُرح خوسيه ماريًا من جراًء الشد والجذب وغمرت الدِّماء يديه)

السيِّدة إيسابيل: آه ! أترى ؟ دمٌ بسببى ! لا ! ...

خوسيه ماريًا: نعم أنا غارق فى الدماء . (ترك السكين تسقط من يده وأخذتها السيِّدة إيسابيل)

ليونثيو: هذا جزاؤك ، فأنت لا يمكن أن تكون شجاعًا .

خوسيه ماريًا: لا ، حتى الآن أستطيع أن أحمى نفسى . دعينى .

السيِّدة إيسابيل: لا ، تعال هنا . هنا دماء غزيرة ! (إلى مارتين .) أحضر الطبيب .

خوسيه ماريًا: هذا ليس كلَّ شيءٍ

ليـونـثـيـــو: لماذا لا تدعينه ؟ وأنت أيضًا يداك ملطخة بالدماء .

السَّيدة إيسابيل: نعم ، نعـــم ! تعـرفـهـا جـيـداً ؟ إنَّـهـا دمـاؤك ! ... هـل تعـرفـهـا ؟ ... انظر ... إنَّـهـا دمـاؤك ! ... مـازال هناك دمٌ كثير ! ... (طعنته في صدره .)

ليـونـثـيـــو: (يقع مغشياً عليه .) آه !

مــارتيـــن : ماذا فعلت ؟

السَّيد بابليتو: ماذا حدث ؟

مـيـلشـــور: لقد قتلته !

السَّيد بوكيتين: يا للهول !

خوسيه ماريًا: ماذا فعلتِ ؟

السَّيدة إيسابيل: كما ترى ، حالة قتل .

خوسيه ماريًا: لا ، أنــتِ لا ، كــان يجب عليَّ أنا أن أقـتـلـه ، لأنَّه قــتـل والدي !

السَّيدة إيسابيل: لا ، لقد قتلت أنا والدك ، هذا هو والدك .

خوسيه ماريًا: (يغطي وجهه بيده وهو يتراجع إلى الخلف .) فليغفر لنا الله !

السَّيدة إيسابيل: نعم ، فليغفر الله لنا ... الله ... ، الله وحده !

نهاية

الأميرة المتغطرسة

المؤلف فى سطور :

خاثينتو بينابينتى

ولد فى الثانى عشر من أغسطس عام ١٨٦٦ بالمنزل رقم ٢٧ الكائن بشارع ليون فى وسط العاصمة الإسبانية مدريد . أما والده فهو ماريانو بينابينتى إى جونثاليث، كان طبيبًا مرموقًا وعضوًا بالأكاديمية الطبية، كما كان شغوفًا وحريصًا على اقتناء أحدث الكتب والأعمال الأدبية وحضور أول عروض للأعمال الدرامية .

وقد بدأ إنتاج خاثينتو بينابينتى فى الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد عام ١٨٩٢، إلا أن خشبة المسرح لم تشهد عرض أحد أعماله الدرامية "عش الغريب" إلا فى عام ١٨٩٤، ثم توالت مسرحياته تباعًا مثل "طعام الوحوش" ١٨٩٧ و"المتحذلق" ١٩٠١ و"ابن العم رومان" ١٩٠١ و"ليلة السبت" ١٩٠٣ و"ورود الخريف" ١٩٠٥ و"المصالح المختلفة" ١٩٠٧ و"القوة البدنية الفظة" ١٩٠٨ و"المدينة السعيدة الواثقة" ١٩١٦ و"المحبوبة المبغوضة" ١٩١٣ ... وغيرها .

المترجمة فى سطور :

آيات ربيع شفيق

- ولدت بمدينة طنطا فى ١٩٧٩/١/٧ .

- حصلت على ليسانس فى اللغة الإسبانية وآدابها عام ٢٠٠١ بتقدير : جيد جداً، من كلية الدراسات الإنسانية، قسم اللغة الإسبانية، جامعة الأزهر .

- مسجلة لدرجة الماجستير برسالة عنوانها : الاتجاهات الإصلاحية والأخلاقية فى عملين مسرحيين لكارلوس أرنيتشس : الآنسة تريبليث، وهذا هو رجلى .

المراجع فـى سـطـور :

صبرى محمدى التهامى زيدان

– من مواليد ١٩٥١/٤/٢٠ فى محافظة الشرقية .

– حصل على دكتوراه فى اللغة الإسبانية وآدابها سنة ١٩٩٥ .

– عمل بالصحافة الثقافية والترجمة فى مصر والخارج .

– صدرت له (بالاشتراك) ترجمة لتفسير القرآن الكريم فى ٢٠٠١م – ١٤١٢ هـ .

– له العديد من الترجمات منها :

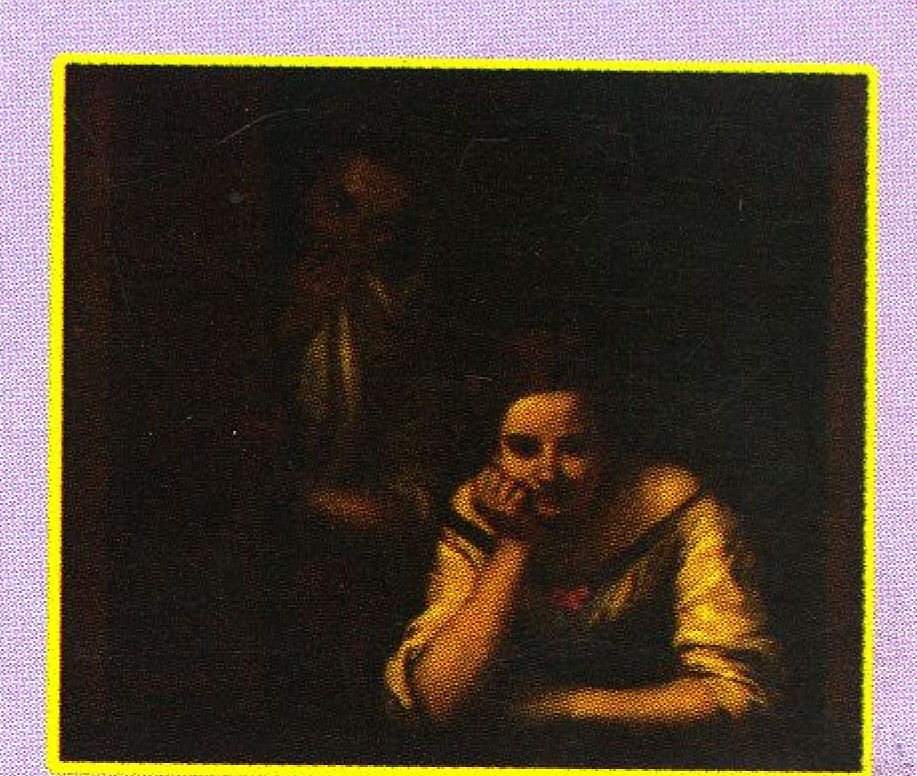
– "ورود الخريف" و"عش الغريب" (مسرحيتان ، من تأليف خاثينتو بينابينتى) .

– "رحلة إلى الجذور" للكاتب الكولومبى جارثيا ماركيث .

التصحيح اللغوى : عبد الرحمن حجازى
الإشراف الفنــى : حســن كامــل





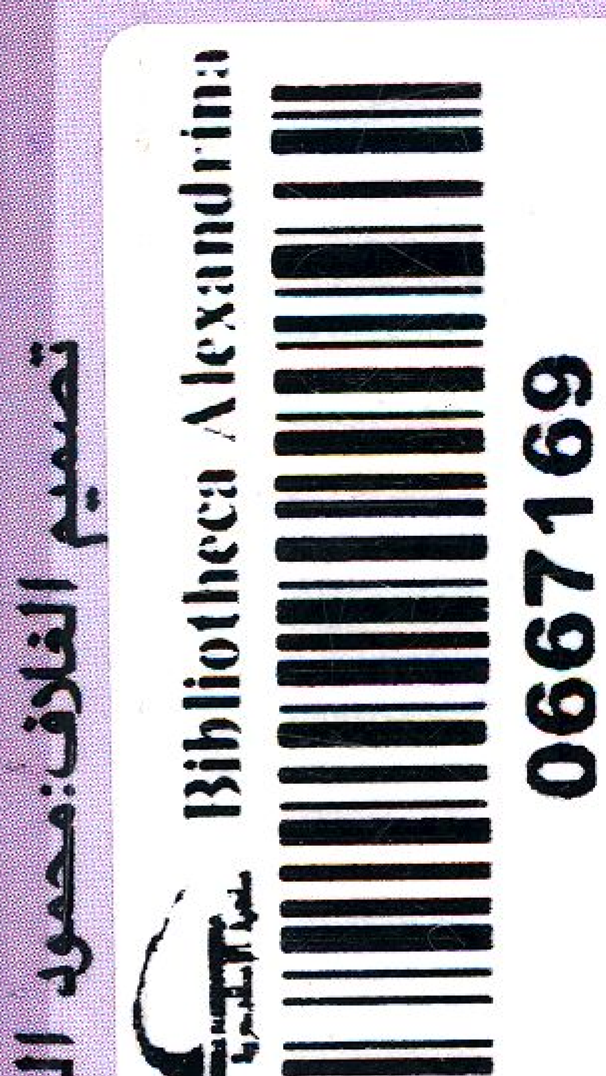


ترجمة ودراسة: أيات ربيع شفيق
مراجعة وتقديم: صبرى محمدى التهامى

يعتبر خاثينتو بينابينتى أشهر كاتب مسرحى خلال ستة عقود (فى الفترة من 1894وحتى 1954)؛ حيث تربع على رأس المسرح الإسبانى بلا منازع، وقد فاز بجائزة نوبل فى الأدب عـام 1922 عـن رائعتـه " رابطـة المصالـح" أو " المصالح المختلفة".

وفيما يتعلق بمسرحية " ثورة الشك" فإنها تتناول بؤس رجل تزوج مرتين وفى كل مرة كانت زوجته تخدعه فنبتت بذرة الشك فى صدره وتوغلت فى كل جسده وسرى الشك مسرى الدم فى العروق. تزوج ثالثة من شابة فقيرة أحبته بإخلاص ووفاء منقطعى النظير، ولكن تجربتيه السابقتين نغصت عليه حياته فلم يثق فى زوجته الوفية التى قاست الأمرين معه ولما لم تجد بُدًا انفصلت عنه.

وبالنسبة لمسرحية الأميرة المتغطرسة فإن الكات... لنا عملاً افتضح فيه الأخلاقيات فى الطبقة الم... والعلاقات غير المشروعة بين الأقارب، وقد ظل بين... يلمح إلى ذلك منذ عام 1908 فى مسرحيته "... مالكة"، وفى عام 1913 فى عمله الأخير " الح...



تصميم الغلاف: محمود الهندى